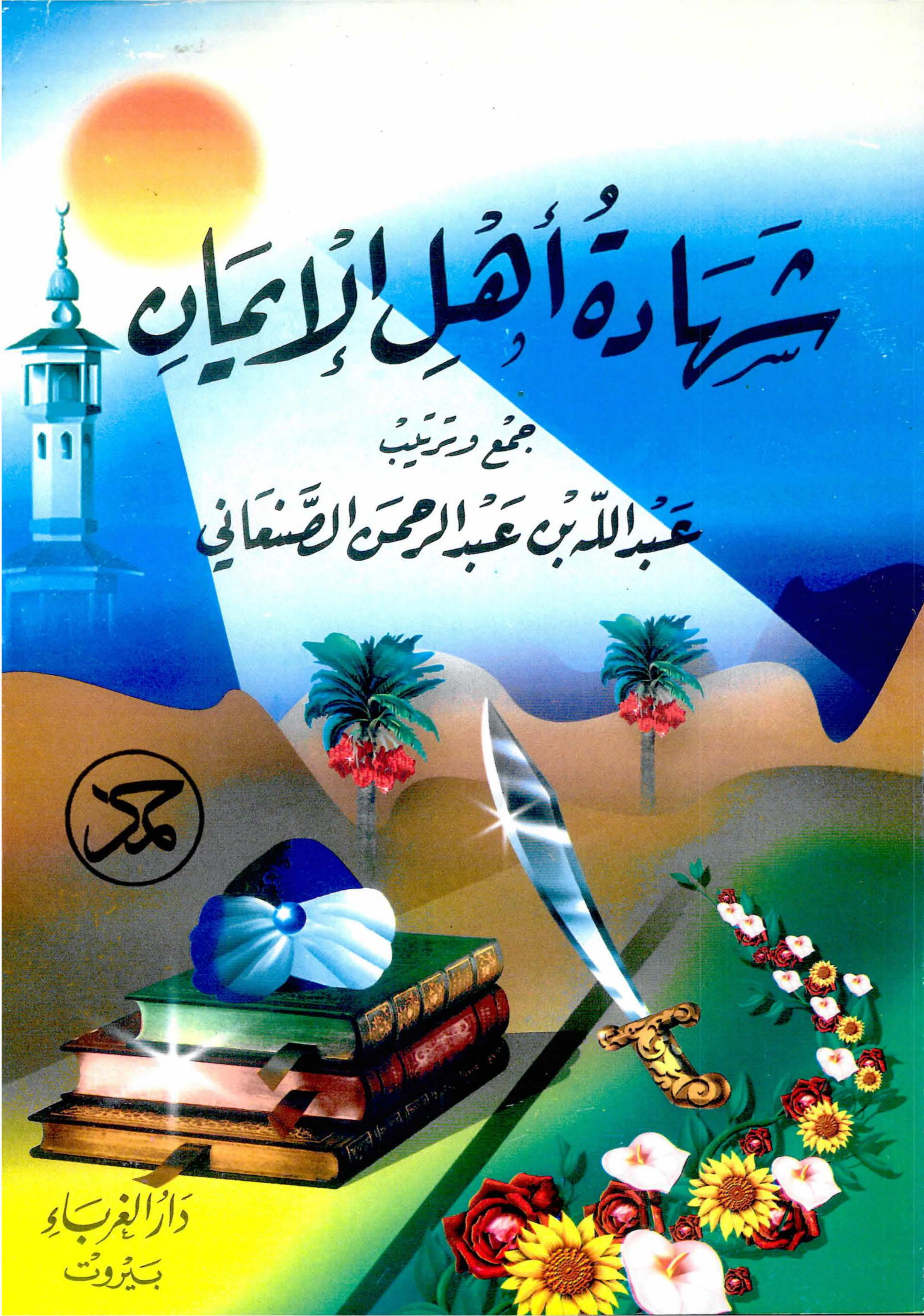

شهادة أهل الإيمان
جمع وترتيب
عبد الله بن عبد الرحمن الصنعاني
دار الغرباء
بيروت

شهادة أهل الإيمان

لحركة

طالبان

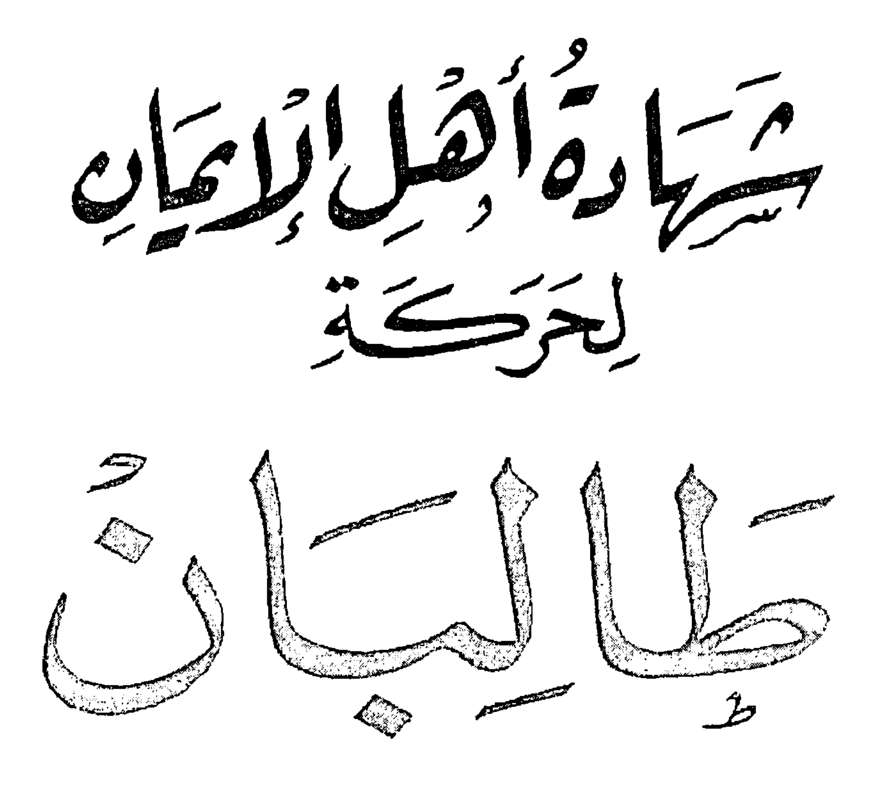
الطبعة الأولى

لسنة ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م

الناشر

دار الغرباء

بيروت



جمع وترتيب

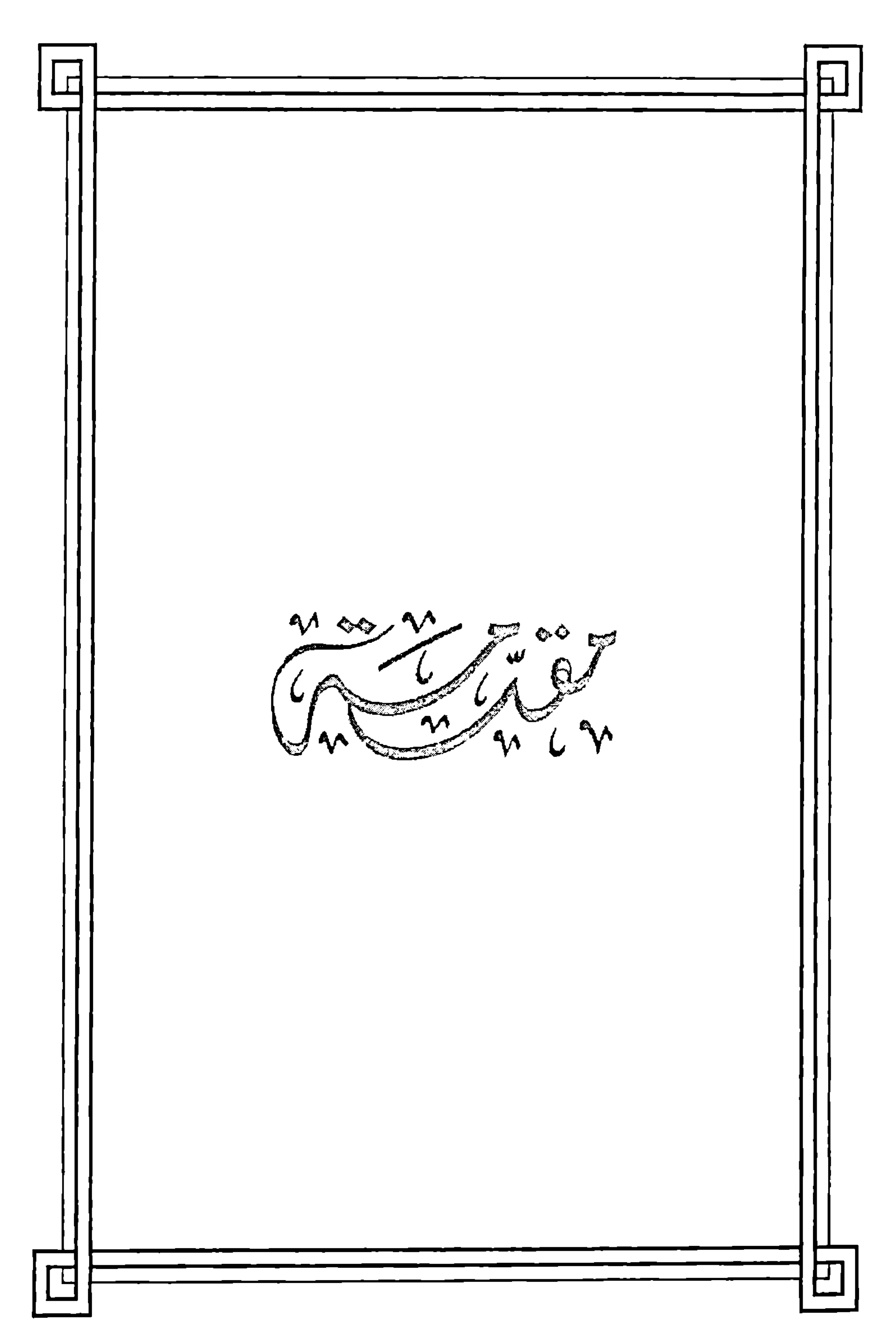
عبد الله بن عبد الرحمن الصنعاني

دار الغرباء
بيروت



﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾

[الحجرات: ٦].


مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي

الحمد للَّه معز الصادقين ومذل الكافرين المتكبرين، والصلاة والسلام على رسوله الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، وشديد البأس على الكافرين.

وبعد،،

فهذه سنون خدّاعة يَصْدُق فيها قول رسولنا الكريم ﷺ: «**إنها ستأتي على الناس سنون خدّاعة، يُصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة، قيل: وما الرويبضة؟ قال: السفيه يتكلم في أمر العامة**»[1]

ما أشبه الليلة بالبارحة، والتاريخ يعيد نفسه. فقد ترك المسلمون في الأندلس العصابات النصرانية في الشمال تهاونًا بشأنها بينما النصارى يمدونها بالعدد والعتاد فكَرُّوا هاجمين على المسلمين حتى طردوهم من (الفردوس المفقود)، وهذا ما حصل بالفعل حينما تركت (طالبان) تلك العصابات الخارجة تنعم بدعم الروس والدول الشيوعية المحاذية لها. والمسألة قد لا

(١) إسناده جيد: رواه أحمد في «مسنده»، وقال ابن كثير: إسناده جيد، وقال الشيخ شاكر: إسناده حسن. والرابض: هو العاجز التافه الخسيس الحقير.

تكون بمثل هذا الوصف تمامًا؛ لأن تدهور الأوضاع في أفغانستان له أسباب جوهرية أخرى ساعدت على تداعي الأمور بهذا الشكل السريع والمريع؛ فلقد قامت دولة طالبان على أنقاض دولة قادها زعماء فصائل متنازعين بعد أن كانوا متوحدين وقت الانتصار على الاتحاد السوفييتي البائد؛ فبينما كان الشعب الأفغاني يلملم جراحه ويمنّي النفوس بقيام دولة إسلامية فوجئ أنها ليست سوى (كانتونات حزبية) متناحرة، بل إن السلبيات العقدية والاجتماعية ما زالت قائمة، فزادت معاناة الشعب الأفغاني، ثم قامت دولة طالبان بشكل سريع أثار إعجاب الجميع، ورحب بها الأفغانيون حيث شاع الأمن وقضي على (مافيا المخدرات)، ولولا مشاغلات المعارضة الشمالية من ناحية ومقاطعة العالم لها من ناحية أخرى لأمكن قيامها بشكل مستقر وقوي ومع أن قيام دولة طالبان يرمز للدولة الإسلامية التي لم تستكمل كل مقوماتها؛ إلا أن الغرب فوجئ بقيام هذه الظاهرة الجديدة؛ وهذا بالطبع لا يسره ولا سيما بعد إخفاقه في محاولات استغلالها ومحاولات تدجينها ليمرر من خلالها مصالحه القريبة والبعيدة؛ لكن (طالبان) وقفت بشموخ ضد القوم وعلى رأسهم (أمريكا) التي بدأت بالعمل المتواصل لاحتوائها؛ فقد كانت تحاول الاعتراف بها وفتح سفارة لها في (كابل)، وهذا ما أشار إليه مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون آسيا الجنوبية المدعو (رابين روفائيل) باعتبارها القوة المحلية القادرة على الاحتفاظ بالسلطة؛ فما الذي أوقف هذا الاتجاه بالرغم من أنها سيطرت على أكثر من ٩٥٪ من أراضي أفغانستان؟ لا شك أن رفض طالبان الائتمار بأمرها والسير وفق رغباتها جعلها تتنكر لها وتعمل على الإيقاع بها بعد رفضها أن تكون منفذًا سهلاً لمصالحها الاقتصادية،

ولفوات أهدافها في استغلال مناجم الذهب في وادي الوحوش، وهي ثروات يسيل لها اللعاب الأمريكي فضلاً عن حرمانها لموطئ قدم في منطقة إستراتيجية بالقرب من (روسيا والصين) والهند وباكستان.

ولذا عملوا على منع جل دول العالم من الاعتراف بها، واستصدروا قرارًا من مجلس الأمن باعتبار الدولة السابقة هي المعترف بها وحدها، وحرضوا أعداءهم ومناوئيهم في الشمال بالدعم والتشجيع المنقطع النظير.

ونعتقد أن تراجع طالبان كدولة بالأسباب آنفة الذكر تدعمه أسباب أخرى يمكن أن نجملها فيما يلي:

- أن هذه الدولة بالرغم من إسلاميتها وتبنيها للجهاد منطلقًا للبناء فقد جابهت تحديًا كبيرًا بواقع الشعب الأفغاني بأعراقه وطوائفه وأحزابه المختلفة التي لم تستطع أن تنسى خلافاتها أو تخفف منها.

- أن جل قواتها العسكرية والأمنية هم من (طلاب العلم) الذي شاركوا في حرب التحرير، فما عندهم من الخبرة الحياتية والعلمية والعملية - مع الضغوط والمحاصرة الخارجية - ربما لم يكن كافيًا في مجالات التنمية والإعمار والتحديث.

- أن قطاعًا كبيرًا من جيشها كان في الأصل من أتباع الأحزاب الجهادية السابقة مثل (الحزب الإسلامي) التابع للشيخ يونس خالص، و(الانقلاب الإسلامي) للشيخ محمد نبي محمدي، ولعل هذا كان سببًا في أن صفوف طالبان، وتكوينها التفصيلي لم يشكل نسيجًا مؤتلفًا واحدًا يمكنه أن يكون جميعًا على قلب رجل واحد أمام واحدة من أشد التحديات التي تعجز عن مواجهتها التكتلات الدولية فضلاً عن الدول الضعيفة.

ـ الإعلام الغربي والشرقي الذي كثيراً ما شوه وشنع على (طالبان) ووصفهم بأقذع الأوصاف من دعوى العدوانية والتعصب، وإهانة المرأة، وإذلال الأقليات، وراح الإعلام العربي العلماني يردد دعاوى أسياده بشكل أكثر حدة وحقدًا بلا خوف من اللَّه ولا وازع من ضمير، وهذا بلا شك كان لا بد أن يؤثر على معنويات القائمين على تلك الدولة، فهُم بشر يحزنون ويغضبون.

ـ حصار هذه الدولة ومنع استفادتها من مستحقاتها في البنوك الدولية فضلاً عن عدم الاعتراف بها ـ كل ذلك أعجز اقتصادها وقعد بطموحاتها عن أن تتمكن من إعادة بناء ما تدمر من البنى التحتية وبناء مقوماتها الحياتية.

ـ كان لزعماء طالبان رؤيتهم الخاصة في الإعلام مما جعل حركتهم تقاطع وسائل الإعلام طوال الفترة التي سبقت الأحداث الأخيرة، إلا أنها غيرت من ذلك أخيرًا حينما اتفقت مع محطتي (الجزيرة) والـ (سي إن إن) لنقل واقع الحياة والأحداث بها ولا سيما بعد الحرب المجنونة ضدها، والتي كشفت البربرية الغربية والعدوانية الصليبية حيالها؛ مما كان سببًا في ضرب (فرع محطة الجزيرة) بشكل بشع أثار استياء كل المتابعين، وأظهر في الوقت نفسه أن الإعلام الدولي يريد صورة واحدة أمام العالم هي الصورة التي يراها هو فقط.

والعجيب أن أحداث ١١/٩/١ ٢م ألقيت مسئوليتها على دولة طالبان بدعوى إيوائها (للمشتبه فيهم)، مع أن حكومة أفغانستان طالبت بكشف الأدلة المقنعة وحينها ستسلم المتهمين ليتم محاكمتهم في دولة محايدة، لكن الأهداف المرسومة سلفًا لتدمير هذه الدولة الإسلامية لم يعد

معها أي مسوِّغ لإيقاف الحرب لتحقيق أهداف عديدة، منها:

- خداع الشعب الأمريكي وإقناعه بأن إدارته الحاكمة ستنتقم لهم من المشتبه فيهم!!

- استثمار الحدث لتأديب (طالبان) لخروجها عن سيطرتها وعدم قبول أوامرها.

- ضرب المد الإسلامي في الغرب والعالم كافة بدءًا من طالبان؛ ولذا لم تكتف بعدم تحديد وقت لإنهاء حربها المزعومة ضد الإرهاب؛ بل أدخلت كل الجماعات الإسلامية بدعوى أنها حركات إرهابية؛ في الوقت الذي لم تحدد حقيقة الإرهاب حتى لا تدان بمساعدة الإرهاب الصهيوني وتحاسب من العالم على الكيل بمكيالين، وهذا لم يعد مجهولاً لأحد.

إن انسحاب طالبان من المدن الرئيسية كما قال زعماؤها ليس إلا رحمة بالمدنيين الأبرياء، وإن كان على حساب كيانها بوصفها دولة قائمة، وهذا في نظرنا يُحسب لها، وإن انكمشت في بقاع محدودة.

- دفع الظلم والافتراء من باب «انصر أخاك» كم كذبت الأبواق العلمانية الفاجرة - صحف الضرار وتبعهم البلهاء من دعاة السوء والهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين لا يعلمون أبسط المسائل في عقيدة أهل السنة والجماعة ومعنى الولاء والبراء، ولم يتحلوا بالصدق، فافتروا بهتانًا وزورًا، وقالوا عن «طالبان» ما ليس فيهم، فيكتب أحدهم وهو حامل شهادة الدكتوراه «فسد الزمان فظهرت طالبان»[1] ويصفهم فهمي هويدي بالحماقة

---

(١) مقالة للدكتور عبدالصبور مرزوق في «مجلة منبر الإسلام».

والجهل، ويصفهم الدجالون في المحيط الصوفي بأنهم خوارج هذا الزمان، ويصفون الملا عمر بأنه دجال، وهو الزاهد العابد.

- ولسنا من أتباع أسامة بن لادن ولا ننضوي تحت تنظيم القاعدة ونقسم باللَّه على هذا، ومنهجنا يخالفه وكلامنا كله عن «طالبان» ما لها وما عليها إبراءً للذمة وإعطاء كل ذي حقٍ حقه.

سجل بكفك في القرطاس ما كتبت كلتا يديـك به أمسـيت مرهونًا

وقد سبقنا إلى الثناء عليهم القاصي والداني ومنهم من مصر مفتى مصر الشيخ نصر فريد واصل والشيخ محمد الراوي من كبار علماء الأزهر والشيخ يوسف القرضاوي ودعاة الأمة وعلماؤها في مشارق الأرض ومغاربها.

فهذا وضع للأمور في نصابها الصحيح، واللَّه من وراء القصد وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

جمع وترتيب

عبداللَّه بن عبدالرحمن الصَّنعَاني

* * *

أفغانستان وما أدراك ما أفغانستان؟!
إطلالة تاريخية على دور علمائها
في
صنع تاريخها

إطلالة تاريخية على دور علماء أفغانستان في صنع تاريخها

● أفغانستان. «بلاد الإسلام المعلّقة»، كما يسميها بعض الجغرافين بجبال «البامير» سقف العالم وجبال الهند وكوش والهمالايا. وفيها نهر من أنهار الجنة وهو نهر «جيحون».

● قال رسول اللَّه ﷺ: **«سيحان، وجيحان، والفرات، والنيل؛ كلٌّ من أنهار الجنة»** (١)

● وقال ﷺ: **«فجرت أربعة أنهار من الجنة: الفرات، والنيل، وسيْحان وجيحان»** (٢)

● وقال رسول اللَّه ﷺ: **«أربعة أنهار الجنة: سيحان، وجيحان، والنيل والفرات»** (٣)

● قال الإمام النووي: «معناه أن الأنهار تخرج من أصلها، ثم تسير حيث أراد اللَّه تعالى حتى تخرج من الأرض وتسير فيها، وهذا لا يمنعه عقل ولا شرع».

● «أشهر الغزاة في التاريخ مروا بتلك البلاد. ولكن أحدًا منهم لم يهنأ

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة.

(٢) حسن: رواه أحمد في «مسنده» عن أبي هريرة، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١١١)، و«صحيح الجامع» (٤٠٧٢).

(٣) صحيح: رواه الشيرازي في «الألقاب» عن أبي هريرة، وكذا أبو يعلى، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (١١٠)، و«صحيح الجامع» رقم (٨٨٩).

على أرضها ولم يستقر: الإسكندر الأكبر، وجنكيز خان، وتيمور لنك، نابليون بونابرت أرسل مبعوثًا إلى كابول ليمهد لفتح الهند، ولم ينجح في مسعاه، وجيوش قياصرة الروس والإمبراطورية البريطانية. جميعهم مرت جحافلهم فوق صخور أفغانستان، بل إن المرة الوحيدة التي أُفني فيها جيش لبريطانيا من جانب دولة صغرى، والإمبراطورية في أوج جبروتها وهيلمانها في (القرن التاسع عشر)، هذه الواقعة التي لا تنسى في التاريخ البريطاني حدثت في أفغانستان، وعلى أيدي مقاتليها البواسل والأشداء. وقد كانت فصلاً من مسلسل الصراع التاريخي على النفوذ بين الإمبراطورية الروسية المطلة في الشمال، وبين الإمبراطورية البريطانية التي تمركزت آنذاك في الهند. وكما أنزل الأفغان تلك الهزيمة القاسية بالبريطانيين في القرن التاسع عشر، فقد شاءت المقادير أن ينزلوا هزيمة مماثلة بالسوفيت بعد احتلالهم لبلادهم في القرن العشرين»[1]

◎ والشيء المهم. البالغ الأهمية دور الدين وعلماؤه في المجتمع الأفغاني والحياة العامة.. فالمجتمع الأفغاني شديد التدين، وكل ما يتصل بالدين في مرتبة عالية القداسة.

◎ يقول الأمير شكيب أرسلان عن الشعب الأفغاني: «لو لم يبق للإسلام في الدنيا عرق ينبض لرأيت عرقه بين سكان جبال الهملايا والهند وكوش[2] نابضًا، وعزمه هنالك ناهضًا».

---

(١)«طالبان جند الله في المعركة الغلط» لفهمي هويدي ص(١٢ ـ ١٣) ـ دار الشروق.
(٢)يصل ارتفاع هذه الجبال في بعض المواقع إلى ٧٦٢ مترًا.

ومما يصور مكانة العلماء عند الأفغان، أن الشاعر الفيلسوف محمد إقبال تحدث في قصيدة له بعنوان «مجلس شورى إبليس» عن نصائح إبليس لأعوانه في تعاملهم مع المسلمين، وكانت نصيحته لهم فيما يتعلق بالشعب الأفغاني على النحو التالي: إذا أردتم القضاء على تعلق الأفغان بدينهم، فأخرجوا العلماء من سهولهم وجبالهم!.

○ وصل الإسلام إلى هذه البلاد عبر سجستان وخراسان في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ وتم فتح قندهار على يد القائد الحكم بن عمرو التغلبي سنة ٢٢هـ، واستمر الفتح في عهد عثمان بن عفان ﷺ، وتمكّن على أرضها في منتصف القرن الثاني الهجري. ومنذئذٍ صار الأفغان هم رافعي لواء الإسلام والذائدين عن حياضه في آسيا، تشهد بذلك فتوحات الغزنويين والغوريين والهوتكيين والأبداليين، التي وصلت إلى ربوع الهند. وكم للإسلام من رموز جميلة في مرو وبلخ ونيسابور، وخراسان. بلاد الأفغان.

○ دور العلماء المُشرّف في تاريخ أفغانستان:

في كتاب عن «طالبان» أصدره في عام ١٩٩٧م مركز الدراسات السياسية بإسلام أباد يرى مؤلف الكتاب مولوي[1] حفيظ اللَّه حقاني أن الشعب الأفغاني فيه من حياة الجبل القاسية شدة وغلظة، وبُعد همة وأنفة. وهي صفات لا تسمح بانقياد بعضهم لبعض، فإذا دخل العامل الديني ذهبت

(١) المولوي لقب يطلق على من أنهى الدراسة الدينية العالية، وهي شهادة أقرب إلى «العالمية» عند الأزهريين، أما الملا فتطلق على من تلقى تعليمًا دينيًا متوسطًا في المدارس الدينية.

الغلظة والأنفة وحصل الانقياد.

◎ وقد قال ابن خلدون في مقدمته مثل ذلك عن العرب، وبينهم وبين الأفغان شبه كبير في بعض الخصال.

أضاف مولوي حقاني أن تاريخ أفغانستان يجسد هذه الحقيقة، إذ كلما تفرقت كلمة الشعب، أو دبت الخلافات بين فئاته، أو هجم عليه عدو من الخارج، كان العامل الديني هو من أكثر العوامل المؤثرة في مجريات الأمور، وكان للرموز الدينية دورها الفاعل في مسار الأحداث.

ويحفل التاريخ الأفغاني بمشاهد تُجَسِّد عمق دور الدين وعلمائه في أفغانستان، وتلك صفحات تستحق أن تُقرأ بعناية:

ففي بداية القرن الثامن عشر، حل الضعف بالدولة المغولية في الهند، الأمر الذي أغرى الدولة الصفوية الشيعية في إيران بالاستيلاء على «قندهار» وتنصيب حاكم عليها اسمه جرجين خان الأرمني. وكان الرجل ظالمًا سيئ السمعة، فضلاً عن أنه حاول أن يؤلب القبائل بعضها على بعض، ولما كان العلماء آنذاك يُحرِّمون الخروج على الحاكم وإثارة الفتن، فإن أهل البلد حينما أرادوا مقاومة حاكم قندهار سافر إلى الحجاز أحد رجالاتها (ميرويس هوتكي)، لتأدية فريضة الحج واستفتاء علمائها في شرعية الخروج على الحاكم الظالم جرجين خان، ليزيل اعتراض المولوية ويقنع الناس ويطمئنهم. وحين ذهب طرح على علماء الحجاز السؤال التالي: إن حدث اختلال وتدخل من جانب حكومة في أداء الفرائض الدينية، فهل يجوز للشعب أن يتخلص من تلك الحكومة بالقوة؟ وهل يجوز للشعب نقض البيعة التي أخذها رؤساء القبائل والعرفاء لحاكم ظالم؟

رد علماء الحجاز بالإيجاب، وقالوا بجواز نقض البيعة والخروج على مثل هذا الحاكم. وبهذه الفتوى استطاع ميرويس هوتكي أن يكسب تأييد العلماء والجماهير، وأن يوحد الصفوف ويعبئها لأجل مقاومة جرجين خان، ومن ثم فإنه قاد تمردًا ضده في عام ٩ ١٧م أدى إلى قتله وإبادة جيشه، والقضاء على نفوذ الصفويين في قندهار، وأقام دولة الهوتكيين على أنقاضها.

وحين أسس أحمد خان الأبدالي (أحمد شاه بابا) دولة أفغانستان في عام ١٧٤٧م، فإنه لم يستطع أن يمارس صلاحياته كحاكم، إلا بعد بيعة «صابر شاه» بشيخ الصوفية له. وكان معه آنذاك جماعة من قبيلة قزلباش الشيعية أتوا معه من إيران، فاتخذ منهم حرسًا خاصًا.

وهؤلاء ظلوا يمارسون دورهم مع خلفائه، ومنهم شاه محمود. غير أنهم اغتروا بمكانتهم وصدرت عنهم مفاسد عدة جرحت مشاعر الناس وكلهم أهل سُنّة. وحين اعتدى نفر منهم على عرض واحد من أهل البلد، وبلغ الأمر علماءها، تكلم به أحدهم (مير واعظ سيد أحمد) في خطبة الجمعة، وأفتى بقتل أفراد قبيلة «قزلباش»، فثار الناس ضدهم وحدثت مقتلة كبيرة. ولما تصدى شاه محمود للدفاع عن حرسه الخاص، لم يسكت مير واعظ، وإنما أفتى بعزله هو أيضًا؛ لأنه أراد الإبقاء على المنكرات والتستر عليها؛ فاتسع نطاق الثورة وأصبحت الإطاحة بشاه محمود هدفًا لها. الأمر الذي حفز شاه شجاع - وهو من حفدة مؤسِّس الدولة أحمد شاه - للهجوم على كابل والاستيلاء عليها مستفيدًا من غضب الجماهير. وتم له ما أراد في سنة ١٨٠٤م، إذ أطاح بشاه محمود، منهيًا بذلك الفترة الأولى من حكمه.

وكانت الفتوى الدينية هي السهم الأول الذي فتح الطريق للانقلاب عليه.

هذه العاطفة الدينية استثمرها كثيرون من القادة الأفغان لتحقيق مآربهم الخاصة. من ذلك ما فعله الأمير دوست محمد خان حينما قويت شوكة الحكومة السيخية، واستولت على كشمير والبنجاب حتى وصلوا إلى بيشاور، في ظل ضعف القيادة الأفغانية وتنازع حكامها. انتهز الأمير دوست الفرصة، واستصدر فتوى من العلماء بوجوب الجهاد لصد السيخ، وبأن الجهاد لا يشرع إلا بإذن أمير المؤمنين وتحت قيادته؛ ولذلك فمن الواجب أن يعين أمير للمؤمنين أولاً، قبل إعلان الجهاد. وكانت النتيجة أن اختاره الشعب أميرًا له في مسجد «عيدكاه» بكابول عام ١٨٣٩م، وتولى الحكم بهذه الطريقة.

وحين تدخل الإنجليز في أفغانستان في عام ١٨٤ م تحت ستار مساعدة شاه شجاع، بدعوى أنه الوارث الشرعي الحقيقي للحكم في البلاد، وخذل الأمير دوست شعبه واستسلم للإنجليز، الأمر الذي أدى إلى تمكين شاه شجاع من السلطة، أدرك العلماء والناس أن الشاه الذي عاد لتولي الحكم ليس سوى ألعوبة بيد الإنجليز، ومن ثم فإنهم أعلنوا المقاومة ضده، وقرروا إسقاط اسمه من خطبة الجمعة. ثم قرروا التصدي للإنجليز من قندهار، فكتبوا على أرديتهم عبارة: «حسبنا اللّه»، وجعلوها على ألوية الجهاد عام ١٨٤١م.

في كابول قاد العلماء صفوف المقاومة، فدعوا الناس في المساجد إلى الجهاد ضد «الكفار». وكان أول من أعلن الجهاد «مير حاجي» خطيب مسجد «بل خشتي»، وتبعه خطباء كل المساجد. الأمر الذي أدى إلى تأجيج نار المقاومة، وانتهى بتدمير الجيش الإنجليزي والقضاء عليه نهائيًا في عام

١٨٤٢م، على النحو الذي أشرنا إليه قبل قليل.

عندما عاد الإنجليز إلى محاولة احتلال أفغانستان ودخلوا إلى كابول عام ١٨٧٩م، حيث أسروا الأمير محمد يعقوب خان، أعلن العلماء الجهاد وكان في مقدمة المجاهدين عالمان معروفان هما ملا دين محمد خان (معروف باسم ملا مشك عالم) وملا عبدالغفور. وتولى ملا مشك عالم إمارة مجلس مؤقت للبلاد حتى يتم انتخاب الأمير الجديد. وظل العلماء يتقدمون صفوف مقاومة الإنجليز، حتى أوقعوا بهم هزيمتين كبيرتين في كابول وقندهار. وانتهى الأمر بدخول الأمير عبدالرحمن خان إلى البلاد من الأراضي الواقعة تحت السيطرة الروسية في آسيا الوسطى، وتولِّي إمارة أفغانستان في عام ١٨٨٠م.

في أثناء الحرب العالمية الأولى وقع حادث مثير، حين اتخذت أفغانستان موقفًا محايدًا تحت قيادة حبيب اللَّه خان، الذي وقع معاهدة مع بريطانيا أشرفت بموجبها على السياسة الخارجية ببلاده. وحين انتهت الحرب، وهزمت تركيا مقر الخلافة الإسلامية، ثار الناس على الملك لعدم وقوفه إلى جانب تركيا، الأمر الذي انتهى باغتياله في سنة ١٩١٩م، وتولى ابنه أمان اللَّه الحكم من بعده. غير أن العلماء، كانت لهم مع الملك الابن قصة تستحق أن تروى:

ففي عام ١٩٢٨م قام أمان اللَّه خان بجولة خارجية استغرقت قرابة سبعة أشهر، زار خلالها الهند وتركيا ومصر والاتحاد السوفيتي، وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا. وكانت تلك هي المرحلة التي أعقبت إلغاء الخلافة الإسلامية (عام ١٩٢٤م) وهبوب رياح التغريب القوية على العالم العربي

والإسلامي التي اقترنت بانتصار الكماليين وتبني العلمانية في تركيا.

سار أمان اللّٰه خان على درب كمال أتاتورك. فما أن عاد من رحلته حتى أصدر أوامر تقضي بما يلي:

- نزع حجاب المرأة، وهو ما أيدته وتبنته الملكة «ثريا» زوجته على صفحات مجلة «أمان أفغان».

- منع اللباس الشعبي، ومطالبة الناس بارتداء الثياب الغربية، وإلزام أعضاء البرلمان بأن يحضروا إلى مقر اجتماعاتهم بتلك الثياب.

- إيفاد بعض الطالبات الأفغانيات للدراسة والتحصيل في تركيا.

- تقييد نشاط العلماء الذين تخرجوا من جامعة «ديوبند» بالهند.

- الاقتراح على البرلمان الموافقة على ما يلي:

أ - منع تعدد الزوجات. ب - تحديد عمر معين لعقد الزواج.

جـ - إلغاء عطلة الجمعة، ويُستبدل بها الخميس.

هذه الخطوات صدمت الجميع. فأفتى العلماء في «باكتيا» و«ننجرهار» بكفر الملك وخلعه. وفي مقدمة هؤلاء كان ملا عبدالرشيد وملا عبداللّٰه خان جرديزي والشيخ فضل المجددي المعروف باسم نور المشايخ. بعد صدور الفتوى ثار الشعب ضد أمان اللّٰه خان، وقاد الثورة في كابول بتشجيع العلماء أحد المتمردين (حبيب اللّٰه كلكاني) واستولى على الحكم في بداية عام ١٩٢٩م، الأمر الذي أنهى حكم أمان اللّٰه خان، وطوى صفحته.

أما دور العلماء في الجهاد ضد السوفيت، وقيادتهم لذلك الجهاد، فقد أصبح أمرًا شائعًا عايشه الجميع، ولا يحتاج بعد إلى بيان.

تضمن كتاب حفيظ اللَّه حقاني بيانًا مستلفتًا للنظر أشار إلى أنه منذ تأسيس دولة أفغانستان في عام ١٧٤٧م، وحتى عام صدور كتابه (١٩٩٧م)، أي خلال ٢٥٠سنة تولى السلطة في البلاد ٣ حاكمًا - منهم ١٣ (حوالي ٤٣,٣٪) تقلدوا منصبهم استنادًا إلى أسباب دينية - ومن هؤلاء الثلاثين ١١ حاكمًا (حوالي ٣٥,٦٪) عزلوا من مناصبهم نتيجة لأسباب وعوامل دينية.

غير أن المؤلف أورد ملاحظة مهمة، هي أن العلماء طيلة تلك الفترة كانوا يثورون غيرة على الإسلام ولوجه اللَّه، ثم يسلمون الحكم إلى أهله بعد ذلك.

○ اختارت! طالبان علمًا لإمارة أفغانستان الإسلامية: العلم عبارة عن رقعة من قماش أبيض، وقد كُتبت عليه البسملة، وعبارة لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه، ثم رُسِم في قلبه مصحف، تصدر منه إشعاعات رمزًا للتعاليم، وتحت المصحف تروس إشارة إلى الصناعة، وعلى جانبيه سنابل قمح إشارة إلى الزراعة، وذلك كله محاط بسيفين متقاطعين، في إشارة إلى أن ذلك المحتوى الأفغاني محفوظ بقوة السلاح.

○ ماذا فعل المجاهدون بعد خروج السوفيت من أفغانستان؟

دمّرها المجاهدون!!!!!

أول قتال بين المجاهدين في كابول كان في شهر إبريل (نيسان) من ذلك العام (١٩٩٢م) بين قوات قلب الدين حكمتيار وأحمد شاه مسعود، حيث كان كل منهما يسعى لفرض سيطرته على المدينة.

بعد ذلك بشهرين (في شهر مايو/آيار)، نشب قتال (في غربي المدينة)

بين ميليشيا الاتحاد الإسلامي بقيادة عبد رب الرسول سياف وبين قوات حزب الوحدة الشيعي بزعامة عبدالعلي مزاري.

بعد شهرين آخرين (في شهر أغسطس/آب)، قصفت قوات حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي المدينة بحجة وجود ميليشيات الجنرال الأوزبكي الشيوعي عبدالرشيد دوستم (المتحالفة مع أحمد شاه مسعود)، وقد استمرت الاشتباكات ثلاثة أسابيع وقدر قتلاها بحوالي ٤ آلاف شخص.

بعدما تصالح برهان الدين رباني زعيم الجمعية الإسلامية مع حكمتيار زعيم الحزب الإسلامي، اندلع قتال بين الطرفين في شهر إبريل نيسان عام ١٩٩٣م، أمطرت خلاله كابول بالصواريخ.

في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني، تجددت المعارك بين الطرفين في شرقي العاصمة في محاولة كل منهما لفرض سيطرته على المناطق الإستراتيجية.

في شهر يناير/ كانون الثاني عام ١٩٩٤م، شهدت العاصمة قتالاً آخر بين قوات تحالف حكمتيار ودوستم (اللذين كانا خصمين) ومعهما مزاري زعيم حزب الوحدة الشيعي من ناحية، وقوات أحمد شاه مسعود من ناحية ثانية.

في مستهل عام ١٩٩٥م، وصلت قوات حركة طالبان إلى مشارف كابول، واشتركت في قتال مع قوات مسعود في قلب المدينة، انتهى بدخول طالبان إلى العاصمة في سبتمبر/ أيلول عام ١٩٩٦م.

◎ وخذ مثلاً آخر ما حدث في قندهار والذي أثار مشاعر طلاب المدارس الدينية آنذاك:

(عام١٩٩٤م) هو شيوع المنكرات والفساد والفوضى في قندهار.

فالمدينة مقسمة بين الأحزاب الجهادية المتقاتلة إلى ثلاثة أقسام. وبعض قادة تلك الفصائل كانت سمعتهم الأخلاقية سيئة. فضلاً عن أنهم لجئوا إلى ابتزاز الناس والتجار خاصة، حيث كانوا يحصلون منهم بصفة دورية على إتاوات (باتك في اللغة البشتونية) إضافة إلى ذلك، فإن استمرار الاقتتال بين تلك الفئات منذ خروج الروس في سنة ١٩٩٢م، أصاب المواطن العادي باليأس والإحباط، حتى أصبح الجميع يتطلعون إلى من يخلِّصهم من الكرب الذي يعانون منه.

يتداول الناس قصصًا كثيرة عن سلوكيات بعض أولئك القادة المحليين، ممن كانوا يتزوجون بالقوة من بنات العائلات الأفغانية الكبيرة ويبدلوهن كل شهر، أو يعاشرون الغلمان، ، أو يقيمون الحواجز على الطرق لجباية الأموال خصوصًا من السيارات التي تحمل أي بضائع. بل إن بعض الأسر ـ خصوصًا في كابول العاصمة ـ بلغ بها القلق حدًا جعلها تنظم من بين أفرادها دوريات مسلحة طيلة الأربع والعشرين ساعة لحماية البيوت من الاقتحام.

۞ من رحم المعاناة خرجت «طالبان»:

من المدارس الدينية الديوبندية المنتشرة في باكستان وأفغانستان تشربت عناصر طالبان معارفهم ومنهج تفكيرهم. ومن دار العلوم الحقانية، ودار العلوم، والجامعة الإسلامية في نوري تاون، والجامعة الفاروقية، ومنبع العلوم، وعربية مطلع العلوم، والجامعة الأشرقية.

۞ ثمة روايات عدة فصلت في قصة تأسيس حركة طالبان، لعل أبرزها ما جاء على لسان الملا محمد عمر، في تسجيل بثته إذاعة «صوت الشريعة» في قندهار، الناطقة باسم حركة طالبان، وفيه قال ما نصه: «كنت أدرس في

مدرسة (ببلدة سنج سار في قندهار) مع حوالي ٢ من زملائي الطلاب، فسيطر الفساد على الأرض، واستشرى القتل والنهب والسلب، وكان الأمر بيد الفسقة والفجرة، ولم يكن أحد يتصور أنه من الممكن تغيير هذا الوضع وإصلاح الحال. ولو فكرت أنا أيضًا وقلت في نفسي: ﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، لكفتني هذه الآية، ولتركت الأمر؛ لأنه لم يكن في وسعي شيء، لكنني توكلت على اللَّه التوكل المحض، ومن يتوكل على اللَّه هذا النوع من التوكل لا يخيب أمله أبدًا.

لعل الناس يتساءلون: متى بدأت هذه الحركة؟ ومن كان وراءها؟ ومن يمولها؟ ومن يوجهها ويديرها؟ وأقول: بداية الحركة أنني طويت الكتب في المدرسة في «سنج سار» وأخذت معي شخصًا آخر وذهبنا مشيًا على الأقدام إلى منطقة «زنجاوات»، واستعرت من هناك دراجة نارية من شخص اسمه «سرور»، ثم ذهبنا إلى «تلوكان». هذه هي بداية الحركة، وأخرجوا كل تصور غير هذا من أذهانكم.

بدأنا نزور الطلاب في المدارس وحلقات الدرس في صباح ذلك اليوم، وذهبنا إلى حلقة درس يدرس فيها حوالي ١٤ شخصًا، فجمعتهم في دائرة حولي وقلت لهم: إن دين اللَّه يداس تحت الأقدام، والناس يجاهرون بالفسق، وأهل الدين يخفون دينهم، وقد استولى الفسقة على المنطقة كلها، يسلبون أموال الناس، ويتعرضون لأعراضهم على الطرق العامة. يقتلون الإنسان ثم يسندونه إلى حجر على قارعة الطريق، وتمر به السيارات، ويرى الناس الميت ملقى على قارعة الطريق ولا يجرؤ أحد على أن يواريه التراب.

قلت لهم: لا يمكن الاستمرار في الدراسة في هذه الظروف، ولن تحل

هذه المشكلات بالشعارات المجردة، نريد أن نقوم ـ نحن الطلبة ـ ضد هذا الفساد. إن أردتم العمل لدين اللَّه حقيقة فلنترك الدراسة. وأصارحكم القول بأنه ما وعدنا أحد بأن يساعدنا بروبية واحدة، حتى لا تظنوا أنا سنوفر لكم الطعام، بل سنطلب الطعام والمساعدة من الشعب.

قلت: إن هذا ليس عمل يوم ولا أسبوع ولا شهر ولا سنة، بل سيأخذ وقتًا طويلاً. هل تستطيعون القيام بذلك أم لا؟ وكنت أشجّعهم وأقول لهم: إن هذا الفاسق الجالس في مركزه مثل القدر الأسود لشدة الحر (وكانت تلك الأيام في فصل الصيف شديدة الحر) يحارب دين اللَّه علانية، ونحن ندعي أننا من أهل دين اللَّه ولا نستطيع أن نقوم بعمل شيء لنصرة شرعه.

قلت لهم: إننا إن فتحنا منطقة سندافع عنها، ثم لا تعترضوا لعدم وجود دراسة أو لعدم توافر المال والسلاح. فهل تستطيعون القيام بهذا العمل، أم لا؟ فلم يوافق أحد من هؤلاء الـ١٤ على القيام بهذا العمل، وقالوا: يمكن أن نقوم ببعض الأعمال أيام الجمعة. فقلت لهم: من سيقوم به في الأيام الأخرى؟ أشهد اللَّه على أن الحقيقة هي هذه، وأنني سأشهد بذلك أمام اللَّه عز وجل يوم الحشر. هذه الحركة نتيجة للتوكل المحض؛ لأنني لو قست على هذه الحلقة باقي المدارس والحلقات لعدت إلى مدرستي، لكنني وفيت بالعهد الذي كنت قطعته على نفسي للَّه تعالى فعاملني بما ترون. فذهبت إلى حلقة درس أخرى وكان فيها حوالي ٧ طلاب، فعرضت الأمر عليهم كما عرضت على طلاب جلقة الدرس الأولى فاستعد الجميع للعمل.

هؤلاء كلهم أمة واحدة، لم تكن بينهم فروق الشباب والشيخوخة أو الطفولة والشباب أو الذكورة والأنوثة، لكن هذا العمل كان مبنيًا على حكمة

من اللَّه تعالى، فأوقعني منذ بدايته في الامتحان، فتجولنا على هذه الدراجة إلى صلاة العصر على المدارس، وحلقات الدرس، حتى استعد ٥٣ شخصًا من أهل التوكل المحض، فعدت إلى مدرستي وقلت لهم: تأتون غدًا في الصباح. لكنهم جاءوا في الساعة الواحدة ليلاً إلى «سنج سار» فكانت هذه هي البداية. إن العمل بدأ قبل أن تمضي على الفكرة ٢٤ ساعة، وكان أحد أصدقائي يصلي بالناس، فلما صلى بهم صلاة الفجر قال أحد المأمومين: إنني رأيت الليلة في المنام أن الملائكة دخلت إلى «سنج سار»، وكانت أيديهم ناعمة، فطلبت منهم أن يمسحوني بأيديهم (للتبرك).

وطلبنا في صباح الغد الساعة العاشرة سيارتين من «الحاج بشر» (أحد تجار المنطقة) فأعطانا سيارتين: سيارة صغيرة، وسيارة شحن كبيرة. فنقلنا هؤلاء الطلاب إلى منطقة «كشك نخود» وانضم إلينا آخرون. ولما كثر العدد استعرنا الأسلحة من الناس، فكانت هذه هي بداية هذه الحركة حتى استمرت». .اهـ.

هذا النص أورده الملا حفيظ اللَّه حقاني في كتابه عن «طالبان»، وقد علق عليه لافتًا النظر إلى أن مؤسس الحركة استهدف من إنشائها إزالة الفساد الذي كان منتشرًا في المنطقة وخاصة في قندهار، وكذا إزالة مراكز جمع الإتاوات من الطرق العامة، وكان الأمر في نظره أمرًا محليًا غير ذي شأن، فلم يهتم بثبت التواريخ. كما لاحظ أن بعض التجار والقادة الميدانيين ساعدوهم في بداية الأمر بالأموال والأسلحة، وكان اجتماعهم في أول الأمر في مديرية «ميوند» بمنطقة «سنج سار»، وبدءوا العمليات من منطقة «كشك نخود»، ثم تقدموا إلى مديرية أرغستان. ومن هناك اتجهوا إلى مديرية «سبين

بولدك» الواقعة على الحدود مع باكستان، وهناك استولوا على أكبر مخازن الذخيرة التابعة للحزب الإسلامي «حكمتيار»، والتي كانت بحوزة القائد «سر كاتب».

في تقدمهم، ظلت عناصر طالبان تنزع السلاح من مجموعات المجاهدين، وتزيل نقاط التفتيش الموضوعة على الطرق العامة لجمع الإتاوات، وتؤمِّن كل السكان.

○ **الرواية الشائعة في الصحف الغربية، والباكستانية أيضا** أن الجنرال نصير اللَّه باير وزير الداخلية الأسبق قام بجولة واسعة في جنوبي وغربي أفغانستان، حيث نشأت حركة طالبان، في شهر أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٩٤م، قطع فيها أكثر من ٨٠ كم، والتقى خلالها القادة الميدانيين والمسئولين في الولايات، من قندهار إلى هيرات. وأرسل بعد عودته قافلة مكونة من ٣ شاحنة محملة بالمساعدات والمواد الإغاثية لسكان قندهار وهيرات، إضافة إلى شحنات تجارية إلى تركمانستان. كان ذلك في شهر نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٩٤م، وكانت القافلة تحت قيادة كولونيل من الاستخبارات الباكستانية، ذكرت مجلة «نيوزويك» أن اسمه سلطان أمير، وفي الطريق تعرضت هذه القافلة للنهب على يد أحد قادة جماعة سيد أحمد جيلاني في قندهار، اسمه منصور أغا، (نيوزويك أوردت اسمًا آخر هو نياز وياند). وبعدما انتشرت قصة سلب القافلة ونهب أموالها في وسائل الإعلام، تحركت مجموعة طلاب المدارس الدينية في ٣/ ١١/ ١٩٩٤م من منطقة «سبين بولدك» واشتبكت مع القائد المحلي الذي نهب القافلة، حتى هزمته وألقت القبض عليه وأعدمته مع بعض رفاقه، ثم قامت بتخليص

القافلة، وكان للعملية صدى كبير في مختلف وسائل الإعلام، التي تحدثت عن حركة طالبان لأول مرة بهذه المناسبة.

لا تعارض بين ما قاله الملا محمد عمر وتلك الرواية الأخيرة، فهو تحدث عن ميلاد الحركة الذي يرجح أنه تم في شهر يوليو عام ١٩٩٤م، وبين ذيوع أمرها بعد ذلك بسبعة أشهر في «موقعة» «سبين بولدك». ولا نستبعد أن يكون تحركها صوب الحدود وإحباطها لعملية نهب قافلة التموين (لاحظ أن قائدها كان من عناصر الاستخبارات الباكستانية)، ذلك كله لا نستبعد أن يكون قد تم ترتيبه في أثناء جولة وزير الداخلية الباكستاني الجنرال نصير اللَّه باير.

المستلفت للنظر أنه بعد الاستيلاء على «سبين بولدك» سقطت مدينة قندهار بيد طالبان، وبدون مقاومة تذكر. نظرًا لتشتت المجموعات المسيطرة على الولايات، استطاعت الحركة أن تسيطر على ٣ ولايات أخرى مجاورة هي: هلمند، وزابول، وأوروزجان. وهم الذين لم يفكروا في تجاوز حدود قندهار كما أسلفنا، وكما صرح بذلك لاحقًا اثنان من قادة الحركة هما مولوي أحمد اللَّه ثاني وملا محمد حسن رحماني لمجلة «خبر نامه»، في عدد أغسطس/آب عام ١٩٩٥م.

ظلت قوات طالبان تواصل تقدمها بعد ذلك، حتى سقطت في أيديهم كابول في ١٩٩٦/٩/٢٧م. وبعد أن استقرت لها الأوضاع في العاصمة، وكسبت المزيد من الأراضي في الشمال، كانت باكستان أول دولة اعترفت بها في ١٩٩٧/٥/٢٥م.

اعتمدت الحركة في تقدمها على الدعم العسكري الباكستاني لا ريب.

غير أن الأهم من ذلك أنها كانت تتقدم على أرض واقع رحَّب بها ويسر لها مهمتها. وذلك يفسر السهولة التي سقطت بها المقاطعات المختلفة. كان الناس قد سئموا الحرب بين فصائل المجاهدين، بل وضاقوا ذرعًا بأولئك المجاهدين من جراء ممارساتهم التي حولتهم من مخلِّص للمجتمع من الاحتلال الروسي، إلى عبء على كاهل ذلك المجتمع. ناهيك عن أن القتال بين فصائل المجاهدين أضعف الجميع، الأمر الذي جعل حركة طالبان في الموقف الأقوى والأقدر على المنازلة والاجتياح.

◎ طالبان تحقق الأمن للأفغانيين.. هذه حقيقة لا ينكرها إلا جاحد ومكابر:

يقول فهمي هويدي في كتابه عن «طالبان» ص(١٠٧):

«إذا ما ألقيت السؤال على أي أحد في أفغانستان الآن[1] ـ كما فعلت في أكثر من مدينة ـ فإن أول رد تسمعه يختزل الإجابة في كلمة واحدة هي: الأمن!

وهذا صحيح؛ ففي ٩٥٪ من أراضي أفغانستان على الأقل، لم يعد هناك اقتتال بين الفصائل التي سيطر كل منها في السابق على جزء من البلاد. لم تعد هناك حواجز تقطع الطرق، سواء في داخل المدينة الواحدة، أو بين المدينة أو القرية وبين مثيلاتها في المناطق الأخرى. أمن الناس على أموالهم وماشيتهم ومساكنهم وبناتهم، وهي الأمور التي ظلت تتعرض للعدوان من جانب بعض عناصر المجاهدين بين الحين والآخر.

---

(١) قبل الغزو الصليبي الأمريكي البريطاني.

ومن الواضح أن قيادة الحركة حريصة أشد الحرص على تأكيد هذا المعنى، حتى أن حكمًا صدر بإعدام ثلاثة من شباب طالبان في ١١/٥؛ لأنهم قلدوا المجاهدين السابقين، فنهبوا مالاً لبعض التجار، وقاموا ببعض الاعتداءات الجنسية، وقال عنهم راديو الشريعة: «إنهم لوثوا اسم طالبان».
ولأن إكراه الأسر على تزويج بناتها من عناصر الجماعات الجهادية كان مما أخذ على تلك الجماعات في السابق، فإن الملا محمد عمر أصدر مرسومًا بمنع أي واحد من عناصر طالبان من الزواج من غير بنات قريته أو بلدته، لكي يحول دون سعيهم إلى الزواج من المدن التي أصبح بعضهم يتمركز فيها خصوصًا العاصمة كابول!

بعد الأمن، يتحدث كثيرون عن محاربة طالبان لصور الفساد المختلفة، الأخلاقي والمالي. خصوصًا ذلك الذي استشرى في كابول. كما سمعت امتداحًا لهم من بعض كبار السن؛ لأنهم يحثون الجميع على الالتزام بالتعاليم الدينية وأداء الصلوات في المساجد. لقد اختفت ـ مثلاً ـ حلقات تدخين الحشيش التي كانت تنعقد في كابول علنًا، كما اختفت أماكن لعب الميسر. ولم يعد لكثير من المباذل الأخرى المتعلقة بالعلاقات بين الجنسين، وجود، على الأقل في العلن».

◉ وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

عند وصول قوات «طالبان» إلى كابول في عام ١٩٩٦م، وعلى رأسها ملا محمد عمر مجاهد، عقد الملا اجتماعًا للعلماء الأفغان استمر ثلاثة أيام، واشترك فيه ١٥٠ شخص، وفيه اختاره العلماء «أميرًا للمؤمنين» وقدّموا له البيعة.

• ولقد توسّل للعلماء أن يعفوه من هذا الطلب، وسعى لتبرير رفضه بأدلة شرعية فقهية، وهو أنه فاقد لإحدى عينيه لكنهم أصروا عليه»[1]

• وبعد دخول كابول بشهرين صدر تعميم في ١٧/ ١٢/ ١٩٩٦م موقع باسم مولوي عنايت اللّٰه بليغ نائب الوزير في الرئاسة العامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو يبلغ الجميع بأنه تلقى من رئاسة الحكومة خطابًا يكلف جهاز الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمراقبة التزام الناس بتجنب قائمة من المحظورات، بلغ عددها ١٦ محظورًا هذا بيانها:

١ - منع الفتنة وسفور النساء: يحظر على سائقي السيارات الأجرة السماح بالركوب للنساء اللاتي يرتدين «البرقة» الإيرانية (العباءة التي تغطي الرأس والجسم ولا تغطي الوجه). وكل سائق سيارة يخالف هذا التوجيه يعرض نفسه للسجن. كذلك يحظر على السائقين السماح بالركوب للنساء اللاتي يرتدين ثيابًا مثيرة للانتباه، ويخرجن إلى الشارع بغير محرم[2] وإذا ما شوهدت امرأة في الشارع وهي مرتدية «البرقة» فإن زوجها سوف يتعرض للعقاب.

٢ - حظر الموسيقى: الموسيقى ممنوعة في المحلات التجارية والفنادق والسيارات وبعد خمسة أيام من صدور هذا الإعلان، إذا عثر على شريط موسيقي في أي محل فإن صاحبه سوف يتعرض للسجن، فضلاً عن أن المحل سيغلق وسيفرج عن الشخص في حالة ما إذا تقدم لضمانه خمسة

(١) «قرآن وسيف» للدكتور رفعت سيد أحمد ص(١٥١) - مكتبة مدبولي.

(٢) ثم عدل عنها بعد ذلك.

أشخاص. والشيء نفسه يسري على صاحب أي سيارة يضبط فيها شريط للموسيقى.

٣ ـ منع حلق اللحى: بعد شهر ونصف شهر من صدور هذا الإعلان، فإن أي شخص يحلق لحيته أو يقصها سوف يلقى القبض عليه، وسيودع في الحجز حتى تنمو لحيته.

٤ ـ أداء الصلوات في المساجد: حين يرفع الأذان للصلوات يتعين على الجميع أن يتوجهوا إلى المساجد لأداء الفريضة. وينبغي إغلاق المحلات وإيقاف المواصلات قبل موعد الصلاة بخمس عشرة دقيقة. وإذا عثر على أحد في متجره فسوف يودع في الحجز، وسيطلق سراحه إذا ضمنه خمسة أشخاص، وإلا فإن احتجازه سوف يستمر لمدة عشرة أيام.

٥ ـ تمنع تربية الحمام واللعب بالطيور، وبعد عشرة أيام فإن من يخالف الأمر سوف يسجن وتذبح طيوره.

٦ ـ منع تعاطي المخدرات: إذا ضبط أي مدمن للمخدرات فإنه سوف يودع السجن، وسوف يتم التحري عن الجهة التي حصلوا منها على تلك المخدرات، وسيعاقب البائع ويغلق متجره.

٧ ـ يحظر اللعب بالطيارات الورقية أو المراهنة عليها، لما يترب على ذلك من مخاطر تصيب الأطفال وتلهيهم عن دراستهم. وعلى المحلات التي تبيع الطيارات أن تكف عن الترويج لها.

٨ ـ صنع الأصنام: على أصحاب المحلات التجارية والفنادق والسيارات أن يرفعوا أي تماثيل أو صور للأشخاص، ومن يخالف ذلك سيعرض نفسه للعقوبة.

٩ ـ المقامرة ممنوعة، وكل من يضبط وهو يلعب القمار سوف يسجن لمدة شهر.

١٠ ـ يمنع إطلاق الشعر على الطريقة الإنجليزية أو الأمريكية، ومن يخالف الأمر سوف يلقى القبض عليه. وعلى المسئولين عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يحلقوا شعره. وأن يحصلوا منه أجرة الحلاقة.

١١ ـ يمنع التعامل بالفائدة على القروض أو على أي معاملات مالية أخرى، حيث إن ذلك يعد مخالفة صريحة للتعاليم الإسلامية، ومن يخالف الأمر سيودع السجن لمدة طويلة.

١٢ ـ يمنع على النساء غسل الثياب على ضفاف الأنهار، ومن تخالف هذا الأمر سوف تعاد إلى منزلها محاطة بالاحترام اللائق بالأخلاق الإسلامية، أما زوجها أو ولي أمرها فسوف يعاقب بشدة.

١٣ ـ يمنع استخدام الموسيقى أو ممارسة الرقص في حفلات الزفاف، وفي حالة المخالفة فإن رب الأسرة سوف يلقى القبض عليه ويعاقب.

١٤ ـ يمنع استخدام موسيقى الطبول، ومن يخالف الحظر فسيقرر العلماء كيفية التعامل معه.

١٥ ـ يحظر على الرجال خياطة ثياب النساء وتحديد قياسات أجسامهن. والمخالف سيتعرض للسجن.

١٦ ـ يحظر ممارسة مهنة التنجيم والعرافة. والمنجمون سيودعون السجن حتى يعلنوا توبتهم، أما كتبهم فسيتم إحراقها.

• تنبيه:

إذا قام ولي الأمر بإلزام الناس بما يراه الشرع واجبًا، فإنه يثاب على ذلك. وله أن يحمل الناس عليه، بل قال أبو حنيفة: للإمام أن يقاتل أهل قرية امتنعوا عن الختان. فأي جريمة فعلها الأبرار من حركة طالبان حتى يتهمهم فهمي هويدي بالحماقة في كتابه؟!!!. إن قالوا بتحريم الغناء والموسيقى فهذا قول جمهور أهل العلم.

• طالبان وتعليم البنات:

قال مولوي سعيد شهيد خليل نائب وزير التعليم في حكومة طالبان في حواره مع فهمي هويدي:

«للأسف هناك تهويل من جانب الإعلام العالمي في تصوير وضع المرأة بأفغانستان، حتى صورونا في مختلف الصحف والمجلات وكأننا أعداء للمرأة، مع أننا أشد حرصًا على احترامها والحفاظ على كرامتها. ثم سألني: هل قرأت في أي صحيفة خارج أفغانستان المرسوم الذي أصدره أمير المؤمنين في منتصف شهر جمادى الأول (سبتمبر ١٩٩٨م) خاصًا بتحرير المرأة الأفغانية من التقاليد البالية التي حطت من كرامتها؟

قبل أن أخبره بأنني أشرت إلى خلاصة المرسوم في إحدى مقالاتي نقلاً عن صحيفة «كابول تايمز»، سارع هو إلى القول: إن الملا محمد عمر مجاهد - حفظه اللَّه - قال في مرسومه: إن الإسلام حافظ على كرامة المرأة، ولكن بعض التقاليد السارية في البلاد اعتدت على تلك الكرامة. وانطلاقًا من اقتناعه هذا، فإنه منع بصورة قاطعة العمل بالتقليد الذي يقضي بأنه في حالة قتل أي أفغاني، فإن عائلة القاتل تقدم امرأة أو أكثر إلى أسرة القتيل على

سبيل التعويض والترضية لتجنب الثأر وإراقة الدماء. ورأى أمير المؤمنين أن هذا التصرف يعد منافيًا لتعاليم الإسلام التي حافظت على كرامة المرأة، ومن ثَمَّ لا يجوز في ظلها أن تعامل على ذلك النحو، بحيث توهب وتستخدم كعوض أو غير ذلك. من المنطق ذاته أيضًا، فإن أمير المؤمنين منع إجبار المرأة التي يتوفى عنها زوجها على أن تتزوج من أسرته أو قبيلته، وكانت التقاليد تَعُدُّ زواجها من خارج هذه الدائرة عارًا وخزيًا.

وقال مرسوم الملا محمد عمر: إن مثل هذا الإجبار يتنافى مع تعاليم الإسلام، وإن الأرملة حرة في أن تتزوج من تشاء دون أن تلزم في ذلك بأسرة أو قبيلة معينة. ومن ثم فينبغي أن يوقف كل زواج من هذا القبيل، كما ينبغي أن يتوقف استخدام النساء كوسيلة للتعويض عن القتل. وفي حالة مخالفة المرسوم، فإن القضاة يتعين عليهم أن يوقعوا أشد العقوبات على المخالفين.

أضاف المولوي سعيد أن طالبان لا تفعل أكثر من تمسكها بتطبيق الشريعة، وموقفها ذلك يستفز كثيرين في الغرب، خصوصًا في وسائل الإعلام. «ونحن نعلم أن قضيتهم ليست هي الدفاع عن المرأة، وإنما هي عداؤهم الدفين للإسلام، إذ إنه هو الذي يتحكم في موقفهم. وهم لن يوقفوا حملاتهم، ولن يرضوا عنا إلا إذا صرنا ذيولاً ومقلدين لهم. والقرآن أخبرنا منذ ١٤ قرنًا بأنهم لن يرضوا عنا إلا إذا اتبعنا ملّتهم، حتى في نمط الحياة وطريقتها».

وهو يختم قراءته لمرسوم الملا عمر قال: اكتب على لساني أننا ندافع عن كرامة المرأة؛ لأننا نلتزم بتطبيق الشريعة الإسلامية، وإذا لم يعجبهم ذلك

فنحن لسنا مستعدين للتخلي عن شريعتنا.

وقال المولوي سعيد: «إننا نبرأ إلى اللَّه من تهمة منع الإناث من التعليم، لكن الصورة التي وجدنا عليها تعليمهن بعد الدخول إلى كابول لم تكن لترضي اللَّه في شيء. فقد كان بعضه مختلطًا، وكانت المناهج أبعد ما تكون عن شريعة اللَّه. فلم تكن الفتيات يعرفن شيئًا عن دينهن، ولم تكن تعنى بدورهن كزوجات وأمهات وربات أسر. أما مظاهر الفتيات وأوضاع هيئات التدريس، بل ومباني المدارس ذاتها، فذلك كله وجدناه يحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر»[1]

• من فمك أدينك أيها الكذّاب الدجّال الأشر:

حينما يدّعي الغرب، وقرودهم المسخ أن الحركة أغلقت المدارس والجامعات ومنعت الفتاة الأفغانية من التعليم وأن ظلام الجهل خيّم على البلاد في الوقت الذي تناقلت فيه وكالات الأنباء الأمريكية خبر رفض حركة طالبان الاعتراف بالمؤهلات الجامعية التي يتم الحصول عليها من جامعات أجنبية وتتساءل نفس الوكالة: هل تستطيع جامعة أفغان في بيشاور وحدها مواكبة التطور العلمي خاصة وأن عدد الدارسين خمسة آلاف طالب منهم ١٧٠ طالبة جامعية، أليس هذا اعترافًا بوجود طالبات أفغانيات في التعليم العالي..؟! ألا يعني هذا أن هناك تعليمًا عامًّا قبل الجامعة؟ وهل ينكر أحد أن المؤهلات الممنوحة من الغرب غالبًا ما تأتي برجال ممسوخين مغسولي الأدمغة انبهارهم بالتغريب أقوى من إيمانهم باللَّه.

ثم ماذا نقول في بيان دار الإفتاء المصرية بعد عودة وفد علماء الأمة أيام

(١) «طالبان» لفهمي هويدي ص(٧٠ ـ ٧١).

زوبغة صنم بوذا، فقال البيان نصّا: «إن في كليات الطب وحدها في أفغانستان أكثر من ١٢ طالبة» فهل نصدق مفتي الديار أم الكذبة الأمريكاني؟!

سلامٌ عليكم سقاة الضباب وركبانه من قديم الأزلْ
بأجوائكم بُحّ صوت الضياء وتابوته في حماكم نزلْ
وواحاتكم من قديم الدهور يُغرّد فيها انتحار الأملْ

◉ ولله در القائل:

والحق أبلج لو يبغون رؤيته هيهات يبصر من في ناظريه عمى
وصرخة الحق تأباها مسامعهم من يسمع الحق منهم يشتكي الصمما

◉ يتهمون طالبان كذبًا بعدم تعليم المرأة ويقتلون آلاف الفتيات بقنابل النابالم؟!!

◉ موقف طالبان من المخدرات: الحشيش والأفيون، والأمم المتحدة القذرة:

خلال العشرين سنة الأخيرة، منذ بدأ الصراع على أرض أفغانستان: مرة بين الشيوعيين وغيرهم بعد الانقلاب على الملكية، ومرة ثانية بين القوات السوڤيتية المحتلة والمجاهدين، ومرة ثالثة بين المجاهدين أنفسهم، دُمِّرت أشياء كثيرة في البلاد، وكان الاقتصاد أحد الضحايا، توقفت الصناعة، وتراجعت التجارة وكسدت، وأضيرت مساحات كبيرة من الأراضي الزراعية حين لجأ السوڤيت إلى سياسة الأرض المحروقة، وهم يلاحقون المجاهدين أو يحاصرونهم، أو حين كانوا يعاقبون القرى التي وقفت ضدهم وأيدت

المجاهدين أو كانت تحت سيطرتهم. ليس ذلك فحسب، وإنما أحدثت الحرب أضرارًا كبيرة بالزراعة أدّت إلى تدمير المصارف ومجاري المياه. وأصيب المجتمع بالشلل. وزرعت البلاد المخدرات، وكانت المساحة التي تزرع سنويًّا تقدر بـ ٥٨ ألف هكتار تنتج ٢٨٠٤ أطنان من الأفيون والهيروين سنويًّا، وكان عائد تلك الكمية يزيد على مائة مليون دولار. فالمخدرات كانت موجودة في أفغانستان في العهود كافة، في المراحل الثلاث: الملكية والشيوعية والجهادية، لكن القضية لم تثر بشكل حاد إلا حينما وصلت جماعة طالبان إلى السلطة. فماذا فعلت طالبان؟!

- أعادت حركة طالبان حين دخلت إلى العاصمة كابول عام ١٩٩٦م فتح وتشغيل مجلس مكافحة المخدرات، وقد كان مغلقًا منذ عام ١٩٧٨م.

- يقول الملا فدا محمد رحماني رئيس مجلس مكافحة المخدرات حين سُئل عن موقف حكومة طالبان من مسألة الأفيون والحشيش؟: «إن هناك مرسومًا أصدره أمير المؤمنين يمنع تعاطي الهيروين والحشيش، ويعاقب بالسجن كل من يضبط مرتكب هذا الجرم، وتمتد العقوبة لكي تشمل البائع فضلاً عن المتعاطي».

وهناك تشديد بالنسبة لعناصر حركة طالبان إذ إن تعليماته تُحرّم عليهم تدخين السجائر، فما بالك بتعاطي المخدرات؟!

أضاف: «أن الحكومة، وهي تحرّم تعاطي الاثنين، تفرّق في الزراعة بين الأفيون والحشيش، إذ بينما تمنع زراعة الحشيش وتداوله، حيث تعدّه مضرًّا في كل الأحوال، فإنها تفرق بالنسبة للأفيون بين زراعته وصناعته. فعلماؤنا

لم يجدوا سببًا لتحريم زراعته[1] ، خصوصًا بعد ما تبين أن هناك ١١ صنفًا من الأدوية المهمة، التي منها أدوية التخدير والمضادات الحيوية، تعتمد على الأفيون بدرجة أو أخرى. لذلك فإن علماؤنا رأوا أن القليل منه مطلوب، وذهبوا إلى أن الضرر الكبير ينشأ عن تصنيعه واستخدامه لأهداف شريرة!

ولذلك فاتجاه الدولة يهدف أولاً إلى منع زراعة الحشيش ومحاربة تعاطيه وثانيًا إلى منع تصنيع الأفيون بتاتًا، ومعاقبة كل من يضبط متعاطيًا أو بائعًا لمنتجاته المصنعة المتمثلة في الكوكايين أو الهيروين على سبيل المثال، من ناحية ثالثة فإن الحكومة تعمل جاهدة على عدم التوسع في زراعة الأفيون وتقليص مساحاته قدر الإمكان.

قال أيضًا: إن هناك لجنة وزارية خاصة تدرس موضوع مكافحة زراعة المخدرات، وهي تضم ممثلين لوزارات الخارجية والداخلية والصحة والأمن والمخابرات والتعليم والزراعة والقبائل. وهذه اللجنة هي التي ترسم سياسة المكافحة.

وأضاف قائلاً: إننا نتحدّى أن يثبت أحد أننا نصنع الهيروين، أو الكوكايين في أفغانستان؛ لأنه ليس في علم الحكومة على الأقل أن هناك معامل تقوم بهذه المهمة. وأي معامل من هذا القبيل تضبط تُصادر على الفور ويعاقب أصحابها. صحيح أن الزراعة تتم في بلادنا، لكن المعامل كلها موجودة في الغرب وخارج أفغانستان، وسؤالنا هو: لماذا تُشن الحملة على أفغانستان وحدها، ويغض الجميع الطرف عن الأقطار التي يُصنع فيها

---

(١) لا نوافقهم على هذا، والحمد لله أن الملا عمر أصدر مرسومًا بمنع زراعة أي شجرة أفيون مهما كان الثمن.

الأفيون، وتُستخلص منه المواد الأخرى»؟!

ثم أضاف: في شهر يونيو عام ١٩٩٨م تم ضبط ٢ كيلو جرام من الهيروين في جلال أباد، وصدرت الأوامر بإحراقها على الفور»[١]

• وفي حوار لفهمي هويدي مع وزير الصحة وعضو مجلس الشورى الملا محمد عباس أخوند قال: أنا معك في كل ما قلت، ومن أول الداعين إلى ضرورة تحريم زراعة الأفيون، ووزارة الصحة بوجه خاص من أكثر الجهات إدراكًا لخطورة الاستمرار في زراعة المخدرات بالنسبة لنا أو لغيرنا. لكني في الوقت ذاته مقتنع بأن كل كلامنا لن يحقق أي نتيجة ذات قيمة إلا إذا وفرنا للناس إمكانية زراعة محصولات بديلة مثل القمح والذرة. وفي ظروفنا الاقتصادية الراهنة، فإننا لا نستطيع أن ننهض بهذه المهمة وحدنا، ولكننا نحتاج إلى عون المجتمع الدولي ومساعدته. وكل من حدثنا في الموضوع قلنا له: نحن جاهزون، وضعوا أيديكم في أيدينا. لكننا للأسف الشديد نسمع كلامًا كثيرًا ولا نرى أفعالاً تعرب عن رغبة حقيقة في الالتزام بالكلام. حتى بدأنا نشك في أنهم جادون فعلاً في منع زراعة المخدرات في أفغانستان.

أضاف: في البدء، كانت منظمات الأمم المتحدة المعنية تعرض عنا وتخاطب المعارضة، (يقصد الرئيس السابق برهان الدين رباني الذي لا تزال الأمم المتحدة وأكثر الدول تعترف بحكومته وترفض الاعتراف بحكومة طالبان). وكان ذلك أمرًا مضحكًا؛ لأنهم يخاطبون طرفًا لا يملك من الأمر شيئًا، وكل الذي يسيطر عليه في أفغانستان رقعة في حدود ٥٪ من الأرض.

(١) «طالبان» لفهمي هويدي ص(٨٩ ـ ٩٢) بتصرف.

أما حكومة طالبان التي تسيطر على أكثر من ٩٥٪ من الأرض، فقد كانوا يتجاهلونها. لاحقًا أدركوا عبثية المشهد، وبدأت بعض منظمات الأمم المتحدة تتعامل معنا. وحين اتفقنا مع ممثلي البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة على خطة لمكافحة زراعة المخدرات، تقوم على توفير القمح والذرة للمزارعين، فإن تكلفة ذلك البرنامج قدرت بـ ١٥ مليون دولار. وبرغم تواضع المبلغ بالمقارنة بخطورة المشروع وأهميته، فإننا اكتشفنا حين راجعنا تفاصيل الاتفاق أن ١١ مليون دولار من هذا المبلغ ستذهب للمصروفات الإدارية ورواتب الموظفين والخبراء، أما عملية توفير المحصولات البديلة فلم يعتمد لها أكثر من أربعة ملايين دولار!

أضاف: هذه الملاحظة أثارت انقباضنا، وضاعفت من شكوكنا في جدية جهود منع زراعة الأفيون، ومع ذلك فإننا سكتنا. وقلنا: إن هذه قد تكون خطوة أولى، في البرنامج الذي تستغرق مدته عشر سنوات، وكان مقررًا له أن يبدأ في شهر يوليو الماضي (١٩٩٨م). غير أن الذي أدهشنا أكثر أن الأمم المتحدة أوقفت المشروع، ولم تتخذ أي خطوة توحي بعزمها على تنفيذ ما تم الاتفاق معنا عليه!

سكت الملا محمد عباس لحظة، ثم قال: الآن صار شكنا أكبر. فهم يغضون البصر أو يتراخون في رصد أماكن تصنيع الهيروين والكوكايين، ولا يقولن أحد: إن الدول الغربية بكل جبروتها وقدراتها العالية على الرصد والتتبع عاجزة عن معرفة أماكن تلك المعامل، التي تقع كلها خارج أفغانستان. وكل أبواقهم الدعائية وتنديداتهم موجهة إلى أفغانستان وحدها، وإذا ما قلنا لهم: إننا مستعدون لإعلان الحرب ضد زراعة الأفيون، ولكننا

بحاجة إلى معونتكم، فإنهم يترددون ويتمنعون كما رأيت. هل يمكن أن يكون هذا السلوك بريئًا وخاليًا من الشبهة؟

سأل، ثم قال: سأترك الإجابة لك، لكني أقول باختصار: إن المعلومات التي لدينا ترجح كفة عدم البراءة، وتعزز شكوكنا في دوافع التردد والتمنع من جانب المنظمة الدولية.

سألته عن طبيعة تلك المعلومات، فضحك وهز رأسه، ثم قال: ربما أعلنت في أوانها، لكني لست في حل من الخوض في تفصيلاتها الآن.

استوقفتني إشارته، فمضيت أتقصى وأسأل عما إذا كانت هناك بالفعل معلومات لدى حكومة طالبان تشكك في براءة الدوافع التي أدت إلى عرقلة برنامج محاربة زراعة الأفيون. وكان من بين ما قيل لي: ـ همسًا ـ إن المسئولين في الحركة أصبحوا مقتنعين بأن نفوذ مافيا تجارة المخدرات اخترق الكثير من المنظمات الدولية وجهات القرار الغربية. وأن هذه العصابات التي تتعامل مع بلايين الدولارات لها مصلحة أكيدة في استمرار زراعة الأفيون في بلد مثل أفغانستان. ولذلك فإنها تقاوم بكل وسيلة، وبكل شراسة أيضًا، أي محاولة لتقليص مساحات الأفيون المزروع. ومن ثم فهم لا يستبعدون أن يكون لتلك العصابات دور في وقف البرنامج الذي تم الاتفاق عليه مع الأمم المتحدة. وقد أيدت شكوكهم تلك واقعة حدثت لممثل البرنامج الإنمائي للأمم المتحدة الذي رعى الاتفاق. فهذا الرجل، وهو إيطالي اسمه جلوڤاني كاجليا، كان من أنشط العاملين في البرنامج، وبرغم أن مقره كان في العاصمة الباكستانية «إسلام آباد»، فإنه كان دائم الاتصال مع المسئولين في حكومة طالبان، ودائم التنقّل بين كابول وقندهار. فضلاً عن هذا وذاك، فقد

كان واضحًا أنه شديد الإخلاص لمهمته، وأنه حريص على دفع عملية مكافحة زراعة المخدرات بكل السبل. وبرغم أن رجلاً بهذه الصفات كان يُفترض أن تدعمه الأمم المتحدة وتقدم له كل عون لأداء مهمته، فإن المفاجأة التي حدثت لم تكن تخطر على بال أحد؛ لأنه ما إن برز دوره على ذلك الصعيد، وبدا أنه جاد في مسعاه، وعلى وشك أن يحقق بعض النتائج الإيجابية، حتى صدر قرار بنقله من إسلام أباد إلى ڤيينا؛ الأمر الذي أوقف كل الترتيبات، وأعاد جهود المكافحة إلى نقطة الصفر! فهل يستبعد أن يكون لمافيا المخدرات يد في الموضوع؟».

- ويا مجلس الخوف المسمى كذبًا بمجلس الأمن، ويا عصابة الأمم المتحدة: لماذا يُسمح للغربيين ولإسرائيل بتصنيع القنابل الذرية وإنتاج الغازات السامة والأسلحة البيولوچية والجرثومية. لماذا الكيل بمكيالين؟

- وأخيرًا وقبل هدمهم للتماثيل بأربعة أشهر صدر مرسوم من الملا عمر بمنع زراعة أي شجرة من الأفيون مهما كان الثمن.

- **تطبيق الحدود:**

عابوا على «طالبان» تطبيقهم للحدود، وقالوا: إن قطع دابر الفقر أهم وأولى من قطع أيدي السارقين، وأن إطلاق طاقات المجتمع وشحذ همته للبناء والتعمير أهم من إطلاق اللحى[1]

- ونسوا قول رسول اللَّه ﷺ **«حدٌّ يُعمل في الأرض؛ خير لأهل الأرض من أن يُمطروا أربعين صباحًا»**[2]

---

(١) هذا قول فهمي هويدي ونقده لطالبان في كتابه «طالبان» ص(٧٨).

(٢) حسن: رواه النسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة، وحسّنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٢٣١)، و«صحيح الجامع» رقم (٣١٢٥).

⊙ للَّه در طالبان حين أنشئوا وزارة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام ١٩٩٦م وأسندوها إلى «مولوي كلام الدين»، وعدد العاملين بها ٣٦٠ شخص، ٨٠٪ منهم من خريجي المدارس الدينية المنتمين إلى حركة طالبان، والباقون موظفون إداريون.

قال «مولوي كلام الدين»: «إن الأمر بالمعروف عندنا مقدم على النهي عن المنكر، وأن نصح الناس وإرشادهم وتبليغهم مقدم على حسابهم أو معاقبتهم وغاية مرادنا أن تتزايد أعداد أهل المعروف، وأن تتراجع المنكرات إلى الحد الأدنى.. وتوقيع العقاب على المخالف لا يتم عند وقوع المخالفة للمرة الأولى، وإنما ينبغي أن ينصح مرتين، وفي الثالثة يوقع عليه العقاب»[(١)].

عاب عليهم فهمي هويدي إلزامهم الناس بإطلاق اللحى تحت عنوان «لحية لكل مواطن».

⊙ قال المولوي كلام الدين: «إن القاعدة المعمول بها تتلخص في تعميم التبليغ على الناس بأن إطلاق اللحى يمثل واجبًا شرعيًّا يجب أن يلتزم الجميع به، وفي الولايات أو المدن التي تدخلها قوات طالبان يمهل الناس ستة أشهر بعد التبليغ ثم يحاسب المخالفون بعد ذلك. فيحبس ما بين يوم وعشرة أيام حسب الحالة»[(٢)]

وقال: «نحن لا نتجسس على الناس؛ فذلك أمر منهي عنه شرعًا،

---

(١) «طالبان» لفهمي هويدي ص(٧٩ ـ ٨٠).

(٢) في أول الأمر صدر المرسوم بالحبس حتى تنبت اللحى ثم بعد ذلك خفف التعزير، وهذا حق لولي الأمر يا من تدّعون العلم.

كذلك، فإننا لا ندخل بيوت أحد؛ فكل واحد حر في بيته، واللَّه يحاسبه على ما يفعله إذا ارتكب ما يشين. أما ما يهمنا فهو المنكرات الظاهرة في الشوارع والأماكن العامة. ونحن نرى أن مسئوليتنا محاربة تلك المنكرات؛ لأنها تسيء إلى المجتمع الإسلامي الذي ننشده، فضلاً عن أن سكوتنا عليها هو بمثابة تشجيع على شيوع المنكرات، وهو ما نربأ بأنفسنا عنه».

◉ ولما قال له فهمي هويدي: «إطلاق اللحية فضيلة وليس واجبًا شرعيًّا، والموسيقى والغناء مثلاً مما يجيزه البعض ويحرّمه البعض الآخر، أي: أنه محل خلاف» فردّ عليه قائلاً: «عند علمائنا، مثل هذه الأمور لا خلاف عليها، فاللحية واجبة والموسيقى والغناء والتصوير من المحرمات».

ثم قال: «التدرج الذي تقول به كان مطلوبًا حينما كان الناس حديثي عهد بالإسلام، أما في زماننا فالأمر اختلف، ولم يعد شبح الكفر والشرك يهدد بلاد المسلمين، ولذلك فلا سبيل للترخص أو التدرج في التكاليف، وإن ظل الرفق والحكمة والموعظة الحسنة في مخاطبة الناس من الأمور الواجبة في كل حال طبقًا للتوجيه القرآني»[١]

◉ قول لرئيس المحكمة النظامية التي تنظر في جرائم الحدود:

قال مولوي سيد عبدالرحمن أغا رئيس المحكمة النظامية: «إن قضايا الحدود تحوّل إليه مرفقة بالتحقيقات التي تم إجراؤها في كل قضية، ثم يتولى من جانبه استكمالها عن طريق سؤال المتهم والاستماع إلى الشهود بعد الاستيثاق من عدالتهم»[٢]

(١) «طالبان» لفهمي هويدي ص(٧٩ ـ ٨٢).
(٢) المصدر السابق ص(٨٥).

و«قال: تطبيق الحدود ينبغي أن يتم في كل وقت. وقد ذُكِرت في القرآن لكي تطبق لا لكي تعطل تحت أي ظرف. ثم إن تعطيل الحدود سيؤدي إلى زيادة الجرائم. وإذا كان الذين تتحدث عنهم يسرقون؛ لأنهم فقراء، فلماذا يرتكبون جرائمهم في الليل؟! ولماذا لا يَسْتَجْدُون الناس لكي يحصلوا منهم على ما يريدون، بدلاً من اللجوء إلى ارتكاب الجرائم؟

قلت: كم عدد جرائم الحدود التي نفذت في كابول خلال العامين الأخيرين (من ١٩٩٦ إلى ١٩٩٨م)؟

قال: أحب أن أذكر أولاً أنني أبذل كل جهدي لتبرئة الناس، وأفسر الشبهات دائمًا لصالح المتهمين. وخلال السنتين نفذنا ١٧ حالة قطع يد ورجل بالنسبة للصوص الذين ثبتت إدانتهم. و٣ حالات قطع لليد اليمنى والرجل اليسرى في جرائم قطع للطريق. وعشر حالات قصاص في جرائم قتل. وخمس حالات زنا و٣ حالات شرب خمر»[(١)]

◉ لماذا سكت الجميع عن اغتصاب النساء بواسطة قوات تحالف الشمال؟

لماذا خرس الجميع عن المجازر البشعة التي ارتكبت في حق الآدميين بعد موتهم في أفغانستان؟ لماذا سكت الجميع عن اغتصاب نساء الوعاظ وبناتهم من قوات تحالف الشمال لمّا دخلوا كابول. ما يقرب من ٨٠ امرأة اغتصبهن الأوغاد المنافقون قبل قتلهن أمام أسرهن. لماذا خرس العالم وقرى بأكملها تُباد وتُسَوَّى بالأرض؟!.

(١) المصدر السابق ص(٨٦).

«إن ترويع شعب كامل من الآمنين وسحقه بالقنابل والصواريخ، وتدمير قرى بأكملها وأحياء مأهولة بالسكان، وتشريد مئات الآلاف من العجزة والمستضعفين في أراضي مقفرة ضربها الجفاف حتى أتى عليها من جذورها. إن ذلك كله هو الإرهاب عينه، ولكنه الإرهاب الحضاري الذي تباركه هيئة الأمم المتحدة، وتطرب له القوى التقدمية، ويتواطأ المتحضرون للتستر عليه، إن منطق القوة الإرهابي يتباكى على ضحايا أمريكا الأبرياء (!) أما ضحايا أفغانستان فلا بواكي لهم»[١]

● لماذا الحصار يا هيئة الأمم القذرة؟

أعلن الحصار الظالم برغم معاناة الأفغان من الجفاف الذي حلّ بمناطق الجنوب الغربي من البلاد طيلة السنوات الثلاث الماضية، وما ترتب عليه من مضاعفة للفقر والجوع وتشريد مئات الألوف من أبناء القرى المنكوبة (في شتاء هذا العام أعلنت مصادر الأمم المتحدة أن ٤٠ طفل من أبناء أولئك النازحين كانوا يموتون كل يوم)، ثم إذا تذكرت أن البلد مدمر أصلاً من جراء الحروب والصراعات التي استمرت عشرين عامًا وخلقت خمسة ملايين لاجئ ومليون معوق، الأربعمائة طفل الذين كانوا يموتون يوميًّا في «هراة» خلال شهر فبراير (شباط) عام ١ ٢م، من سكان تلك الخيام، الذين لم يحتملوا قسوة البرد بعدما اجتاحت العواصف الثلجية ملاذاتهم الهشة والمتهالكة. ومن كتبت لهم الحياة لم يسلموا من الأمراض، حتى غدا النازحون بين فريق قضى نحبه وآخر ينتظر.

(١) «مجلة البيان» العدد ١٦٩ ص(١).

◎ تحطيم طالبان لصنم بوذا:

كثر اللغط والقيل والقال وقامت الدنيا، ولم تقعد بسبب تحطيم طالبان لصنم بوذا، وانبرى فريق ينسب إلى الإسلاميين يقول:

«التماثيل حين انتفت مظنَّة عبادتها ـ عُدَّتْ من نعم اللَّه على الإنسان، وعاملها أو صانعها إنما يعملها بإذن ربه، وعلى الذين أنعم اللَّه عليهم بهذه النعمة مقابلتها بالشكر للَّه وحده، وأحد مظاهره اكتشاف ما فيها من جمال، على حد تعبير الدكتور محمد عمارة!! وهو يحرر الموقف القرآني في كتابه «الإسلام والفنون الجميلة» يقرر: أن الموقف منَ التماثيل ليس واحدًا، وليس عامّا، وليس مطلقًا. فحيثما تكون سبيلاً للشرك باللَّه ـ شركًا جليًا أو خفيًا ـ فهي حرام وتحطيمها واجب. أما عندما تنتفي مظنة عبادتها وتعظيمها والشرك بواسطتها، فهي عندئذ من نعم اللَّه، التي للإنسان أن يقصد إليها، وأن يتخذ منها سبيلاً لترقية حسه وتجميل حياته وتزكية القيم الطيبة وتخليدها»(١)

وقال: «الالتباس الثاني يتعلق بمسألة هدم الأصنام، وتعميمها قياسًا على ما فعله أصحاب رسول اللَّه ﷺ بعد فتح مكة، حين حطموا ما فيها من أصنام، كانت رمزًا للشرك فيما قبل الإسلام.

وهذا الذي حدث أحسبه حكمًا خاصًا بالجزيرة العربية، لا ينطبق على غيرها من ديار الإسلام. إذ إنه مفهوم أن يطهر مهبط الوحي ومعقل الدين من الأوثان. كما أنه مفهوم نداء الرسول ﷺ أنه: «لا يجتمع دينان في الجزيرة العربية»، خصوصًا في ظل تعدد مؤامرات اليهود ودسائسهم. لكن

---

(١) «طالبان» لفهمي هويدي ص(١٣٥).

تعميم الحكم على كل بلاد المسلمين ليس له ما يبرره، ولا أعرف أن الصحابة دعوا إليه أو أيدوه بأي صورة»[1]

وقال أيضًا: «لعلي أقول بأن زعم البعض أن المسلمين مطالبون بهدم الأصنام المعبودة حيثما وجدت، لا أساس له من الشرع أو التاريخ، وحين قرر علماء أفغانستان هدم التماثيل البوذية بحجة أن بعض البوذيين يأتون ويتعبّدون أمامهم، فإنهم وقعوا في محظور الخلط الذي نحذر منه بين ما هو خاص بالجزيرة العربية، وما هو عام وشامل لكل بلاد المسلمين»[2]

وقال فهمي هويدي أيضًا: «هدم معبودات الآخرين ليس من البر أو القسط في شيء، وفضلاً عن أنه من قبيل الإكراه في الدين، فإنه يتعارض مع نهج الدعوة إلى اللَّه بالحكمة والموعظة الحسنة».

وقال: «افتعال معارك وهمية مع طواحين الهواء، فذلك مظهر آخر من مظاهر البؤس الفكري والثقافي، بل من مظاهر الجهل بالدين والدنيا معًا»[3]

وفي لقاء بين مسئولين من طالبان ووفد من علماء الأفغان وبين وفد كان يضم مفتي مصر الشيخ نصر فريد واصل والشيخ يوسف القرضاوي والشيخ محمد الراوي ووفد من علماء قطر وفهمي هويدي والدكتور هيثم الخياط، وإبراهيم بكر الأمين العام المساعد لمدير منظمة المؤتمر الإسلامي تكلم الأفغان وينقل الأستاذ فهمي هويدي طرفًا من اللقاء فيقول:

(١) «طالبان» لفهمي هويدي ص(١٣٥).
(٢) المصدر السابق ص(١٣٦).
(٣) المصدر السابق ص(١٣٧).

«قال أحدنا: ألا يتعين على طالبان في مواجهة هذا الظرف أن تعمل على توحيد الجبهة الداخلية، والتفاهم مع المعارضة؛ لإنهاء الحرب المعلقة، التي ما زالت مستمرة حتى الآن بين قوات أحمد شاه مسعود وبين نظام طالبان؟

قالوا: هذه المعارضة ليس لها موطئ قدم يذكر في أفغانستان حيث لا تتجاوز المساحة التي تسيطر عليها ٥٪ من الأرض، والدول المجاورة حريصة على تقوية مسعود وتمكينه من تلك المساحة. ومعلوماتنا أن ذلك يكلفه خمسة ملايين دولار شهريًّا. ولولا دعمها له لانتهى أمر التمرد هناك منذ زمان. والدول المؤيدة والداعمة لمسعود من مصلحتها ألا يتم أي اتفاق؛ لأنها تريد بدورها إنهاك النظام الإسلامي وإشغاله بتلك القضية حتى يظل أسير رد الفعل، وعاجزًا عن القيام بأي محاولة لإصلاح الوضع الداخلي. هم يريدون أن تنفق طالبان ما لديها من أموال على الحرب، ليس فقط لإشغالها ولكن أيضًا لاستنفاد مواردها، واضطرارها للاقتراض من الخارج. وأفغانستان هي الدولة الوحيدة في العالم الآن التي ليست مدينة لأحد. وإذا بدأنا في الاستدانة كما يرغبون، فسوف ينتهزون الفرصة لفرض شروطهم علينا.

س: هل حقق التفاهم مع المعارضة أي تقدم؟

جـ: محاولات التفاهم مستمرة شهريًّا تقريبًا. والمشكلة الحقيقية ليست مع رباني أو حكمتيار، فالتفاهم معهما ممكن، لكن المشكلة في أحمد شاه مسعود، ومساعديه عبدالرحمن وعبدالله، ومن لف لفهما من القيادات الشيوعية التي تجمعت حول الرجل، وأعلنوها حربًا استئصالية ضد طالبان وضد الإسلام في أفغانستان. إنهم الآن يتحدثون عن الديمقراطية وضرورة

محاربة النظام الأصولي المهيمن على البلاد. والديمقراطية مرفوضة عندنا جملة وتفصيلاً.

س: لماذا ترفضون الديمقراطية؟

جـ: أولاً: هذه بضاعة غربية. وثانيًا: أنهم يريدون أن يفرضوا بها الشيوعين وغيرهم من الملحدين والكفرة. وثالثًا: لأنها مدخل للفساد والتحلل وتهديم قيم الإسلام، وأنتم أدرى بما جرته على العرب من فسق وفجور. ورابعًا: لأنها بذلك تصبح مصدرًا لفتنة المسلمين في بلادنا وتهديدًا لمعتقداتهم، وما قامت حركة طالبان إلا لدرء الفتنة التي عصفت بأفغانستان.

س: ما تفسير قرار حرمان الفتيات من التعليم والنساء من العمل؟

جـ: بالنسبة للعمل، فلا مفر من الاعتراف بأن العمل للرجال غير متاح في ظروفنا الراهنة، فما بالكم إذا أضفنا إليهم النساء؟ ثم إن نظامنا وعلماءنا ضد اختلاط الجنسين، ولا نستطيع أن نخصص للنساء أماكن يعملن فيها. ومسألة الاختلاط هي المشكلة التي أعاقت تعليم البنات في بلادنا. فنحن لسنا ضد تعليمهن، ولكن مواردنا عاجزة عن توفير مدارس خاصة بهن، ولا أحد يريد أن يعيننا على ذلك. وقد ناقش السفير البريطاني في إسلام آباد هذا الموضوع مع سفيرنا لدى باكستان، فقال له أخونا عبدالسلام ضعيف (السفير): إن دراسة الملف بينت أننا بحاجة إلى ٢ مليون دولار لبناء مدارس خاصة للبنات، وأن حكومة طالبان بمقدورها أن توفر مائة مليون دولار. ثم سأله عما إذا كان بمقدور بريطانيا أو المجموعة الأوربية أن تدبر المبلغ المتبقي، فاستمع الرجل وذهب ولم يعد. وحين ناقشنا الموضوع مع غربيين آخرين، فإن بعضهم اعترض على إلزامنا البنات بارتداء الحجاب في

المدارس، وأحجم عن مساعدتنا بسبب ذلك، فقلنا لهم: لماذا تؤيدون إذن الدول والهيئات التي تلزم الفتيات بخلع الحجاب، كما هو الحاصل في تركيا وفرنسا؟!

أضافوا: مع ذلك فمحاولاتنا مستمرة. قبل حين، أصدر أمير المؤمنين مرسومًا يقضي بتعليم البنات اللاتي في سن المرحلة الابتدائية بالمساجد. وجاري الآن تنفيذ هذه الخطوة. في الوقت ذاته، فقد فتحنا معاهد للتمريض وساعدتنا منظمة الصحة العالمية على توفير دروس في الطب للفتيات، ولدينا الآن ١٢ فتاة يدرسن الطب، وفي قندهار وحدها ٤٥٠ فتاة يواصلن تلك الدراسة.

س: ماذا عن بقية الفروع؟ وما وضع الجامعة الآن؟

جـ: بسبب الإمكانات والأولويات، فالطب والتمريض يشكلان أولوية قصوى بدأنا بها. والجامعة متوقفة عن العمل؛ لأنه ليس لدينا موارد تكفي رواتب الأساتذة.

س: لماذا يحرِّم التليفزيون، برغم الفوائد الجليلة التي يمكن جنيها من وراء توظيفه في الاتجاه الصحيح؟

جـ: القضية ليست مثارة عندنا الآن لسبب جوهري، هو أن ٩٥٪ من بلادنا بلا كهرباء، مما يعني أنه لو كان هناك إرسال تليفزيوني فلن يستقبله سوى ٥٪ فقط من السكان. ومع ذلك، فكل متطلبات وتجهيزات الإرسال التليفزيوني محفوظة ومصونة كما هي، ولم يلحقها التخريب أو التدمير كما يشاع. غير أن هناك بعدًا آخر لا يمكن تجاهله، وهو أن علماءنا ممن لا يجيزون التصوير، ويحتاج الأمر إلى وقت لإقناعهم بجدواه وحدود

الحلال فيه[١، ٢]

س: هل يعقل أن تكون إمارة أفغانستان الإسلامية هي أهم مصدر لزراعة وتهريب الأفيون في العالم؟

جـ: هذه مشكلة حاولنا أن نحلها مرارًا ولم يساعدنا أحد في ذلك. وطالما خاطبنا المنظمات الدولية في هذا الصدد، وطلبنا منهم أن يساعدونا على توفير محصولات بديلة تشجع الفقراء على التخلي عن زراعة المخدرات، لكن أحدًا لم يساعدنا. وقبل ثلاثة أشهر ـ في موسم بدء زراعة الأفيون ـ أصدر أمير المومنين مرسومًا بمنع زراعة أي شجرة مهما كان الثمن. وبرغم أن وقع القرار كان شديدًا وصعبًا على كثيرين، فإن الجميع التزموا به، في حدود منطقة الـ٥٪ التي يسيطر عليها أحمد شاه مسعود، التي يدخل في نطاقها إقليم «بادخشان»، أهم معقل لزراعة المخدرات في أفغانستان.

أضافوا: أن الدوائر الغربية المعنية بالأمر لا تريد أن تعترف لنا بفضل وقف زراعة الأفيون، وأرجعوا ذلك إلى الجفاف، لكنهم الآن يصمتون إزاء استمرار زراعته في الأراضي التي تسيطر عليها المعارضة.

س: ما حكاية هدم التماثيل البوذية؟

جـ: الضجة المثارة في العالم الآن مبالغ فيها إلى حد كبير. ففي

---

(١) كان هذا الجزء من الحوار مع بعض مسئولي طالبان قبل وصول علماء أفغانستان من قندهار.

(٢) يقول وزير الخارجية الأفغاني وكيل المتوكلي: إن حركة طالبان ليست ضد استخدام الإنترنت، ولكنها ضد نشر مواد سيئة ومنافية للأخلاق أو معادية للإسلام». وقولوا لي بربكم كيف سمحت طالبان لتلفزيون قطر وقناة الجزيرة وفي هذا بلاغ كاف.

أفغانستان طبقًا لما هو مسجل لدى اليونسكو ٤ ألف أثر تاريخي «الأصنام» لا تتجاوز ١٪ منها، والصغير منها أغلبه سرق وهرب إلى الخارج في أثناء الحروب. وهذه الأصنام سببت لنا إزعاجًا مستمرًا منذ تولت «طالبان» السلطة في البلاد. فقد كان البوذيون يأتون إلى بلادنا ويركعون ويتعبدون أمامها، خصوصًا صنم باميان الكبير الذي يَعُدُّونه أكبر آلهتهم. وهو الذي وقفت إلى جواره زوجته (الجزء الأسفل من جسمها الذي ظهرت فيه العورة هدم في بداية القرن الماضي بعدما استاءت من ذلك زوجة الأمير حبيب اللَّه خان، الذي حكم البلاد بين عامي ١٩٠١و ١٩١٥م، حين زارت المكان).

حين منع البوذيون من عبادة أصنامهم بدءوا يحتجون، ولاحظنا أن بعضًا منهم جاءوا إلى متحف كابول ومنهم من قام بالسجود أمامها. وهو ما أثار استياء وحساسية علمائنا. وحينما شرعنا في إبعاد تلك الأصنام تجنبًا لتكرار الموقف، وجدنا أن بعض الإذاعات العالمية (بالتحديد: الإذاعة البريطانية التي تبث باللغة البشتونية) أشاعت أننا أخفينا الأصنام تمهيدًا لبيعها. وقد فكرنا في إعدامها وتهديمها سرًا ودون إعلان، ولكننا وجدنا أن ذلك سيثبت بحقنا تهمة بيعها، ثم انتبهنا إلى أنها مسجلة لدى منظمة اليونسكو؛ ولذلك لم يكن هناك سوى الإعلان عن التخلص منها، بعدما أكد العلماء ضرورة هدمها وحرمة استمرارها في دار الإسلام.

س: حتى إذا افترضنا صحة الفتوى الخاصة بهدم التماثيل، فإن الموازنة بين المصالح والمفاسد التي يمكن أن تترتب على الفعل كانت واجبة قبل الشروع في تنفيذها. هل فكرتم في أثر ذلك على علاقتكم بالعالم الخارجي، وفي انعكاساته على الأقليات المسلمة التي تعيش في الأقطار المجاورة،

الهندوسية والبوذية؟

جـ: برغم أننا لم نر من العالم الخارجي إلا كل عداء وقهر، فإننا لم نتوقع أن يكون صدى الهدم بهذه الدرجة من العنف. ولم نناقش مسألة الأقليات الإسلامية في الأقطار التي تتحدثون عنها.

وجاء وفد علماء الأفغان المكون من ٢٧ شخصًا بعضهم من رجال الإفتاء والبعض الآخر من أعضاء المحكمة العليا يتقدم الجميع الشيخ محمد نور ثاقب رئيس المحكمة العليا.

ويدأ الملا نور ثاقب الكلام ودخل مباشرة في موضوع هدم التماثيل فقال: على غير ما كان متوقعًا. قال: إن علماء الإمارة قرروا هدم الأصنام بعدما توافرت لديهم الأدلة الشرعية التي توجب ذلك. وهو أمر استغرق منهم وقتًا وجهدًا وحوارات قلبت الأمر من مختلف جوانبه. وفضلاً عن تلك الأدلة الشرعية، فقد وجدنا أن أناسًا في بلادنا قد نبذوا دينهم وتحولوا إلى الشيوعية في وقت سابق، الأمر الذي يعني أن إمكانية الفتنة في الدين قائمة. ونحن لا نريد للأفغان أن يصبحوا من شرار الخلق، حيث سيحاسبنا اللَّه على ذلك يوم القيامة. ونحن لا نفهم تلك الضجة المثارة حولنا بسبب ما قررناه، إذ غاية ما فعلناه أننا تمسكنا بديننا وطبقنا تعاليمه. إننا لم نعتد على أحد، ولم نظلم أحدًا، وإنما تصرفنا بوحي من عقيدتنا وفي حدود بلادنا. ونحن نعلم أنهم حانقون علينا في الخارج ولا يكلُّون من الكيد لنا بسبب إصرارنا على إقامة الدين في البلاد. ولذلك أصبح الدين هو محور خلافنا مع الآخرين.

وقال الملا ثاقب: السؤال الأهم هو: هل الأصل في الموقف الشرعي

هو هدم الأصنام أم الإبقاء عليها؟ ذلك أن ما نعلمه من القرآن الكريم هو أن هدمها لا تراجع عنه. وفي قصة سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ أنه قال عن العجل الذي عبده بنو إسرائيل: ﴿لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧].

وقال: لقد صبرنا على تلك الأصنام طيلة خمس سنوات، ولم يعد بمقدورنا أن نبقي عليها أو نتساهل في بقائها أكثر من ذلك. والعالم الذي تتحدثون عنه هو عدونا في كل الأحوال، هدمنا الأصنام أم لم نهدمها. وامتناعنا عن الهدم لن يغير شيئًا من موقفه إزاءنا.

وقال: لقد عددنا مسألة هدم الأصنام فرعًا من تطبيقنا لشريعة الإسلام التي التزمنا بها أمام الناس وأمام اللَّه. فكما طبقنا الحدود والقصاص، خطونا تلك الخطوة للتخلص من الأصنام التي وجدناها تعبد من دون اللَّه. وهذه مسألة داخلية لا تحتاج إلى مشاورة. وتعرفون أن ابن القيم دعا إلى تحطيم الأصنام دون هوادة. ولدينا الشهود الذين أكدوا أن بعض الأجانب يأتون إلى تلك الأصنام لكي يتعبدوا عندها ويسجدوا. ولذلك لم يكن هناك مبرر للتردد في تحطيمها، بحسبان أن ذلك واجب شرعي ننفذه التزامًا بالتعاليم، ولا نقيس أمرنا أو نبني حكمنا على فعل الغابرين، حيث إن تقصيرهم في ذلك لا يعد حجة علينا.

وقال: إذا أبقينا أي جزء من الأصنام، فمعنى ذلك أننا لم نلتزم بالفتوى، ونحن لا نريد أن نترك الأمر معلقًا، لذلك فمن الأفضل المضي في الطريق حتى نهايته، والمحو الكامل لتلك الأصنام. علمًا بأن العالم لن يرضى عنا أو يرحمنا في كل الأحوال.

◎ الشيخ عبدالقادر العماري (نائب رئيس محكمة النقض في قطر): بخصوص هدم التماثيل، فهناك فتوى للشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه اللَّه ـ وقعت عليها، وأحب أن يطلع الأخوان عليها. وهي تحت رقم ١ ٣٢ في المجلد الأول الخاص بالعقيدة، من فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء. تقول الفتوى عن التماثيل: على ولاة الأمور هدمها. كل ذلك إذا لم يخش من هدمها إثارة فتنة لا يستطاع إطفاؤها والقضاء عليها. فإن النبي ﷺ لم يزل الأصنام التي كانت في الكعبة أو التي بداخلها أول الأمر، مع دعوته إلى التوحيد وتسفيه أحلام المشركين لعبادتهم الأصنام، فلما قوي المسلمون أزالها عام فتح مكة.

◎ الملا نور ثاقب: وصلتنا رسالتان من اثنين من علماء السعودية، ساندتا ما أفتينا به، وباركتاه، ودعتا علماء المسلمين كافة إلى تأييد ما ذهبنا إليه بصفته مضيًا على إقامة شعيرة التوحيد. [كان الملا عبدالجليل نائب وزير الخارجية قد جاءنا بنسخة مصورة للفتوى التي بعث بها إلى قندهار عبر «الفاكس» فضيلة الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي من علماء «القصيم» في المملكة السعودية. وقد بحث الأمر في ١١ صفحة من القطع الكبير، وعَدَّتْ أن «كسر الأوثان» واجب شرعي وإحياء لسنن الرسل. وثنى عليها الشيخ على بن خضير الخضير (من القصيم أيضًا) في رسالة أخرى بعث بها، وذكر فيها: «أن التوحيد لا يتم ولا يصح إلا بتحطيم الأوثان والأصنام، والكفر بالطاغوت ومعاداته وأهله ومنابذتهم وبغضهم». وأعتبر أن ما ذكره شيخنا حمود ـ حفظه اللَّه ـ في فتواه من أدلة وبراهين فيه كفاية وغنية لمن أراد الحق].

ثم قال الشيخ ثاقب: المسألة تتعلّق بالتوحيد، ونحن لا نكاد نجد دليلاً شرعيًّا واحدًا يؤيد الإبقاء على الأصنام»[1]

◎ ما أشبه الليلة بالبارحة.. موقف عظيم نيِّر لسلطان أفغانستان البطل محمود بن سبكتكين الغزنوي يكسر «سومنات» صنم الهند الأكبر ٤١٨هـ مثلما فعلت طالبان بصنم بوذا:

قال ابن كثير في أحداث سنة ثمان عشرة وأربعمائة: «وفيها ورد كتابٌ من محمود بن سبكتكين، يذكُر أنه دخل بلاد الهند أيضًا، وأنه كَسَرَ الصنم الأعظم الذي لهم، المُسمَّى بسومنات، وقد كانوا يفدون إليه من كلِّ فجٍّ عميقٍ، كما يفد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم، ويُنفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة التي لا تُوصَف ولا تُعَدّ، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية، ومدينة مشهورة، وقد امتلأت خزائنه أموالاً، وعنده ألف رجلٍ يخدمونه، وثلاثمائة رجل يحلقون رؤوس حجيجه، وثلاثمائة رجل يُغنُّون ويرقصون على بابه، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات، وكان عنده من المجاورين ألوف يأكلون من أوقافه، وقد كان البعيد من الهنود يتمنَّى لو بلغ هذا الصنمَ، وكان يعوقه طُولُ المفاوز وكثرةُ الموانع والآفات، ثم استخار اللَّه السلطانُ محمود، لَمَّا بَلَغَهُ خبرُ هذا الصنم وعُبّاده، وكثرة الهنود في طريقه، والمفاوز المُهلكة، والأرض الخطرة، في تجشُّم ذلك في جيشه، وأن يقطع تلك الأهوال إليه، فَنَدبَ جيشهُ لذلك، فانتدبَ معه ثلاثون ألفًا من المُقاتلة، ممَّن اختارهم لذلك، سوى المتطوِّعة، فسلّمهم اللَّه حتى انتهوا إلى

(١)انظر المصدر السابق ص(١٥٢ ـ ١٦٧) باختصار.

بلد هذا الوثن، ونزلوا بساحة عُبّاده، فإذا هو بمكانٍ بقدر المدينة العظيمة. قال: فما كان بأسرع من أن ملكناهُ، وقتلنا من أهله خمسين ألفًا، وقلعنا هذا الوثن، وأوقدنا تحته النار. وقد ذكر غير واحدٍ أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالاً جزيلة؛ ليترك لهم هذا الصنم الأعظم، فأشار من أشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال، وإبقاء هذا الصنم لهم، فقال: حتى أستخير اللَّه عز وجل. فلمَّا أصبح قال: إني فكَّرتُ في الأمر الذي ذكر، فرأيتُ أنه إذا نُوديتُ يوم القيامة: أين محمود الذي كسر الصَّنَمَ؟ أحبُّ إليَّ من أن يُقال: الذي ترك الصنم لأجلِ ما يناله من الدنيا. ثم عَزَمَ فكسرهُ ـ رحمه اللَّه ـ فوجد عليه وفيه من الجواهر واللآلئ والذهب والجواهر النفيسة ما ينيف على ما بذلوه له بأضعافٍ مضاعفة، ونرجوا من اللَّه له في الآخرة الثواب الجزيل، الذي مثقالُ دانقٍ منه خيرٌ من الدنيا وما فيها، مع ما حصل له من الثناء الجميل الدنيوي، فرحمه اللَّه وأكرمَ مثواه»(١)

● يقول الدكتور عدنان علي رضا النحوي: «لمَّا جاء السلطان محمود الغزنوي، كان همُّه الأول هو نشر الإسلام، وإزاحة الشرك والوثنية، واستمر جهادهُ في الهند خمسًا وعشرين سنةً فَهَزَم الملك «جيبال»، وفتح السلطانُ قلعة «كواكير» وحطَّم أصنامها التي بلغت ستمائة صنم، وهزم الملك «أنندبال» في صحراء بيشاور، وأبلتِ النساءُ المسلماتُ في الحرب بلاءً عظيمًا، وفَتحَ قلعةَ «نكركوت» وحطَّم صنمهم الأعظم هناك. وكذلك اتّجه إلى تهانسير ليحطِّم الصنم الذي كانوا يُعظِّمونه كثيرًا، وحاول أحدُ ملوك الهندوس ثَنيَهُ عن عَزمِهِ هذا بإغرائه بالمال الوفير، فأجابه السلطان محمود:

(١) «البداية والنهاية» (١٢/ ٢٤ ـ ٢٥).

«إنَّنا مسلمون، نعمل لنشر الإسلام وهدم الأصنام ومعابدها، وبذلك نجد أضعافًا مضاعفةً من الأجرِ والثواب عند اللَّه، ولاحاجةَ لنا بهذا المال».

وعندما توجَّه السلطان محمود إلى كشمير، أسلم ملكُها على يديه. ثم توجَّه إلى كجرات، وقصد معبد «سومنات» فيها، حيث كان يوجد صنم من أعظم أصنام الهند، وكان الوثنيون يحجُّون إليه كلَّ ليلة خسوف، وحاول الوثنيُّون إقناعَهُ بالعدول عن عزمه ذلك، وعرضوا عليه الأموال الطائلة، فأبى وقال: «ما خرجت إلا لتحطيم الأصنام وإعلاء كلمة اللَّه». وفَتحَ أماكن عدَّة في الهند، وينتقل من نصرٍ يَمُنُّ اللَّه عليه به إلى نصرٍ، ويدعو إلى الإسلام ويحطِّم الوثنيَّة بكل صورها.

ولقد نشر السلطان محمود الغزنويُّ العلومَ في مملكته، وقرَّب العلماء والتقاة الصالحين»[1]

◙ قال الدكتور عدنان النحوي: «لقد قام السلطان محمود الغزنوي من غزنة عاصمة مُلكه في أفغانستان، فتابَعَ حملاته إلى داخل الهند، وقاد سبعة عشرة حملة على شبه القارة الهنديّة بين سنتي ٣٨٩هـ ـ ٤١٦هـ.

وتوفي وتـرك دولةً مسـلمةً واسعةً تضمُّ: زابلسـتان، وخوارزم، خراسان، طبرستان، أصفهان، كرمان، ومكران، والسند، والبنجاب».

وطيوفُ «غَزْنَةَ» لم تَزَلْ في ساحها ... أصـداءُ فرسـان وَخَفْقُ مُهَنَّدِ
أبْلَى بها «محمودُ» حتى أسلمتْ ... للَّهِ أفئـدةٌ وَلَهْفَـةُ أكْبُـدِ
طُوبى لسـلطانٍ أبَرَّ مجـاهدٍ ... جَمَعَ الأئمةَ في وَغى أو مسجدِ

---

(١) «ملحمة الإسلام في الهند» للدكتور عدنان النحوي ص(١٣٥ ـ ١٣٦) طبع دار النحوي.

جَمَـــعَ الأئمـــةَ حولَهُ في موكبٍ ... مـــاضٍ لملحمـــةٍ وأكْـــرَمِ مَوْرِدِ[1]

◎ الذهبيُّ يُثني على ابن سبكتكين:

قال الذهبي في «السير» عن ابن سبكتكين: «خافَتْهُ الملوكُ، واستولى على إقليم خراسان، ونَفَّذ القادرُ باللَّه خِلَعَ السلطنة، ففرض على نفسه كل سنة غزو الهندِ، فافتتح بلادًا شاسعةً، وكسر الصنم سُومنات، الذي كان يعتقدُ كفرةُ الهند أنه يُحيي ويُميت، ويَحُجُّونه، ويُقرِّبون له النفائسَ، بحيثُ إن الوقوفَ عليه بلغت عشرةَ آلاف قرية، وامتلأت خزائنُه من صُنُوف الأموالِ، وفي خدمته من البَرَاهمة ألفا نفسٍ، ومائة جَوقة مغاني رجال ونساء، فكان بين بلاد الإسلام وبينَ قلعة هذا الصنم مفازةٌ نحو شهرٍ، فسار السلطانُ في ثلاثين ألفًا، فيسَّرَ اللَّهُ فتح القلعةِ في ثلاثة أيام، واستولى محمود على أموالٍ لا تُحصى، وقيل: كان حَجَرًا شديد الصلابةِ طولُهُ خمسةُ أذرُع، مُنزَّلٌ منه في الأساس نحو ذراعين، فأحرقه السلطانُ، وأخذ منه قطعةً بناها في عَتَبة بابِ جامعِ غزنة، ووجدوا في أُذُن الصنم نيِّفًا وثلاثين حلقةً؛ كلُّ حلقةٍ يزعمُون أنها عبادَتُه ألفَ سنة»[2].

◎ وقال الوزير جمال الدين القفطي في سيرته:

«بلغ السلطانَ أن الهنود قالوا: أخربَ أكثرَ بلادِ الهند غضبُ الصنم الكبيرِ سُومنات على سائر الأصنام ومن حولها. فعزم على غزو هذا الوثن،

---

(١) «ملحمة الإسلام في الهند» ص(٧٧، ١٦٥).

(٢) «الكامل» (٩/ ١٣٠ ـ ١٣١، ١٣٩، ١٤٦، ١٤٨، ٦ ، ٢ ، ٢٠٧، ٢٤٤، ٣٤٢ ـ ٣٤٦)، و«طبقات السبكي» (٥/ ٣١٧، ٣١٨)، و«وفيات الأعيان» (٥/ ١٧٦ ـ ١٧٩).

وسار يطوي القفار في جيشه إليه، وكانوا يقولون: إنه يرزق ويُحيي ويُميت ويسمع ويَعي. يحُجُّون إليه، ويُتحفونه بالنفائس، ويتغالون فيه كثيرًا، فتجمَّع عند هذا الصنم مالٌ يتجاوزُ الوصف، وكانوا يَغسلونه كل يوم بماء وعَسلٍ ولبنٍ، وينقُلون إليه الماءَ من نهرِ «حيل» مسيرة شهر، وثلاثمائة يحلقُون رؤوس حُجّاجه ولحاهم، وثلاثمائة يُغنون. فسار الجيشُ من غزنة، وقطعُوا مفازةً صعبةً، وكانوا ثلاثين ألف فارس وخلقًا من الرجالة والمُطَّوِّعة، وقوّى المطوعة بخمسين ألف دينار، وأنفقَ في الجيش فوقَ الكفاية، وارتحل من «المُليا» ثاني يوم الفطر سنة ٤١٦، وقاسوا مشاقَّ، وبقُوا لا يجدون الماءَ إلا بعد ثلاثٍ، غطاهُم في يومٍ ضبابٌ عظيم، فقالت الكفرةُ: هذا من فعل الإله سومنات. ثم نازل مدينة أنهلوارة، وهرب منها ملكُها إلى جزيرة، فأخرب المسلمون بلدهُ، ودكُّوها، وبينها وبين الصنم مسيرةُ شهرٍ في مفاوز، فساروا حتى نازلُوا مدينة دبولوارة؛ وهي قبل الصنم بيومين، فأخذت عنوةً، وكُسرت أصنامُها، وهي كثيرةُ الفواكه، ثم نازلوا سومنات في رابع عشر ذي القعدة، ولها قلعةٌ منيعةٌ على البحر، فوقع الحصارُ، فنُصبت السلالمُ عليها، فهرب المُقاتلةُ إلى الصنم، وتضرَّعُوا له، واشتدَّ الحالُ، وهم يظنُّون أن الصنم قد غضب عليهم، وكان في بيتٍ عظيمٍ منيع، على أبوابه الستور الديباجُ، وعلى الصنم من الحُلي والجواهر ما لا يُوصف، والقناديل تُضيءُ ليلاً ونهارًا، على رأسه تاجٌ لا يُقوَّم، يندهشُ منه الناظرُ، ويجتمعُ عنده في عيدهم نحو مائة ألف كافر، وهو على عرشٍ بديعِ الزَّخرفة؛ علوّ خمسةَ أذرع، وطولُ الصنم عشرةُ أذرع، وله بيتُ مالٍ فيه من النفائسِ والذهبِ ما لا يُحصى، ففرق محمودٌ في الجند معظم ذلك، وزعزعَ الصنم بالمعاول،

فخرَّ صريعًا، وكانت فرقةٌ تعتقدُ أنه مَناةُ، وأنه تحوَّلَ بنفسه في أيام النبوة من ساحل جُدَّة، وحصل بهذا المكان ليُقصد ويُحَجَّ، مَعارضةً للكعبة، فلمَّا رآه الكفارُ صريعًا مهينًا، تحسرُوا، وسُقِط في أيديهم، ثم أُحرِق حتى صار كِلسًا، وأُلقيت النيرانُ في قصور القلعة، وقُتل بها خمسون ألفًا، ثم سار محمودٌ لأسر الملك «بهيم»، ودخلوا بالمراكب، فهرب، وافتتح محمودٌ عدةَ حصون ومدائن، وعاد إلى غَزنة، فدخلها في ثامن صفر سنة سبع عشرة، ودانت له الملوكُ، فكانت مدةُ الغيبة مائةً وثلاثة وستين يومًا.

◎ وقال عنه السبكي في «طبقات الشافعية»: «أحد أئمة العدل، ومن دانت له البلاد والعباد وظهرت محاسنُ آثاره. كان إمامًا عادلاً شجاعًا، مفرطًا، فقيهًا فهمًا، سمحًا جوادًا. وهو أحد الأربعة لا خامس لهم في العدل بعد عمر بن عبدالعزيز: نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين ونظام المُلك. وممَّا كتبه إلى أمير المؤمنين القادر باللَّه: لقد كان العبد يتمنَّى قلع هذا الصنم، ويتعرَّف الأحوال، فتُوصف له المفاوز إليه، وقلَّة الماء، وكثرة الرمال، فاستخار العبد اللَّه في الانتداب لهذا الواجب طلبًا للأجر، ونهض في شعبان سنة ست عشرة في ثلاثين ألف فارس، سوى المطوعة، وفرق في المطوعة خمسين ألف دينار معونةً، وقضى اللَّه بالوصول إلى بلد الصنم، وأعان، حتى ملك البلد وقُلِع الوثنُ، وأوقدت عليه النار حتى تقطع، وقُتل خمسون ألفًا من البلد. وقد كان محمود افتتحَ قبل ذلك من الهند أماكن منيعة، وغنم أموالاً كثيرة، وكتبَ إلى أمير المؤمنين: إن كتاب العبد صدر في غزنة، لنصف المحرم سنة عشر، والدين مخصوصٌ بمزيد الإظهار، والشرك مقهورٌ بجميع الأقطار، وانتدبَ العبدُ لتنفيذ الأوامر، وتابع الوقائع على كُفار

السند والهند، فرتَّب بنواحي غزنة العبد محمدًا، مع خمسة عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجلٍ، وشحن بلخ وطخارستان بأرْسِلان الحاجب، مع اثني عشر ألف فارس، وعشرة آلاف راجلٍ، وانضم إليه جماهير المطوعة، وخرج العبد من غزنة، في جُمادَى الأولى، سنة تسع، بقلبٍ منشرحٍ، لطلب السعادة، ونفسٍ مشتاقةٍ إلى درك الشهادة، ففتح قلاعًا وحصونًا، وأسلم زُهاءُ عشرين ألفًا، من عُبّاد الوثن، وسلَّموا قدر ألف ألفٍ من الوَرِق، ووقعَ الاحتواء على ثلاثين فيلاً، وبلغَ عددُ الهالكين منهم خمسين ألفًا، ووافى العبدُ مدينةً لهم، عاينَ فيها زُهاءَ ألف قصرٍ مشيدٍ، وألف بيتٍ للأصنام، ومبلغُ ما في الصنم ثمانيةٌ وتسعون ألف مثقال، وقُلِع من الأصنام الفضة زيادة على ألف صنمٍ، ولهم صنمٌ معظم يؤرِّخون مُدَّته بجهالتهم العظيمة بثلاثمائة ألف عام، وقد بنوا حول تلك الأصنام المنصوبة زُهاء عشرة آلاف بيتٍ، فعُنِيَ العبد بتخريب تلك المدينة اعتناءً تامًّا، وعمَّها المجاهدون بالإحراق، فلم يبقَ منها إلا الرُّسوم، وحين وجد الفراغ لاستيفاء الغنائم، حصل منها عشرين ألف ألف درهم، وأفرد خُمس الرقيق، فبلغ ثلاثًا وخمسين ألفًا، واستعرض ثلاثمائة وستة وخمسين فيلاً».

○ قال السبكي في «طبقات الشافعية» (٥/ ٣٢٢ ـ ٣٢٧): «في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة غزا بلاد الهند، وقصد ملكها «جيبال»، في جيشٍ عظيم، فاقتتلوا قتالاً شديدًا، وفتح اللَّه على يديه، وكسر الهنود وأسر ملكهم، وأخذ من عنقه قلادة، قيمتها ثمانون ألف دينار، وغَنم المسلمون منهم أموالاً عظيمةً، وفتحوا بلادًا كثيرةً، ثم أطلق محمودٌ مَلِكَ الهند، احتقارًا له واستهانةً بأمره، مع شدَّة بأسه وعِظَم اسمه، فوصل ذليلاً مكسورًا

إلى بلاده، وقيل: إنه لما وصل ألقى نفسهُ في النار التي يعبدونها من دون اللَّه، فهلكَ. ثم غزا الهند أيضًا في سنة ستٍّ وتسعين وثلاثمائة، فافتتح مدنًا كثيرةً كبارًا، وغنم ما لا يُحصَى من الأموال، وأسر بعض ملوكهم، وهو ملك كراسي، حين هرب منه لمَّا افتتحها، وكسر أصنامها، فألبسه منطقة شدَّها على وسطه، بعد تمنُّعٍ شديد، وقطع خنصره، ثم أطلقه إهانةً له، وإظهارًا لعظمة الإسلام وأهله. ثم غزا عبدةَ الأصنام ثالثًا، في سنة ثمان وتسعين، وفتح حصونًا كثيرة، وأخذ أموالاً جمَّةً، وجواهرَ نفيسةً، وكان في جملة ما وُجد بيتٌ طوله ثلاثون ذراعًا، وعرضه خمسة عشر ذراعًا، مملوءٌ فضةً، ولمَّا رجع إلى غزنة بسطَ الحَواصِل في صحن داره، وأذن لرسل الملوك، فدخلوا عليه، فرأوا ما هالهم. وفي سنة اثنتين وأربعمائة أو سنة إحدى، غزا الكفار أيضًا، وقطع مفازةً عظيمة، أصابه فيها عطش مُفرِط، كاد يُهلِك عسكره، ثم منَّ اللَّه بمطرٍ عظيمٍ رواهم، ووصلوا إلى الكفار، وهم خلائق لا يُحصَون، ومعهم ستمائة فيل، فنُصِر عليهم، وغنم شيئًا عظيمًا، وعاد. ثم غزا في سنة ست وأربعمائة، فغَرَّه أدلتُه وأضلُّوا عن الطريق، فحصل في مائية فاضت من البحر، وغَرق كثيرٌ ممن كان معه، وخاض الماء بنفسه أيامًا، ثم تخلَّص وعاد إلى خُراسان. ثم غزا في سنة ثمانٍ وأربعمائة، وافتتح بلادًا كثيرة. ثم أعاد الغزو في سنة تسعٍ وأربعمائة، وجال في بلاد الكفار مسيرةَ ثلاثةِ أشهر على غزنة. وفي هذه السنة افتتحَ المدينتين العظيمتين: مهرة، وقنوج، وكان فتحًا عظيمًا عزيزًا.

● قال أبو النصر الفامي: «وقِنَّوج هي التي أعيت الملوكَ غير كشتاسب على ما زعمته المجوس، وهو ملك الملوك في زمانه، فزحفَ السلطان محمودٌ

بعساكره، وعبر مياه سيحون وتلك الأودية التي تجلُّ أعماقها عن الوصف، ولم يطأ مملكةً من تلك الممالك، إلا أتاه الرسول واضعًا خدَّ الطاعة، عارضًا في الخدمة كُنه الاستطاعة، إلى أن جاءه جنكي بن سمَّهي، صاحب درب قشمير، عالمًا بأنه بَعثُ اللَّه الذي لا يُرضيه إلا الإسلام أو الحُسام، فضمن إرشاد الطريق، وسار أمامه هاديًا، فما زال يفتتح الصَّياصي والقلاع، حتى مر بقلعة هردب، فلما رأى ملكُها الأرض تموج بأنصار اللَّه، ومن حولها الملائكة، زلزلت قدمُه، وأشفق أن يُراق دمُه، ونزل في عشرة آلاف، مُنادين بدعوة الإسلام. ثم سار بجنوده إلى قلعة كُلْجَنْد، وهو من رؤوس الشياطين، فكانت له معه ملحمة عظيمة، هلك فيها من الكفار خمسون ألفًا، من بين قتيلٍ وغريقٍ، فعمد كلجند إلى زوجته، فقتلها ثم ألحق بها نفسهُ، وغَنِمَ السلطان مائةً وخمسة وثلاثين فيلاً. ثم عطفَ إلى البلد الذي يُسمى المُتعبَّد، وهو مهرةَّ الهند، يُطالع أبنيتها التي ذكر أهلها أنها من بناء الجانّ، فرأى ما يخالف العادات، وهي مشتملة على بيوت أصنام، بنقوش مبدعة، وتزاويق تخطف البصر، وكان فيما كتب به السلطان، أنه لو أراد مريد أن يبني ما يُعادل تلك الأبنية، لعَجَزَ عنها بإنفاق مائة ألف ألف درهم في مائتي سنة، على أيدي عملةٍ كملة، ومهرةٍ سحرة. وفي جملة الأصنام خمسةٌ من الذهب، معمولةٌ طول خمسة أذرع، عينا واحدٍ منها ياقوتتان، قيمتهما أزيد من خمسين ألف دينار، وعلى آخر ياقوتةٌ زرقاء، وزنها أربعمائة وخمسون مثقالاً، وكان جملة الذهبيات الموجودة على الأصنام ثمانيةً وسبعين ألف مثقالٍ. قال: ثم أمر السلطان بسائر الأصنام فضُربت بالنفط، وحاز من السبايا والنِّهاب ما يعجز عنه أناملُ الحُسَّاب. ثم سار إلى قِنَّوج، وخلَّف

معظم العسكر، فوصل إليه في شعبان سنة تسع، وقد فارقها الملك راجيال منهزمًا، فتتبَّع السلطان قلاعها، وكانت على سيف البحر، وفيها قريبٌ من عشرة آلاف بيتٍ للأصنام، يزعُم المشركون أنها مُتوارثة منذ مائتي ألف سنة إلى ثلاثمائة ألف سنة، كذبًا وزُورًا، ففتحها كلَّها في يومٍ واحد، ثم أباحها لجيشه، فانتهبوها، ثم ركض منها إلى قلعة البراهمة، فافتتحها، وقتل بها خلقًا كثيرًا. ثم افتتح قلعة جندراي، وهي التي تُضرب الأمثال بحصانتها.

وهذا هو الفتح العزيز من فتوحاته، ساقه صاحب «اليميني» بأفصح عبارةٍ وأحلاها، فلينظره فيه من أراده، وهو الذي عاد منه في سنة عشرٍ، وأرسل كتابه إلى القادر أمير المؤمنين، وقد ذكرنا بعضه. ثم كان له في سنة أربع عشرة فتحٌ أعظمُ من هذا، أوغل فيه في بلاد الهند، حتى جاء إلى قلعة فيها ستمائة صنم، وقال: أتيتُ قلعةً ليس لها في الدنيا نظير، وما الظَّنُّ بقلعةٍ تسعُ خمسمائة فيل وعشرين ألف دابَّة، ومن يقوم بعلف هؤلاء، ومن يحملونه! وأعان اللَّه، حتى طلبوا الأمان، فأمَّنتُ ملكهم، وأقررتُ على ولايته، بخراجٍ ضُرِب عليه».

ومن مناقبه ـ رحمه اللَّه ـ: «أن العراقيين لم يخرج رَكبُهم إلى الحج في سنة عشر وأربعمائة، وسنة إحدى عشرة، فلمَّا كانت سنة اثنتي عشرة، قصد طائفةٌ يمينَ الدولة محمودًا، وقالوا: أنت سلطان الإسلام، وأعظم ملوك الأرض، وفي كل سنة تفتح من بلاد الكفر ناحيةً، والثواب في فتح طريق الحجِّ عظيم. فاهتمَّ بهذا الأمر، وتقدَّم إلي قاضيه بالتأهُّب للحج، ونادى في أعمال خراسان بذلك، وأطلق للعرب في البادية من خاص ماله ثلاثين ألف دينار».

◎ علماء دين في أفغانستان قراراتهم ملزمة ولهم الكلمة العليا :

لقد رفعت حركة طالبان قدر علماء الدين ووضعتهم في شغاف أفئدة قادتها، وأول خطوة خطتها هي تشكيل مجلس شورى علماء أفغانستان، ولأول مرة يعطى لعلماء في عصرنا مثل هذا الدور ومثل هذه الأهمية، وأن يقرروا هم المصير السياسي لدولتهم في أدق الأمور، بعد أن صار إبعادهم عن الأمور السياسية أمرًا تقليديًّا في العصور الأخيرة.

وقرارات العلماء في ذلك ليست استشارية بل إنها قرارات ملزمة، وهذا المجلس الذي شكل في أفغانستان للعلماء، أنا أعتبره أقوى وأعظم من مجلس الشيوخ الأمريكي الذي يُختار أعضاؤه في انتخابات مزورة تعتمد على رؤوس الأموال والرشاوى في الحملات الانتخابية، أما مجلس علماء أفغانستان فليس هناك أي تزوير أو أي رشوة أو محسوبية، بل يُختارون من خلاصة العلماء البارزين والمعروفين من جميع العرقيات، ومن جميع الولايات، وهذا جاء امتدادًا للترابط مع علماء باكستان.

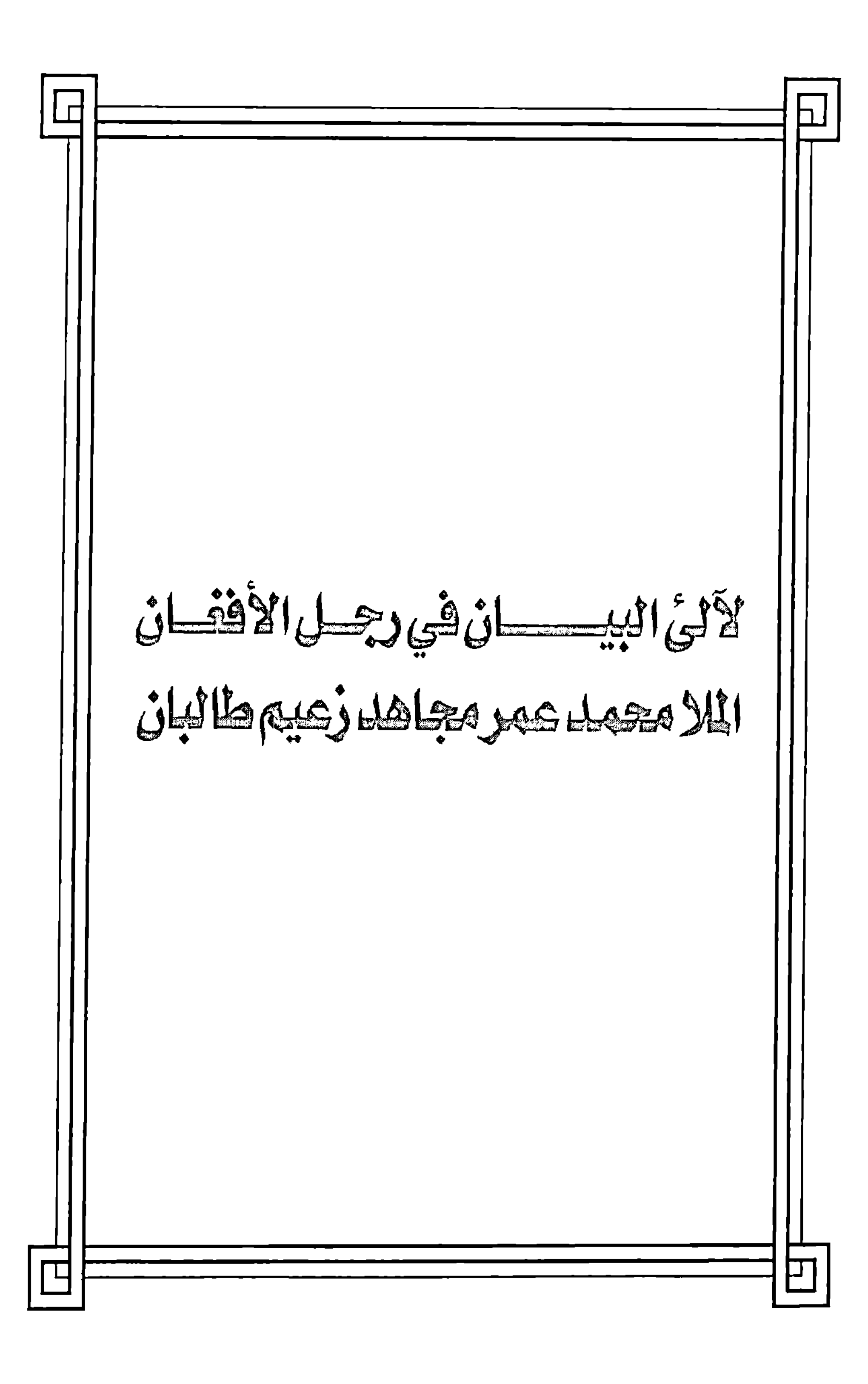
◎ يقول الأخ مولوي عزيز الرحمن عبدالأحد السفير السابق لطالبان بدولة الإمارات العربية في حواره مع «مجلة البيان»: «باكستان أو ما يسمى القارة الهندية، كان للعلماء دورهم وجهادهم فيها ضد الإنجليز، فهم أدوا دورًا مهمًا في إخراجهم، ولا يزال لهم دورهم في هذه القارة، ولهم استقلاليتهم، ولهم منظماتهم، ولهم مدارسهم الخاصة التي تدرس دون أي وصاية حكومية؛ فهم أحرار وإلى اليوم، ويدافعون عن هويتهم في مدارسهم وفي مناهجهم، وهم الذين هيؤوا المجموعات الجهادية الكشميرية، والجهاد السابق ضد الشيوعية في أفغانستان هم الذين أفتوا بفرضيته ضد روسيا،

واليوم بين إمارة أفغانستان وبين علماء باكستان علاقات قوية ومتينة، وكثير من علماء باكستان هم أساتذة لقيادات إمارة أفغانستان، وقد درسوا في مدارسهم؛ فالترابط بينهم ديني وعقدي وليس ترابطًا ماديًّا، أو عرقيًّا أو قبليًّا.

ولا ننسى لعلماء باكستان أنهم أصدروا قريبًا فتوى بوجوب مناصرة الشعب الباكستاني لإمارة أفغانيستان، وأفتوا بوجوب انضمامهم إليهم في الجهاد، وأفتوا بتحريم التعاون مع أمريكا في حربها ضد أفغانستان، ومعروف أن لعلماء باكستان تأثيرًا على رجل الشارع ولهم تأثيرهم على الدولة، وقد رأيتم تفاعل الشارع الباكستاني مع دعوات العلماء بوجوب النصرة لشعب أفغانستان، وظهر أثر ذلك في حرص الحكومة الباكستانية على إخفاء تفاصيل تعاونها مع التحالف الأمريكي؛ فمواقف العلماء سواء في أفغانستان أو في باكستان هي ساعد قوي وكبير لنا سيكون له تأثير كبير في مجريات الأحداث بإذن اللَّه»[1]

* *

(١) «مجلة البيان» العدد (١٦٩) ص(٨٥ ـ ٨٦).



لآلئ البيــان في رجــل الأفغــان
الملا محمد عمر مجاهد زعيم طالبان

لآلئ البيان في رجل الأفغان
الملا محمد عمر مجاهد زعيم طالبان

وُلد أسد الأفغان الملا محمد عمر في قرية روزجان بمقاطعة مواعند، التي تبعد عن قندهار نحو ١ كيلو متر عام ١٩٦٠م. ودرس في كلية دار العلوم الحقانية الدينية في باكستان.

سقطت كابول في يديه في ٢٦ سبتمبر ١٩٩٦م واستطاع تخليصها خلال ثلاث ساعات من قبضة العصابات الجهادية. وعاد إلى قندهار التي أصبحت بمثابة العاصمة الدينية.

● يقول الملا عمر: «حملنا السلاح لتحقيق أهداف الجهاد الأفغاني وإنقاذ شعبنا من المزيد من المعاناة على أيدي ما يُسمى بالمجاهدين، إيماننا باللّٰه مطلق يستطيع أن ينعم علينا بالنصر ويثبت أقدامنا أو يبتلينا بالهزيمة».

● «يقول الملا محمد رحماني محافظ قندهار السابق، وهو من كبار قادة طالبان، وفقد ساقه اليمنى في الحرب ضد الروس: إن حكومة طالبان جاءت بالأمن والاستقرار إلى المدن الأفغانية، بعد القضاء على الحرب الأهلية بين زعماء الجهاد المتناحرين على السلطة، ومن أجل تحقيق الأمن ضحّت بدماء زكيّة وغالية.

يقول رحماني: إن الملا عمر هو خبير مضادات الدروع «آر بي جي» في سنوات الجهاد ضد الروس، وكان يعرف بين إخوانه في سنوات الجهاد بأنه صائد الدبابات. وكثير من إخوانه يذكرونه فهو مقاتل شجاع اصطاد أكثر

من ٥٠ دبابة روسية، وفقد عينه اليمنى بسبب شظايا المدفعية الموجهة إليه، ولكن الملا عمر الذي يرفض جراحة تجميل يعيش عيشة بسيطة بعيدة عن الترف والرفاهية، يعتبر إصابته وسام شرف على صدر كل مسلم. ويتطلع لتحقيق أعلى مراتب الإسلام وهي الجهاد في سبيل اللَّه.

وقال: إن قادة طالبان وفي مقدمتهم الملا عمر لا ينامون الليل، فالبلد ما زال في حالة حرب متواصلة منذ أكثر من ٢ عامًا على الجبهة الشمالية ضد قوات أحمد شاه مسعود الذي تم اغتياله قبل شهر من الحرب الأمريكية ـ الأفغانية، وكذلك كثيرًا ما تجد قادة الحركة الحاكمة يذهبون إلى الأحياء الشعبية للاطمئنان على حالات الأفغان والاستماع إلى شكواهم»[1]

• يقول الملا عمر في حديث مع مجلة «الإمارة» الإسلامية في أفغانستان: إننا نقاتل مسلمين إذا انحرفوا، كيف يمكننا السكوت بينما نرى جرائم ترتكب ضد نسائنا وفقرائنا، ويضيف في المجلة التي تتحدث باسم حركة طالبان وتصدر بصورة شهرية باللغات العربية والبشتونية والإنجليزية: «نحن لسنا ضد تعليم المرأة، ولكننا نريد أن يضبط تعليمها بالضوابط الشرعية»، وتحدث الملا عمر عن نفسه في موقع الإمارة الإسلامية بقوله: «لقد واجهت اليتم في سن مبكرة، وكان عمري وقتها ثلاث سنوات، ثم نشأت وتربيت على يد أعمامي، وتلقيت العلوم الدينية منذ الصغر إلى أن بلغت الثامنة عشرة أو التاسعة عشرة، ويضيف: عندما قام الشيوعيون بالانقلاب شاركت في الجهاد ضدهم وجرحت مرة واحدة قبل دخول الروس

---

(١) «قرآن وسيف» ص(١٥٠).

إلى أفغانستان، ثم جرحت ثلاث مرات في الجهاد ضدهم»[1]

وننقل هنا الحوار الي أجراه فرّاج إسماعيل من «المجلة اللندنية» ونشرته مجلة «المختار الإسلامي» في عددها (٢٢٩) ـ السنة ٢٣ ـ ١٥ رمضان ١٤٢٢هـ ـ ٣٠ نوفمبر ١ ٢م:

○ الملا محمد عمر: لست معزولاً وأنا جاهز للموت والأسلحة لدينا كثيرة.

الدخول إلى أفغانستان من الصعوبة بحيث إما أن تفقد حريتك، كما حصل مع الصحافية الإنجليزية والصحافي الفرنسي، أو أن تخاطر بحياتك على الطريق.

○ حوار: فراج إسماعيل:

ولما كانت التغطية تستأهل الوقوف على حقيقة ما يجري ويدور، فقد قررت الدخول والمجازفة، واستعنت على الطريق الوعرة من كويتا إلى قندهار بسيارة لم تكن أحسن حظًا من الطرقات والمسالك التي عرجناها للوصول إلى العاصمة السياسية للإمارة الأفغانية. كان الطريق محفوفًا بالمخاطر ومليئًا برائحة الرعب والخوف.

هناك. عشت كأفغاني في ثياب الأفغان يتنقل إلى الداخل عبر طريق يعرفها المهربون الذين كنت للحظات واحدًا منهم. وبوصولي إلى قندهار تلمست طريقي من خلال بعض الأصدقاء والعلماء ورحت أبحث عن جواب شاف لأسئلة محيرة لا يملك الإجابة عنها سوى الملا محمد عمر الذي سبق لي أن التقيته في زمان سابق إبان الحرب ضد السوفيت.

---

(١) «المصدر السابق ص(١٤٩).

قبل ٤٨ ساعة من بدء الهجوم الأمريكي - البريطاني على أفغانستان، حرص زعيم طالبان على أن يؤم الناس ويلقي الخطبة في صلاة الجمعة بمسجد «سركالي» الذي يقع بجوار مبني للأمم المتحدة في قندهار، وهكذا اعتاد أسبوعيًا بوصفه «أمير المؤمنين» كما يلقب رسميًا من حركته الحاكمة والعلماء الذين يحيطون به.

تحدث في خطبته عن الجهاد وأهمية الدفاع عن العقيدة. وبدا وكأنه ينتظر الموت خلال أيام قليلة. لم يظهر على وجهه أي خوف أو قلق بل قال للمصلين الذين احتشدوا في المسجد والمنطقة المحيطة به: إنه سيظل يعيش بينهم، لن يترك بيته أو مكتبه الذي يدير منه أفغانستان حتى يسقط. وحتى كتابة هذه الرسالة ما زال الملا عمر يقاتل مع جنود حركته في قندهار، فبعد الصاروخ الأول الذي ضرب مطار المدينة ومركز قيادة طالبان المجاور له، خرج من بيته الصغير الذي يشبه البيوت القروية العتيقة في وسط المدينة إلى مكتبه في المبنى الذي كان مخصصًا لوالي قندهار قبل مجيء طالبان إلى الحكم.

في المكتب يتربع على أريكة متوسطة الطول بينما يجلس أمامه بطول وعرض الغرفة على وسائد تشبه الجلسات العربية، مسئولوه ومستشاروه، وكلهم من علماء الدين الحاصلين من المعاهد الدينية الأفغانية والباكستانية على لقب «الملا».

ينتمي الملا محمد عمر زعيم طالبان إلى «قندهار» معقل طالبان والتي أصبحت عاصمة سياسية لأفغانستان، تدار منها شئون الحكم وتُتخذ فيها القرارات المصيرية.

ويبرر مسئولو طالبان ذلك بأنها كانت عاصمة أول خلافة إسلامية في أفغانستان.

بينما قال الملا عمر: إنه لم يتعود على تركها حتى في فترة الجهاد ضد روسيا، وأنه من الصعب أن يعيش بعيدًا عنها.

الرجل الذي يروج الإعلام العالمي الأساطير حوله ويصفونه بـ «الشبح» وأنه قد يكون غير موجود في الحقيقة، والعبارة الأخيرة نسبتها مجلة «نيوزويك» الأمريكية مؤخرًا لبعض التجار في كابل.

هذا الرجل عندما تلتقيه تبدو صورته مختلفة عن الصور التي نشرت له، رغم ندرتها، فهو يرفض الصور الفوتوغرافية تمامًا كما تعتبرها حركة طالبان شيئًا محرمًا، وهو نفس منهج أساتذتهم من علماء المعاهد الباكستانية، وما نُشر له في بعض الصحف الباكستانية هي صور لأشخاص آخرين لا يشبهون شكله أو هيئته.

هو في الخامسة والأربعين من العمر، هادئ قليل الكلام، فقد عينه اليمنى في معارك الجهاد ضد الروس، طويل الجسم، نحيف، ذو لحية سوداء كثيفة، الزي الذي يرتديه ينتهي بعمامة سوداء، وهو نفس الزي الذي يتميز به رجال طالبان.

لا يميل إلى مجالسة الغرباء إلا إذا كانت زيارات عمل قصيرة. يكره الأحاديث الصحافية لدرجة أن مستشاريه يقولون: إنه منذ قيام حركة طالبان لم يدل بحديث صحافي مباشر، لكنه يتوجه إلى الأمة الأفغانية بين الحين والآخر بأحاديث عبر إذاعة صوت الشريعة المعبرة عن حكومته، مثل الحديث الذي وجهه قبل الغارات الجوية على بلاده بيوم واحد.

وعلى الرغم مما يُقال عن عزلته وانطوائيته فإن أهالي قندهار يعرفونه جيدًا ويتحدثون عنه وعن الحراسة القليلة التي تحيط بمنزله.

هذا الحديث النادر للملا محمد عمر الذي تنفرد «المجلة» بنشره لم يكن ليتم إلا بواسطة مجموعة من العلماء الذين يحبهم ويثق فيهم، وهو يقدم مفاتيح عن هذه الشخصية الغامضة لدى الكثيرين، خصوصًا أنها انغلقت على نفسها وأدارت ظهرها للإعلام.

تعلم الملا عمر في المعاهد الدينية في أفغانستان مثل أبناء العائلة التي ينتمي إليها لكنه توقف قليلاً عن التعليم قبل عام واحد من نيلة الشهادة العالمية التي تجيز لحاملها لقب «الملا» بفعل انخراطه في الجهاد ضد الاحتلال السوفيتي لبلاده.

وبقي في هذه الأثناء عاكفًا على الدراسة الدينية، وبعد انسحاب الروس وسقوط النظام الحليف لهم بقيادة محمد نجيب الله في كابل أصبح مفتيًا ومعلمًا للدين في مسجد «سركالي». وبسبب علومه منحته بعض المعاهد الدينية شهادة «الملا» الإعزازية، أي الفخرية التي أصبح بمقتضاها «ملا».

يعتمد عمر في حكمه على مجلس من «الملالي» يمثلون كبار علماء أفغانستان، ومعظمهم أكبر منه سنًا، وقد عُرضت على هذا المجلس مسألة تسليم ابن لادن التي طرحتها الولايات المتحدة كشرط لعدم شنها الحرب، فأفتى المجلس بتخيير بن لادن بين البقاء والرحيل.

◉ التمسك بابن لادن:

لماذا عرض ويعرض الملا عمر نفسه وأبناء بلده للموت في سبيل مسألة

تتعلق بشخص واحد؟ وهل الحفاظ على حياة هذا الشخص تعادل حياة ومصالح ٢٧ مليون أفغاني، وتستحق أن تفقد طالبان السلطة بسببها؟ وما هي هذه التقاليد والقيم التي تمنع الملا عمر من التفريط في بن لادن، وتتجاوز القاعدة الشرعية المعروفة التي تدفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر؟ هذه الأسئلة وغيرها عرضناها على الملا عمر في هذا الحوار النادر:

• أعلنت مباشرة بعد الدفعة الأولى من الصواريخ التي ضربت كابول وقندهار أن الجهاد أصبح فرض عين، فما هي القاعدة التي اعتمدت عليها؟

ـ مجلس علماء أفغانستان أصدر فتوى من قبل بأن الجهاد يصبح فرضًا على جميع المسلمين إذا هاجمت أمريكا وحلفاؤها الأراضي الأفغانية. لذلك أنا طبقت الفتوى بمجرد بدء الهجوم.

• لست صنيعة باكستان.

• ما هي مشاعرك الآن وأنت محاصر من الجميع لا سيما باكستان التي كان يُعرف دورها في دعم طالبان؟

ـ أعرف أنه يقال: إن باكستان فرضت حركة طالبان على أفغانستان وأتت بشخص غير معروف، وهو أنا، ليكون زعيمًا للحركة لتسهل لها السيطرة عليها، لكن الأحداث الأخيرة وعدم مساندة باكستان لنا أثبتت أن طالبان خرجوا من صف الشعب الأفغاني من أجل الحفاظ على مصالحه والقضاء على حروب الأحزاب التي زادته فقرًا ونشرت الدمار والتخلف في البلاد ومجتمعها، ومن أجل نشر الأمن والاستقرار وحماية الأعراض، فلا أنا ولا حركتنا صنيعة باكستان.

◎ هل أصبحت أفغانستان آمنة ومستقرة في ظل هذه الظروف؟

- منذ أن بدأ حكم طالبان والناس يشعرون بالأمان والاطمئنان على حياتهم وحرماتهم. يسيرون في الطرقات ليلاً أو فجرًا بدون أن يخشوا شيئًا، وهذا لم يكن متوفرًا قبل طالبان.

◎ نريد أدلة.

◎ لكن الناس الآن يفرون خوفًا من الهجمات الأمريكية ومن الموت، فلماذا لا تسلم أسامة بن لادن حقنًا لدماء الأفغان؟

- نحن قلنا: نريد دليلاً قاطعًا أو برهانًا على تورط «الشيخ» أسامة (هكذا يناديه الملا)، في أحداث أمريكا الأخيرة، لكنهم لم يقدموا أي شيء، فكيف أسلمه وهم أعلنوا مسئوليته بعد ساعة واحدة من وقوع هذه الأحداث. وإلى الآن لم يقدموا أي دليل يؤكد بصورة قاطعة إدانته.

◎ هل أنت واثق من براءته ومن معه رغم تهديداته السابقة وتلميحاته الصريحة؟

- أحداث أمريكا الأخيرة لا يملك أسامة ولا طالبان ولا أي دولة إسلامية أخرى إمكانات تنفيذها. إني أعتقد أن المنفذين هم من داخل أمريكا نفسها.

◎ كيف؟

- مثلاً، لماذا لم تأخذ التحقيقات في الاعتبار غياب أربعة آلاف يهودي يعملون في برجي مركز التجارة العالمي بنيويورك في نفس يوم الحادث؟!

◎ لكن أمريكا تقول: إن أسامة ومنظمة القاعدة يمكنهم من أفغانستان

توجيه خلاياهم المنتشرة في العالم وفي أمريكا نفسها؟

ـ أولاً: أسامة ومن معه تحت سيطرتنا ورقابتنا الكاملة، ولا يمكنهم أن يفعلوا أي شيء بغير إجازة من طالبان.

ثانيًا: هم لا يملكون أي وسائل للاتصال، بل إن هذه الوسائل غير متوفرة لنا في طالبان.

◎ لماذا لا تخرجه أو تسلمه لتنهي هذه الأزمة؟

ـ لا أخلاقنا ولا ديننا يقولان ذلك، «الرجل» شاركنا في الجهاد ضد السوفيت وأنفق ماله لذلك، وكذلك غيره من ضيوفنا المسلمين، جميعهم لهم حق الضيافة ما داموا ملتزمين بنظمنا وتقاليدنا، وهم لم يخرجوا عن ذلك، نحن نريد دليلاً قاطعًا على تورط أسامة حتى يمكن أن نسلمه، وعلى هذا التقت كلمة علماء المسلمين.

◎ من هم هؤلاء العلماء؟

ـ مجلس علماء أفغانستان الذين طلبت منهم الفتوى في المسألة.

◎ هل تنفذ ما يقولون؟

ـ نعم، فقد ارتضينا الشورى لحياتنا وحكمنا.

◎ الهجوم الأمريكي:

◎ هل أنت واثق من أنك ستنتصر؟

هناك آيتان من القرآن الكريم أقرأهما في كل وقت، هذه ليست حربًا بين الملا عمر وأمريكا بل هي حرب دينية.

◎ هل تنتظر أن تقتل في هذه الحرب؟

- لقد أعددت نفسي لذلك، لكن موتي لن ينهي الحرب، فلو ذهب الملا عمر سيأتي غيره كثيرون، لقد سألت العلماء: هل يحق لنا أن نترك الجهاد من أجل حياتنا ومصلحتنا؟ فقالوا: إن هذا لا يجوز.

◎ القبائل تؤيدنا:

◎ قيل: إن هناك انشقاقات على طالبان وأن كثيرًا من الناس والقبائل يبدون انزعاجهم؟

- هذا ليس حقيقيًّا، الناس والقبائل معنا وكلهم مستعدون للحرب، كما أن رؤساء جميع القبائل اجتمعوا في الآونة الآخيرة في قندهار وتعاهدوا على ذلك، الجميع يدركون أن أخطاء أمريكا كثيرة، إنها تظلم الناس في فلسطين، وفي أي جهة يعيش فيها مسلمون، كيف تساند أمريكا إسرائيل في قتل الفلسطينيين؟ إن هذا ظلم.

◎ التحالف الشمالي يساند أمريكا وهو يهاجمكم الآن ويحرز انتصارات عليكم، وبالطبع هم يمثلون قبائل أفغانية، فكيف تفسر ذلك؟

- هذا التحالف يحاربنا من قبل التهديدات الأمريكية، إنه تركيبة لا تمثل الشعب الأفغاني، ففيها الشيوعيون مثل دوستم، وفيها من يحارب من أجل السلطة والمال على حساب البلاد والعباد. إن هؤلاء لا نعبأ بهم وسينالون نفس مصير الذين تحالفوا مع الغزو الروسي، وفي المقابل هناك معارضون مثل المهندس قلب الدين حكمتيار الذي أعلن انضمامه برجاله معنا ضد الهجوم الأمريكي.

ο ماذا تشعر حاليًا وأنت تقود رجالك في حرب غير متكافئة؟

ـ شعوري كما هو، فأنا أدرك أن محصلة ما نحن فيه النصر أو الموت، وكلاهما من تقدير اللَّه. إنني قريب منه لذلك أحس بالأمان والاطمئنان، أما الذين يضربوننا الآن ويريدون بنا شرًّا فعليهم أن يدركوا أن طبيعة الإنسان الأفغاني الجهادية وجغرافية أفغانستان يجعلان من بلدنا مقبرة للغزاة، فقبل مائة سنة هزمنا الإنجليز، وقبل سنوات قليلة هزمنا روسيا.

ο لدينا الأسلحة:

ο لكن أوضاع المجاهدين التسليحية في الحرب ضد الاحتلال الروسي كانت أفضل منها حاليًا، ألا يؤثر ذلك على طالبان؟

ـ عندما بدأنا الجهاد ضد الروس كان عدد المجاهدين قليلاً، وكانت هناك حكومة في كابول موالية للروس، ولها جيشها بأسلحته ودباباته وطائراته، وبالمقارنة نجد الآن أن الوضع أفضل كثيرًا، كما أن الخبرة القتالية طويلة والأسلحة متوفرة.

ο هل عندكم من الأسلحة ما يكفي؟

ـ عندنا الكثير والحمد للَّه، لكننا لا ننظر للعدد أو العتاد، بل لما نتمتع به من إيمان.

ο لكن أين هو سلاح هؤلاء الجنود فيما المدن الأفغانية يهجرها سكانها خوفًا من الحرب؟

ـ إنهم يذهبون بأطفالهم ونسائهم إلى أماكن بعيدة عن الحرب، ثم يعودون للقتال، أما من يريد الحياة فليذهب.



◎ هل أصبحتم تعانون اقتصاديًّا بعد إغلاق باكستان حدودها معكم؟

- موقفنا الاقتصادي جيد، والأسواق مليئة بالسلع والأسعار غير مرتفعة.

◎ لم نمنع تعليم المرأة:

◎ لماذا تضطهدون المرأة وتمنعونها من التعليم؟

- هذه أكاذيب يروجها خصومنا، المرأة لها حقوقها التي قررها الإسلام، نحن لم نمنعها من التعليم بل رتبنا لتعليمها بحيث لا يكون مختلطًا مع الرجال، منعناها مؤقتًا لأنه لم تكن هناك مدارس أو معلمات بصورة كافية لتعليم غير مختلط، ورويدًا رويدًا بدأنا فتح مدارس لهن وفق توافر الإمكانات، وطالبان لا يمنعون تعليم المرأة بدليل أن أحمد جان وزير الكهرباء له ابنتان تدرسان في جامعة حفصة بإسلام آباد حيث يتوفر التعليم غير المختلط، وكذلك يفعل آخرون.

◎ ألم تمنعوها من العمل؟

- هذه أيضًا دعايات خاطئة، فالمرأة عندنا تخرج بحجابها إلى الشارع والأسواق، وتعمل في المجالات غير المختلطة والمناسبة لها مثل الطب والتمريض والتدريس.

◎ رغم مضي سنوات على حكم طالبان لا توجد صحافة في أفغانستان؟

- من قال ذلك؟ توجد حوالي ١٢ صحيفة يومية أو أسبوعية أو شهرية في كابول وقندهار، وهناك إذاعة الشريعة.

◎ لماذا أغلقتم التليفزيون؟

- في أفغانستان ظروف ومشاكل يجب أن نوجه لها ما عندنا من إمكانات، الناس تحتاج أولاً إلى البيوت والطعام والماء والعناية الصحية والعلم، وهذه الأولويات ضرورية جدًّا، لمجتمعنا حالة خاصة لا يمكن مقارنتها بمجتمعات أخرى.

◎ لماذا تعزل نفسك عن الناس؟

- بالعكس فأنا أقابل الناس وألتقي بالعلماء، وفي العيدين أتلقى تهاني المهنئين وأهنئهم.

◎ هل هناك تغير في حياتك حاليًا؟

- لم يتغير شيء أعيش في بيتي، وأمارس البرنامج اليومي بشكل طبيعي.

◎ هناك اتهام لطالبان بالتشدد الديني مع الناس؟

- نحن لا نتشدد، والأفغاني بطبيعته إنسان متدين.

فراج إسماعيل

المجلة اللندنية.

* * *

◎ رؤية الملا عمر للتهديدات الأمريكية:

«عبر البريد الألكتروني تم توزيع نص الرسالة التي وجهها زعيم حركة طالبان (الملا محمد عمر مجاهد) إلى الأمة الإسلامية والشعب الأفغاني ودعاهم فيها إلى الذود عن الإسلام وعن أفغانستان عندما كانت تتعرض لما أسماه بالهجوم الجديد من الإمبراطورية الثالثة (أمريكا) هجوم لا علاقة له بملاحقة أسامة بن لادن بل بتدمير دولة وشعب مسلم كما قال، وفيما يلي نص الرسالة:

إلى أمة الإسلام وإلى الشعب الأفغاني الغيور!! هذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا. كلكم على علم أن الإنجليز هجموا على أفغانستان. فبأي حق هجموا على أفغانستان؟ هل كان هناك أسامة؟ وكذلك هجم الروس على أفغانستان، هل كان هناك أسامة؟ وهذه هي الإمبراطورية الثالثة تهجم علينا، وكلكم على علم أن المسألة ليست قضية أسامة، وإنما هي قضية الإسلام. فهم يعادون الإسلام والمسلمين، صحيح أنه كانت هناك تفجيرات في أمريكا للطائرات، ولكن كل أحد يدرك أن رجلاً واحدًا، ولا سيما إذا كان مهاجرًا ووحيدًا لا يستطيع أن يكون وراء هذه الانفجارات الكبيرة المنظمة. وهذا لا يمكن أبدًا، والمدبرون لهذه الانفجارات تعلمهم أمريكا، ولكنها لا تتهمهم، وبدلاً من ذلك توجه الاتهامات كلها إلى أفغانستان وإلى الإمارة الإسلامية؛ لأنهم يعلمون أن في أفغانستان نظامًا إسلاميًا واقعيًا حقيقيًا. وهذا يعتبرونه خطرًا عظيمًا عليهم، وهم مدركون لهذا الخطر.

اعلموا أن المخرج من هذه الأزمة هو الاعتماد والتوكل على اللَّه والصبر والثبات، فهذا هو الطريق الوحيد فإذا هاجمتنا أمريكا بـ(كروز) أو

غيره وهجمت على البلاد، فلا بد من مواجهتها والتصدي لها.

وإذا كان اللَّه أراد هذا فلا بد أن يقضى، والمخرج هو التوكل على اللَّه والتصدي للعدوان، فعلى المسلمين أن يفكروا وينظروا إلى الإسلام وإلى حميتهم الإسلامية وألا يخافوا ولا يحزنوا، فلا بد من هذه المشاكل والذي يموت من أجل دينه ومن أجل الإسلام، فهذه لذة وسعادة تفوق كل لذة وسعادة في الدنيا؛ لأنه لا مفر من الموت، فإذا كان الموت من أجل الإسلام فذلك هو الفوز العظيم، فليثبت المسلمون وليصبروا وليتوكلوا على اللَّه، قال اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهل نعتمد على قول اللَّه تبارك وتعالى، أم على قول أمريكا؟!

إن الإيمان ليس دعوة باللسان فقط (أن نقول: نحن مسلمون) بل اللَّه يمتحننا بالمواجهة مع الكفر وأمريكا، وناظر كيف نعمل، فاللَّه تبارك وتعالى يمتحن إيماننا وغيرتنا على الدين، وإلا فإنه يسهل على اللَّه تبارك وتعالى أن يهدم أمريكا بأسلحتها وقوتها فلا يبقى منها شيء، وإذا كانت المشاكل لا بد من أن تقع، فلتقع، ومن الذي لا تأتي عليه المشاكل؟

الإنجليز والروس قتلوا الملايين من شعبنا، ولكن اللَّه أهلكهم بسبب تضحياتنا، وإن لم تضحوا وتغاروا على دينكم فانظروا إلى الدول في العالم، سلب منهم إيمانهم وغيرتهم وسلب منهم كل شيء، لماذا نخاف ونحن الذين هزمنا إمبراطوريتي الإنجليز والروس بأيدي شعبنا، ومُزِّقوا كل ممزق؟! أفغانستان هي أفغانستان السابقة، وغيرتها هي غيرتها السابقة، ودينها هو دينها السابق، وإيمانها هو إيمانها السابق، فما هو المشكل إذن؟ إنه لا أكثر من أن يموت الناس، فليموتوا لكن مع الإيمان والإسلام فليس في هذا غضاضة،

وإنما المصيبة الكبرى أن يسلب منهم الإسلام ويموتوا بغير الإسلام والإيمان، فلا يخف أحد، وليكن كل أحد على استعداد للقيام بأي عمل يكلف به عند الحاجة، وأي تضحية دون إيمانه ودون دينه ودون كلمة (لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه) فلينو كل أحد هذا وليعزم عليه، فاللَّه ينصركم ويقضي على جميع الفتن والبلايا.

إنكم إن جبنتم ولم تغاروا على دينكم، فعليكم أن تنظروا إلى تاريخ أجدادكم الأمجاد، وانظروا إلى هؤلاء المعوقين الذين قطعت أطرافهم في الجهاد ضد الروس، كيف غاروا على دينهم وكيف سووا الإمبراطورية الروسية بالأرض، وأنتم ترون المجاهدين وهم أحياء، إن ما يحصل هو تدبير وإرادة من اللَّه تبارك وتعالى فلا تخافوا ولا تحزنوا ولا تلوموا الطالبان، ولا أسامة، فأقسم بوحدانية اللَّه أننا لو سلمنا أسامة إليهم لا تنتهي المشكلة، وسيقولون: بعده لماذا فعلتم هذا أو ذاك؟ افعلوا هذا، وافعلوا هذا كما نقول ونأمركم، فأين يكون إيماننا وديننا في تلك الحالة؟!

وهذه التفجيرات ما قام بها أسامة، ولا يستطيع أن يدير انفجارات منظمة ودقيقة، وإنما قام بهذه الانفجارات أشخاص ضحوا بأنفسهم، ولا أحد يضحي بنفسه لأجل أسامة، والذي يضحي بنفسه لا يضحي من أجل أسامة، وإنما يضحي بنفسه لقناعته الشخصية فهو لا يخاف من أمريكا ولا من أحد، فلا يفعل هذا أحد لإرضاء أسامة ولا يمكن أن يكون هذا من أسامة.

هذه فقط وفقط هي الإمبراطورية الثالثة تفرض نفسها على العالم، ويغريها بذلك ويزينه لها العلمانيون وضعاف الإيمان الذين يقفون بجانبها، بل

وقف إلى جانبها من يفترض أنهم أعداؤها، لقد وقف الجميع ضدكم!!

فعلى كل مسلم أن يتذكر إيمانه ودينه ويثبت في جميع الأحوال، وإلا كان في قلق واضطراب ولا ينجيه ذلك من الموت؛ لأن الموت لا بد منه، إنه يجب أولاً على المسلمين في جميع أنحاء العالم أن يغاروا على دينهم ويذودوا عنه وعن أفغانستان وأن يستعدوا لكل تضحية من أجل الإسلام، وإن لم يفعلوا فعلى شعب أفغانستان أن يثبتوا على إيمانهم وغيرتهم وشجاعتهم ويجددوا تاريخهم الجليل. عندما هجم الإنجليز على أفغانستان، وعندما هجم الروس لم أكن أنا ولا أسامة بن لادن، وقد تصدى لهم الشعب الأفغاني بكل شجاعة، دون أن آمره أنا أو أسامة بذلك، ولكن الشعب الأفغاني ضحى وغار على دينه وإيمانه، وهذه الآن وأيضًا حلقة من سلسلة هذه المواجهات. فيجب على كل مسلم أن يثبت ولو كلفه ذلك حياته فهذا هو طريق الفوز، ولا شك في هذا، وليعتمد كل مسلم على ربه وليثق بقوله اللَّه تبارك وتعالى: ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. إن الإيمان ليس دعوى باللسان فقط «أن يقول الإنسان: أنا مسلم» دون أن يخلص أو يصدق. فلا بد من الإيمان الواقعي، وبعد الإيمان الواقعي يكون الفوز حليفك، وهذا وعد من اللَّه تبارك وتعالى ولا يخلف اللَّه الميعاد.

إنني لا أخاف ولا أداهن أعداء الإسلام والمسلمين وسلطتي وحكمي ورئاستي حتى حياتي في خطر، وأنا مستعد لكل تضحية إن شاء اللَّه، ولو أنني أداهن الكفار وأسالمهم مخالفًا للإسلام فسيؤمنون لي الإمارة والسلطة ويمدونني بالمال، وأكون في سعة ورخاء كما يعاملون رؤساء سائر البلاد، ولكنني أضحي حتى بنفسي وأغار على دين الإسلام وعلى هذا الوطن

المبارك، فما بال فرد من الأفرد العاديين الذين ليس عندهم ما يخافون عليه لا يغار على دينه ووطنه ويخاف ولا يحضر الجهاد ويفر خارج البلاد؟ فما بالهم وليس عندهم ما يخافون عليه، عجبًا!!

إن حكمي وسلطتي وحياتي كلها في خطر، ومع هذا أغار على ديني وأدافع عنه. فما بالك أنت لا تغار على دينك وتخاف؟ إن هناك ضعفًا وهوانًا في إيمانك، فإن كنت مؤمنًا حقًّا يكون الإيمان عزيزًا عظيمًا عندك، فعليك أن تضحي في سبيله.

إنني مستعد لكل هذه التضحيات إن شاء اللَّه، فأعجب منك كيف لا تستعد!! فإن كان عندك إيمان أو غيرة فلتثبت، وإلا فلا أبالي بك ولا أسمع لك، ولماذا أستمع لك وليس عندك غيرة ولا إيمان؟ أنت تشير عليَّ أن أفعل هذا، ودع هذا، فإن كان معك إيمان فلا تتنازل عن دينك وإيمانك، ولا تقبل فيه ما هو خطر على الإيمان والإسلام واستقلال الوطن، فإذا كنت تتنازل عن كل شيء وتقبل كل شيء فظاهر أن فيك ضعف إيمان. فيجب عليك أن تقوي إيمانك وتعيد النظر في منهجك؛ لأن الذي معه إيمان قوي ويريد أن يحافظ على إيمانه فلا يقبل أمرًا يكون فيه خطر على الإيمان والإسلام، فيجب على كل مسلم أن يفكر بعمق ويغار على الإسلام والقرآن. فاللَّه رؤوف رحيم وسوف يكرمنا بالفوز، والفوز الأكبر هو الموت على الإيمان بدون شك، وهذا هو طريق رفع راية الإسلام وليس رفع راية الإسلام ولا رفع كلمة لا إله إلا اللَّه محمد رسول اللَّه في غير هذا الطريق، في غير هذا الطريق هدم للإسلام؛ لأن هدم الإسلام أن تقبل ما يقوله الكفار ويأمرونك به، فهذا هو طريق هدم الإسلام، وأنت بفعلك هذا سويت اسم الإسلام

وقدره بالأرض.

لا تسقط راية الإسلام بالموت والتضحية، وإنما تسقط بأن تقبل ما يخالف الإسلام ويكون فيه خطر على الإسلام، عندما يكون هنا استنفار للجهاد فيجب على كل أحد أن يستعد. وأنا لا أقول لكم هذا من أجل الاحتفاظ بالسلطة والسيطرة، ففكروا جيدًا، فلو كنت أريد مجرد البقاء في السلطة فيمكنني ذلك بالمداهنة في الدين والتنازل عن الإسلام لا قدَّر اللَّه. فلو فعلت ذلك فسوف يحمونني ويمدونني بالأموال، حتي بالقوات العسكرية، وليس طريق البقاء في الحكم أن يستعد الإنسان للتضحية، وأنتم تعلمون أنني لا أقاتل من أجل الحكم والسيطرة ولا أحرضكم لأجل ذلك، وإنما هذا أمر القرآن الكريم. بماذا يأمركم وإلى أي طريق يهديكم؟

وصيتي لكم هو ما وصاكم اللَّه به في القرآن الكريم، فعلى كل مسلم أن يكون على يقظة في الأمور وألا يخاف، ولا تخدعكم وسائل الإعلام فتضعف إيمانكم، واللَّه يوفق جميع المسلمين إلى أن يثبتوا على الإيمان والإسلام، ومن اللَّه التوفيق.

والسلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته

خادم الإسلام أمير المؤمنين

ملا محمد عمر مجاهد»[1]

* * *

(١) «قرآن وسيف» للدكتور رفعت سيد أحمد ص(١٥٤ ـ ١٥٧) ـ مكتبة مدبولي.

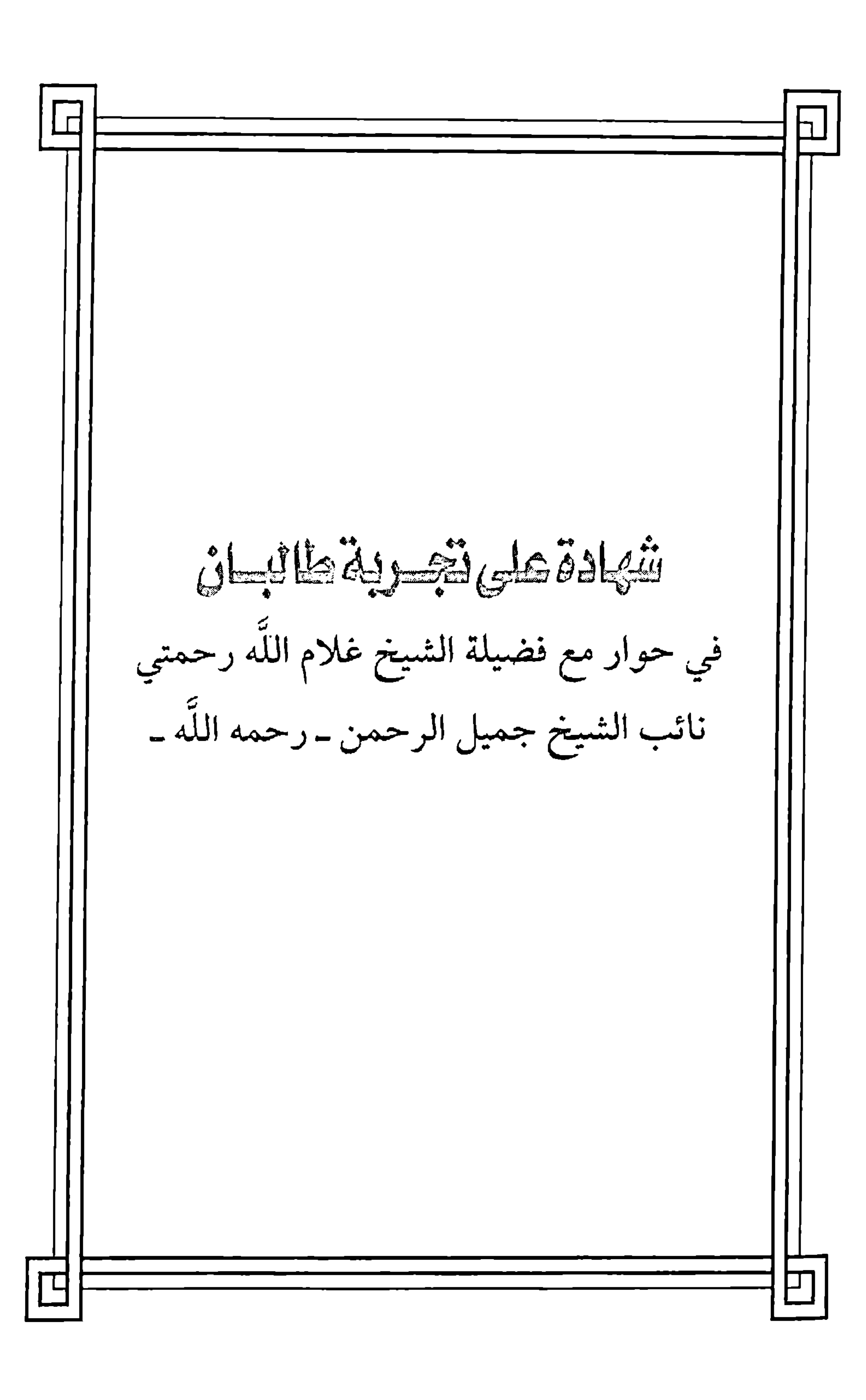
○ العجب العجاب في سيرة الأبرار الأحباب:

إن تعجب فاعجب. الوزير في حركة طالبان «يعد نفسه مسئولاً، ومن فئة الحكام في الصباح فقط، وحتى الساعة الواحدة بعد الظهر ـ موعد انتهاء الدوام ـ أما بعد الظهر فهو كثيرًا ما يكون في «الجبهة»، مع زملائه المقاتلين!

ولأن هناك قاعدة للمعارضة على بعد ٢٥كم من العاصمة، فإن وزراء كثيرين ينضمون إلى زملائهم بعد الظهر، لكي يشاركوا في صد أي هجوم ممكن. ومنهم من يذهب إلى الخطوط الأمامية في الشمال لذات الغرض. والأمر ليس مقصورًا على الوزراء. ولكنه ينسحب بذات القدر على المسئولين كافة من عناصر الحركة، على اختلاف مواقعهم. وقد استشهد أحدهم، وهو ملا يار محمد أخوند، الذي كان حاكمًا أو واليًا على مقاطعة غزنة، حينما ذهب وهو في منصبه للقتال إلى جوار شباب الحركة في أثناء اشتباكهم مع ميلشيات حزب «الوحدة» الشيعي؛ ولأنه كان في الصفوف الأولى، فقد أصابته قذيفة أدت إلى مصرعه.

ولأنهم يَعُدُّون أنفسهم جنودًا في المعركة بالدرجة الأولى، فالوزراء منهم يعيشون حياة بسيطة للغاية في مأكلهم وملبسهم ومسكنهم، إذ إنهم لم يتخلوا عن حياة القرية التي عاشوها، وأكثرهم لا يزال ينام على الأرض ويأكل على الأرض، وطعامه لا يزيد على ما يقدمه عامة الأفغان. وإذا تناول الوزير غداءه في المكتب لأي سبب، فإن الطعام يدعى إليه جميع الموظفين بالمكتب، بما فيهم الفراش. وغالبًا ما يأكل الجميع بأيديهم من صحن كبير واحد!»(١)

(١) «طالبان» لفهمي هويدي ص(٥٧ ـ ٥٨).



شهادة على تجربة طالبان

في حوار مع فضيلة الشيخ غلام اللَّه رحمتي

نائب الشيخ جميل الرحمن - رحمه اللَّه -

شهادة على تجربة طالبان
في حوار مع فضيلة الشيخ غلام اللَّه رحمتي
«نائب الشيخ جميل الرحمن ـ رحمه اللَّه ـ»

◙ «نرحب بشيخنا الكريم، ونسأل اللَّه تعالى أن يبارك في عمره وعمله، وأن ينفع بعلمه الإسلام والمسلمين. نرجو أولاً أن تُعَرِّفوا ـ فضيلة الشيخ ـ بشخصكم الكريم لقارئ البيان:

الشيخ غلام اللَّه: بسم اللَّه الرحمن الرحيم، الحمد للَّه وكفى، والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى وبعد، ،

إخوتي الأحباء: اسمي: غلام اللَّه رحمتي، من أفغانستان من مديرية قندز، وأنا كنت خريج مدارس الديوبندية، وبفضل اللَّه ورحمته طالعت كتب التوحيد وكتب أهل السنة مثل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ ابن القيم وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدي، وسرت بمذهب أهل السنة والجماعة، وتعرفت على التوحيد بأقسامه وعلى ما يضاد التوحيد من الشرك وأنواعه، وبعد وصولي إلى العقيدة الحقة وفقني اللَّه لبيانها في أفغانستان في منطقة قندز، وحُبستُ بسبب ذلك في عهد ظاهر شاه عشر سنوات متواليات باتهامي بأنني رجل وهابي ومنكر للطرق الصوفية وغير مقلد، وكان لي هناك مدرسة، وكنت ألقي فيها الدروس.

وبعد أن أطلقت من المحبس هاجرت إلى باكستان، وأتيت إلى مدينة «كويتا»، وكان هناك أحد الإخوة اسمه «شمس الدين» وكان سلفيًّا، كان قد أسس مدرسة باسم «الجامعة الأثرية»، وكان درس عندي في أفغانستان، فلما

علم بقدومي إلى باكستان أرسل إلي ودعاني للتدريس في جامعته، فجئت إلى بيشاور ودرّست في الجامعة الأثرية لعدة سنوات، وأسست هناك جريدة باسم «المسلمون في أفغانستان»، كنا ننشر فيها المسائل الدينية العقدية والعملية والأخلاقية، إلى أن تأسست جماعة الدعوة إلى القرآن والسنة، وبعد التأسيس أصبحت عضواً في جماعة الدعوة وكنت نائبًا للشيخ جميل الرحمن ـ رحمه اللّٰه ـ في حياته وحتى مقتله، نسأل اللّٰه أن يجعله في الشهداء.

وبعد قتل الشيخ صار الأمير لجماعة الدعوة شيخنا الشيخ سميع اللّٰه نجيبي ـ حفظه اللّٰه ـ فكنت معه إلى انسحاب الروس، وبعد انسحاب الروس وقعت بعض الأشياء المقتضية لأن أترك جماعة الدعوة، من حيث السياسة لا من حيث الانتساب، ومنذ ذلك الحين أسست مدرسة في بيشاور اسمها دار القرآن والحديث السلفية، وهي ومنذ ذلك الحين والحمد للّٰه قائمة، ولا زلت ألقي الدروس فيها من كتب الحديث والعقيدة والآداب وغيرها.

◙ البيان: ذكرتم أنكم كنتم على صلة وثيقة بالشيخ جميل الرحمن ـ رحمه اللّٰه ـ فما هي خلفيات تلك العلاقة؟

الشيخ غلام اللّٰه: كنا في ذلك الحين الذي كنت فيه محبوسًا في ولاية قندز وغيرها بتهمة تخريب العقيدة والإخلال بالأمن، كنت أنتقل من سجون مديرية إلى مدرية لاعتقادهم بأنني أخرب عقائد المسجونين أيضًا، وفي آخر عهد داود سمعت في السجون من بعض الإخوة أن هنالك رجلاً له تركيز على توحيد الألوهية، ويرد على القبوريين ويسكن في مدينة كونار، فسمعت به ولم أره، وبعدما هاجرت إلى باكستان سألت عنه، فقيل لي: إنه قائد في الحزب الإسلامي بقيادة حكمتيار. وعند ذلك جرى الاتصال بينه وبيني

وعرفت أنه الرجل الذي سمعت عنه، وعرفت أن الشيخ كان تلميذًا لأحد المشايخ الباكستانيين واسمه (مولانا محمد ظاهر) وكان حنفيًّا وماتوريديًّا ونقشبنديًّا، وسمى نفسه بالديوبندي، ومع ذلك كان له اهتمام بتوحيد الألوهية فتأثر به الشيخ جميل الرحمن، ولكنه كان ذكيًّا ذكاءً فائقًا، فاستقل بنفسه وطالع كتب شيخَي الإسلام وكتب أهل السنة فوقع فيه التغيير حتى صار سلفيًّا.

ولما اجتمعنا في بيشاور، قلت له: إنك لا تستطيع أن تبقى مع هذه المنظمات إلى النهاية، فلا بد أن نؤسس منظمة خاصة بالسلفيين، فأولاً ما كان موافقًا، ثم وافق لما عُزل عن إمارة كونار من جانب الحزب الإسلامي لحكمتيار، فاغتنمت الفرصة وقلت له: لا بد أن نؤسس جماعتنا، واتفقنا هناك وأسسنا جماعة الدعوة.

○ البيان: ذكرتم أنكم هاجرتم إلى باكستان، ولم تكن لكم مشاركة في نشاط الأحزاب الإسلامية؛ فكيف تقوِّمون أداء تلك الأحزاب في الفترة التي أعقبت انسحاب الروس بدءًا من أيام صبغة الله مجددي القصيرة؟

الشيخ غلام الله: كان بعد مقتل الشيخ جميل الرحمن - رحمه الله - أن اتفق أركان الشورى في جماعة الدعوة على أن يجعلوا الشيخ سميع الله خلفًا للشيخ جميل الرحمن، وفي ذلك الحين في وقت إمارة الشيخ سميع الله، انسحب الروس من أفغانستان، واجتمعت المنظمات الجهادية في إسلام أباد بباكستان واتفقوا على أنه لا بد أن يكون هناك حكومة بديلة لحكومة الشيوعيين في أفغانستان، واتفقوا على أن يكون الشيخ صبغة الله مجددي رئيسًا لمدة شهرين، وبعدها يكون على رأس هذه الحكومة المؤقتة الشيخ

رباني، وعلى هذا الأساس شغل صبغة اللّه مجددي كرسي الرئاسة وأصبح رئيس الجمهورية، ولكنه عجز لأنه ليست له قدرة، وكانت منظمته أصغر المنظمات كلها، وكان تنفيذ الأوامر في عهده لمسعود ودوستم، ويدل على ضعفه أنه عندما تولى الرئاسة ذهب بنفسه إلى دوستم بدلاً من أن يأتي إليه دوستم، وأعلن عنده في مزار الشريف أنه خالد بن الوليد في هذا العصر.

وفي هذه المدة اتفق أعضاء شورى جماعة الدعوة على الانضمام إلى هذه الحكومة حتى لا تبقى الجماعة منزوية في باكستان ولا يكون لنا دور في الحكومة المستقبلة في أفغانستان. ولكني خالفت هذا الرأي؛ فصبغة اللّه كان رجلاً صوفيًا خرافيًا، يصنف في الشرك الصراح البواح، منه أنه صنف كتيبًا باسم: «متن بيانية صبغة اللّه مجددي» وقد كان كتب فيه أن هذا العالم له أربع زوايا وفي كل زاوية منها ولي من أولياء اللّه يُسمى القطب أو البدل، وهؤلاء الأقطاب الأربعة يتصرفون في الأكوان. وكنت قد اتصلت بصبغة اللّه المجددي في حياة الشيخ جميل الرحمن، وقلت لصبغة اللّه في الاتصال التليفوني: إنني أُخبرت بأنك ألفت كتابًا اسمه كذا، فهل هذا صحيح؟ قال: نعم، تريده؟ قلت: لا أريده فقد وصل إلي، ولكن أريد أن أناقشك في هذا الكتاب فإن لي عليه ملاحظات، فسألني عن اسمي، فقلت له: أنا غلام اللّه من قندز، وكان يعرفني بالاسم، فضحك وقال: آه، عرفتك أنت الوهابي الكبير الذي خرب عقائد المسلمين في أفغانستان، والآن تريد أن تخرب عقائد المهاجرين في مخيمات باكستان، وأغلق السماعة ولم يجب بلا أو بنعم.

◎ **البيان** وما هو رأيكم في فترة رئاسة رباني؟

الشيخ غلام اللّه:جاء رباني بعد مضي عهد صبغة اللّه مجددي وشغل

كرسي رئاسة الجمهورية لمدة ستة أشهر، ولكنه لم تكن له سلطة حتى في كابول، وما كان يستطيع أن يخرج من كابول إلى مدينة أخرى بسبب التقاتل بين الأحزاب، وكانت كابول نفسها موزعة على عدة منظمات من الشيوعيين والشيعة، وكان الحساب الكبير لهم في كابول، وكانت هناك منطقة أخرى تحت سيطرة حكمتيار، ولهذا لم يكن رباني يستطيع أن ينتقل من منطقة إلى منطقة في كابول، ولكن كان بالاسم رئيس جمهورية، وما وقع في زمنه شيء يسمى حتى يقال إنه فعل هذا، إلا أنه وقع تقاتل بينه وبين حزب حكمتيار، قُتل بسببه أزيد من خمسين ألف مسلم، ووقع تقاتل آخر بين حزب عبد رب الرسول سياف والشيعة، وقتل منهم كثيرون، وكذلك وقع تقاتل بين حزب رباني وحزب دوستم، ثم وقعت تغيرات في العلاقة بين دوستم وبين رباني، حتى إن رباني أعلن دوستم نائبًا له وقت سفره إلى مصر، وكان في ذلك الوقت نفسه يستقبله استقبالاً لا يوجد مثله في التبجيل والتعظيم، وكان يعلن أنه القائد الكبير والفاتح الكبير؛ لأنه فتح كابول، وبعد ذلك وقع خلاف بين الحزب وبين دوستم، فأعلن رباني أن دوستم كافر شيوعي دهري يجب قتاله وقتله! فهذا ما وقع في فترة رئاسة رباني ما وقع شيء آخر.

◎ البيان: هذا الذي ذكرتموه يدخل في الأمور السياسية وخلافاتها المعقدة، ولكن ماذا عن واقع المجتمع الأفغاني نفسه، هل طرأ تغيير عليه في ظل حكومة رباني سواء في مدة الرئاسة المؤقتة لمدة ستة أشهر، أو في فترة التمديد التي استمرت لأربع سنوات؟

الشيخ غلام الله: في زمن رباني وصلت الأمور من الفحشاء والفجور

والظلم والقتل والتعدي إلى أوجها؛ بحيث كان لا يمكن أن تزيد على ذلك، فوقع في عهده أمور ينبغي أن يُبكى عليها، ولكن رباني ما كان يملك سلطة لأن يمنع هذا، يعني كان كل قائد يتعامل معه كأنه غير مسئول، بينما كل قائد كأنه لا يسأل عما يفعل، فما كان هناك أمن، وما كان رجل عادي يستطيع أن يذهب من قرية إلى قرية أخرى إلا وكان يخاف من القتل ومن الإغارة على أمواله وعرضه.

وكان الشيخ سميع اللَّه في ذلك الحين قد ذهب إلى رباني وتكلم معه فوعده رباني بأن يعطيه وزارة، ثم أعطاه بالفعل وزارة الشهداء والمعوقين، فقال لي الشيخ سميع اللَّه: لا بد أن نذهب إلى كابول لنشغل الوزارة. فقلت له: لو كان الشيخ مخلصًا لك وللسلفية لكان أعطاك وزارة التعليم والتربية، فماذا نفعل بوزارة الشهداء والمعوقين؟ يبدو أنه أحس أنك لك ارتباطات بالمحسنين في الخارج فلعلك بها تستطيع أن تجمع التبرعات، أما أنا فلا أريد الاشتراك في هذه الوزارة. ولم تكن في عهد رباني إدارة أو لجنة أو هيئة أو وزارة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لنعمل بها.

○ البيان: لو تجاوزنا ما وقع بالفعل، وتحدثنا عن النية المعلنة في الإصلاح، هل كانت هناك مشاريع لخطوات إصلاحية على طريق تطبيق الشريعة؟

الشيخ غلام اللَّه: لا، لا، ما كان هناك قدرة حتى على ذلك؛ لأن رباني كان لا يستطيع في بعض الأحيان أن يخرج من مسكنه؛ فما كان يستطيع أن يحمي نفسه فضلاً عن أن يطبق الشريعة، كانت المزارات والأضرحة مثلاً تزار وتعبد بجميع أنواع العبادات وما فعل في هذا شيئًا، وكان التبرج أشد من تبرج الجاهلية الأولى وما فعل في ذلك شيئًا، وكان

الظلم وصل إلى حد نهائي، فما كانت الرؤوس في أمن ولا الأموال في أمن، ولا الأعراض في أمن، ولا أي شيء كان في أمن، ما جاء بشيء، حتى لو أراد ذلك فما كان يستطيع، كان قطاع الطرق كثيرين، وما كان هناك مرجع للدولة وما طبق من الشرع شيئًا، بل في حين صار حكمتيار رئيسًا للوزراء، أنا بنفسي سمعت من المذياع أن حكمتيار أعلن أنه لا بد أن تغلق دور السينما ويمنع الفساد وفرح ناس كثيرون بأن حكمتيار سيأتي بشيء نافع، وأمر بمنع التبرج للنساء أيضًا، ولكن في الغد أعلن مسعود نفسه الذي كان حاكمًا بالحقيقة، أن الذي أعلنه حكمتيار بالأمس من المذياع كان يمثل رأيه الشخصي وليس رأي الدولة. فهذا ما كان عند رباني، ما فعل شيء حتى أذكره، وإن شاء اللَّه لست ممن كانت بينه وبين رباني عداوة، بل بالعكس كان رباني أقرب إلى أهل السنة من بقية قواد المنظمات؛ لأنه كان أعلن سابقًا أنه يريد تطبيق الكتاب والسنة من غير تقيد بمذهب معين، ولكن بعد أن صار حاكمًا ما فعل شيئًا، بل كان من كان مواليًا له وليًّا من الأولياء، وكل من خالفه كان واجب القتل مباح الدم.

◎ البيان: هناك من يقول إن ولاية رباني كانت ولاية شرعية وأنه ما كان يجوز الخروج عليه؟

الشيخ غلام اللَّه: لا يستطيع أحد عنده أدنى علم أن يقول إن هذه الحكومة حكومة شرعية، كيف تكون حكومة شرعية؟ ومدتها ستة أشهر أو شهرين فهذا أول شيء خلاف الشرع.

◎ البيان: لكن الستة أشهر كانت مؤقتة فقط حتى تُجرى انتخابات.

الشيخ غلام اللَّه: نعم! ولكنه مددها بنفسه وقبضها بالقهر بعد ذلك،

وقد وقع القتال لهذا الأمر، إنه ما ترك الحكومة بعد ستة أشهر، وقال: أنا حاكم شرعي لا أترك الحكومة. فلهذا هو ليست له صفة شرعية؛ ولأن الحكومة لا بد أن تكون لها السلطة، وهو ما كانت له سلطة، والحكومة هي التي تقيم الأحكام والحدود، وهو ما كان يستطيع ذلك بل كل من كانوا في نظام نجيب ظلوا في عهده يعملون في الدوائر الحكومية، فقد كانت حكومته بالاسم فقط.

◉ البيان: هل نستطيع أن نقول إن هذه الأحوال المتردية التي كانت سائدة في عهد رباني كانت سببًا مباشرًا في نشوء حركة طالبان؟

الشيخ غلام اللَّه: نعم! هذا أقوله، وأستطيع أن أقول أيضًا: إن حركة طالبان تولدت عن حكومة رباني؛ لأن حكومة رباني جرَّت إلى أن توجد حركة لمواجهة حالة الفحشاء والفجور، لمنع أوجه هذه المفاسد، وقد قلت لك قبل ذلك: ما هي الحالة التي وصلت إليها البلاد في عهد رباني، وكانت الفوضى والفساد هي السائدة في كل شيء، وسأذكر لك أحد الأسباب في نشوء حركة طالبان، كان محمد عمر طالبًا؛ لكن ليس له كثير علم، وكان من قبل يجاهد في أحد المنظمات الجهادية، وبعد خروج الروس ترك كل شيء بظن أن هناك حكومة مجاهدين وأن الأمر انتهى بذلك بعد الجهاد مع الروس فعاد إلى طلب العلم في باكستان، وفي يوم جاءه أحد أقربائه من الأفغان في مسجده وهي يبكي، فسأله محمد عمر: لماذا تبكي هل مات لك أحد؟ قال: لا، الموت أهون ولو متنا جميعًا؛ فالأمر الذي أبكي منه أشد. وكان الرجل من روزجان وهي ولاية من الولايات المركزية في أفغانستان في الوسط، وبدأ يحكي قصته لمحمد عمر، فقد مرضت زوجته وأراد أن يذهب

بها إلى باكستان للعلاج فأخذها في السيارة، وفي الطريق كان كل قائد له منطقة معينة هو حاكم فيها، تفرض الجبايات والإتاوات على الناس وعلى المارين بمنطقته، فجعل هذا الرجل كلما مر على نقطة يوقف للتفتيش، وتؤخذ منه الجباية والنقود، فمر على العديد من نقاط التفتيش حتى جاء إلى منطقة تفتيش أخيرة، فأوقفه أحد القواد وطلب منه النقود، فقال: ليس معي شيء وما بقي معي شيء فكل النقود أُخذت في نقاط التفتيش السابقة، وزوجتي مريضة وأريد أن أذهب لعلاجها في باكستان. فقال: إذن اتركها عندي وأنا أعالجها، فقال: هل عندكم مستوصف؟ قال: لا، تتركها عندي ثلاث ليال ثم ترجع فتجدها صحيحة. فعلم أنه يريد الشر، فوقع عراك بينهما، فجاء رجاله وضربوا الرجل ضرب قتل، وظنوا أنه قتل فألقوه في غرفة وأخذوا المرأة، ولكن الرجل أفاق في ظلمة الليل وتسلل وهرب حتى وصل إلى الملا عمر: وحكى له القصة، فقال له الملا عمر: لا بأس امكث هنا، وأنا بعد ستة أيام سأرجع إلى أفغانستان في قندهار، وسأشاور بعض الإخوان ثم أرجع إليك، إن ما تحكي عنه هو انقلاب على الإسلام.

وذهب الملا عمر وجمع زملاءه من زمن الجهاد ضد الروس، وكانوا يبلغون نحو سبعة عشر رجلاً وهم الذين ظلوا معه بعد ذلك، وكانوا وزراء في حكومته، جمعهم وقص لهم ما حكاه الرجل وقال: لقد جاهدنا لسنوات عديدة، أفتكون ثمرة جهادنا هذا أن نسمع عن الظلم والفجور، أرى أننا الآن مطالبون أن نعمل بما علمنا، ليس الآن وقت زيادة العلم، بل وقت العمل بما علمنا. فاتفقوا كلهم على ضرورة العودة للجهاد، فقاموا وأخذوا أسلحتهم وهجموا على النقطة التي أخذ قائدها المرأة، فقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم

وفر بعضهم، وقتل قائدهم الذي فعل تلك الفعلة الشنيعة، فلما قُتل، كان معه خمسمائة مقاتل، فانضموا جميعًا للطلبة، وقالوا إن قائدهم هذا كان فاسقًا فاجرًا ولم يكونوا يستطيعون مخالفته؛ لأنه كان يقتل كل من يخالفه، أما أنتم فقد أحسنتم ونحن معكم.

وقرر الطلبة بعد ذلك الذهاب إلى أحد القادة الذين عرفوا بالفساد، ولكنه سمع بالخبر وفر، وانضم الكثير من جنوده إلى طالبان، ولما عادوا إلى قندهار صارت تحت قيادتهم بغير قتال، ثم سيطروا على ولاية هلمند، وفي ذلك الوقت كان الوضع السياسي بين أفغانستان وباكستان غير جيد؛ لأن مسعود كان توجهه مخالفًا للحكومة الباكستانية أشد الخلاف، وكانت وجهته إلى الروس أكثر من توجهه إلى البلدان الإسلامية، وكان له وجاهة عند الفرنسيين، وكان هناك رجال فرنسيون مستشارون يتعاونون معه، وكانت الحكومة الباكستانية تخاف أن تدوم حكومة رباني وتظل متوجهة إلى الروس، والروس تتعاون مع الهند، والهند عدوة لباكستان، وهذا يضرها كثيرًا، فلما سمعت الحكومة الباكستانية بحركة الملا عمر اتصلت به، وعرضت مساعدته.

واستمر الملا عمر في السيطرة على كثير من الولايات فلما وصلوا إلى ولاية حكمتيار وكان في ذلك الوقت على أشد القتال مع رباني، اغتنم رباني الفرصة واتصل بالملا عمر هو ومسعود وسياف، واجتمعوا مع قيادات طالبان ورحبوا بهم وقالوا لهم: أنتم خليقون وحقيقون بأن تكونوا أمراء في أفغانستان لأنكم فعلتم أشياء كثيرة.

وقد لاحظنا أن طالبان كانت كلما سيطرت على منطقة شكلوا لجنة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم يقيمون الحدود، فاستتب الأمن

بسرعة، وأستطيع أن أقول: إن الأمن الذي أقاموه إذا لم يكن أزيد من الأمن الذي تقيمه الدول فهو لا يقل عن ذلك، ولهذا كان الجميع فرحين لهذا الأمر بعد معاناة الفوضى والتقاتل، فجاء رباني حسب ما سمعت، وأبرم معهم اتفاقًا أنهم إن قضوا على أصحاب الشر والفساد ووصلوا إلى كابول فسوف يتنازل رباني لهم، وبدأ مسعود وسياف يساعدون طالبان بالسلاح والمال، ولكن كان المقصود القضاء على حكمتيار، فلما تسلط الطالبان على منطقة حكمتيار بعد قتال قليل، فر حكمتيار إلى (لغمان) وأمر بانسحاب قواته معه، ولكن الكثير من جنوده انضموا إلى طالبان، ثم تقدم الجميع نحو كابول، وطلبوا من رباني قبل أن يدخلوها أن يعمل بما قال، فقال لهم: أنتم مجانين؟ أنتم طلبة المدارس الدينية تريدون أن تأخذوا الحكومة؟ أنا حاكم شرعي لدى القادة والرؤساء في الداخل والخارج، الآن يجب عليكم أن تذهبوا إلى مدارسكم وتتركوا الأمر لنا. فلما سمعوا هذا الرد، وقع القتال بينهم وبين رباني، وفي تلك الفترة قتلوا قائد قوات حزب الشيعة علي مزاري، وكان صاحب أكبر قوة بعد قوة حكمتيار. ففي كابول وقع قتال بين طالبان وبين الشيعة، وبين طالبان وسياف، وبين طالبان ومسعود ورباني، دون أن يصل إلى نهاية، ولجأ رباني إلى حكمتيار مرة ثانية، وأرسل وفدًا إليه وقال: كلانا إخوان، وطالبان عدو مشترك لنا جميعًا. ودعاه إلى كابول وعينه رئيسًا للوزراء، ثم وقع الخلاف بينهما؛ لأن حكمتيار أعلن ضرورة محاربة الفساد والفجور وتقليل النساء في الدوائر الحكومية وخطَّأه في ذلك مسعود، فوقع القتال مرة أخرى مع طالبان وسيطرت طالبان على كابول، وأخرجت رباني وحكمتيار إلى الشمال، وخرج الشيخ سميع اللَّه إلى بيشاور.

○ البيان: هل راقبتم سلوك طالبان في الأيام الأولى لدخول كابول؟

الشيخ غلام الله: بعد عدة أشهر من سيطرة طالبان، أعلنوا القضاء على المزارات، وقالوا: هذه أشياء لا تجوز، وكان منها ما تسمعون عنه في مزار شريف، فهناك مشهد أو ضريح منصوب على قبر يقال: إنه قبر علي - رضي الله عنه - ويسمى هذا القبر في أفغانستان (السخي) وهو وصف يعنون به من يعطي كل ما سُئل لكل من سأل، وكان هذا القبر يأتيه الرجال والنساء والمعوقون والعميان كلهم يطمع أن هذا السخي يقضي حاجتهم، وكانت هناك عادة في أفغانستان موجودة حتى قبل ولادتي، وهي أن كل ملك في أفغانستان إذا جاء، فلا بد في أول يوم من برج الحمل وهو أول أيام النيروز لا بد أن يرفعوا في عهده راية باسم راية مزار السخي، وكانت الحكمة عندهم من هذا الرفع أن هذه الراية إذا رفعت وقامت ولم تسقط فهي أمارة عدم سقوط الدولة، وإذا سقطت فهذه علامة سقوط الدولة، وكانت العطلة تعلن لمدة ثلاثة أيام بمناسبة رفع الراية في كل عام، وكان الناس يأتون فيها إلى ذلك المزار في زحمة شديدة لا يُرى مثلها إلا في مكة أيام الحج، فلما وصلت طالبان وقرب عيد رفع الراية، أعلنوا أن هذا العمل غير مشروع وغير جائز، وهذا عمل ضد الإسلام ولن يُفعل هذا بعد اليوم، ولن يستطيع أحد أن يأتي إلى المزار خلال تلك الأيام الثلاثة، ولن توجد فيها عطلة، وكل من سيتغيب عن عمله في هذه الأيام الثلاثة سوف يفصل من وظيفته؛ فمنعوا هذا الشرك. وهكذا فعلوا في داخل كابول وفي جميع أفغانستان؛ فقد كانت هناك قبور تزار وتعبد، فقط استثنوا يوم الخميس بين الظهر والعصر لزيارة المقابر الزيارة الشرعية فحسب. وأعلنوا أن كل من زار هذه المزارات للاستعانة

بها والاستمداد منها أو الاستشفاع بها أو توسل بها فهذا غير جائز، وفاعله يمكن أن يحبس أو يضرب أو يقتل إذا لم يرجع، هذا حدث بعد مجيئهم بعد حكومة رباني.

◉ البيان: هل كانت لكم تجربة شخصية في معاينة هذه الأحوال، أم أنكم سمعتم بها فقط؟

الشيخ غلام اللّه: نعم كانت لي تجربة، فهناك في كابول كان هناك مزار اسمه (شاهد شامشيراه) ومعناه: مشهد الملك ذي السيفين، وكان مشهداً معروفًا مشهورًا، وهذا الملك يقولون إنه كان يقاتل ضد الأعداء بسيفين، فلما انقطع السيفان قتل واستشهد ودفن هناك، وكان هذا المشهد يُعبد بجميع أنواع العبادات، وأنا كنت قد دخلت بنفسي داخله، فكان مكتوبًا على أحجاره وعلى جدره الأقوال الشركية والأشعار الكفرية، وكان مكتوبًا بالبشتونية عند الضريح: (ليس لنا معاذ ولا ملاذ ولا ملجأ إلا إياك)، هكذا، وفي ذلك الحين جئت إلى كابل وتكلمت مع الشيخ رباني وأيضًا كان الشيخ سميع اللّه موجودًا، فقلت: أنتم أعلنتم الحكومة الإسلامية وقلتم إنها جمهورية إسلامية، فلماذا لم تقضوا على هذه المراكز الشركية؟ فضحك رباني وقال: يا شيخ! أنت تريد حكومة إسلامية أوتوماتيك عليكم بالصبر، قلت: لا بد أن تكون على الأقل لجنة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأن هؤلاء يموتون على الشرك ولا بد من وجود من يمنعهم عن هذه الشركيات. فضحك وقال: لا تكون الحكومة الإسلامية بشكل أتوماتيكي.

ولكني رأيت أنه لما جاء الطالبان قضوا على كل شيء، وأخرجوا كل شيء من هذه الأضرحة، وأغلقوا أبوابها ومنعوا زيارة القبور إلا الزيارات

الشرعية، ومنعوا زيارة النساء مطلقًا للمقابر. وقد جئت في زمن الطالبان بعد أن أشيع في بيشاور أنهم عملاء أمريكا وأنا أيضًا كنت قبل أن أجيء أفغانستان كنت أقول من هم هؤلاء الطالبان؟ كنت أيضًا أظن أنهم عملاء أمريكا، وعملاء باكستان، وقد كان يقال عنهم أيضًا: أنهم قبوريون مشركون وفئة خرافية أشعرية ماتوريدية، كل هذا قبل أن آتي إلى أفغانستان، ولما أتيت إليها جئت متخفيًا؛ لأني كنت أيضًا أخاف أن يقتلني هؤلاء القبوريون!، فدخلت متخفيًا، ولكن اتُّفق أنني عندما جئت كان معي في هذه السيارة رجل معه طفل وطفلة وامرأة، ومعه كيس مملوء يشبه المتكأ أو الوسادة، فلما وصلنا إلى كابول وضع هذا الرجل الكيس أمام واجهة مطعم ثم أنزل ابنه وبنته وامرأته، ونزلت أنا أيضًا وسكنت في الفندق، وبِت هناك، وفي الغد مررت على ذلك المكان الذي فيه المطعم، فلاحظت أن ذلك الكيس الذي وضعه الرجل لا يزال في مكانه فقلت في نفسي: أليس هذا الكيس الذي تركه الرجل بالأمس؟ ولم أهتم كثيرًا وقلت: لعله غيره، ثم بعد يومين مررت فكان موضوعًا هناك، وبعد ثلاثة أيام وجدته موجودًا هناك أيضًا، وكنت قد نويت أن أمر على مزار (شاهد شامشيراه) وأنا أعتقد أن طالبان قبوريون، فقلت: سأرى ماذا زادوا في هذا المزار من الشركيات، فلما وصلت وجدت الباب مغلقًا وكان معي أربعة زملاء كلهم ملتحون من طلبة العلم، فطرقت الباب، فجاء رجل ذو شيبة وفتح، لكنه كان يُرى حزينًا أسيفًا.

• البيان: عفوًا... ما أكملتَ فضيلة الشيخ ماذا حدث للكيس؟

الشيخ غلام الله: أنا آتيك بالحديث، لم أنسه، فالحديث مربوط

بعضه. لما دخلت إلى الضريح، دخلت منتعلاً، وكان هذا أمر ممنوع، ولكننا دخلنا بالنعال غير مبالين، فظن الشيبة أننا من الطالبان فسكت، ودخلت إلى المزار فلم أر لوحات شركية ولا أي أشياء شركية لم أرَ إلا لوحة واحدة مكتوب فيها حديث: «**كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تذكِّر الآخرة**»، مع لوحة أخرى مكتوب عليها: «من جاء إلى هذا القبر متوسلاً به أو مستشفعًا به أو مستمدًا به فجزاؤه القتل»، ففرحت فرحًا شديدًا، وقلت: هذا واللَّه الأمر الذي كنا نطلبه من قبل، فخرجت أخاطب الشيخ الحارس، وقلت له: أين الزوار واللوحات وصناديق النذور، أين هي؟ فظن الرجل أنني قبوري حزنت على ما جرى للقبر، فقال: اسكت، هؤلاء طالبان لو سمعوا بك فإنهم يقتلونك، هؤلاء كفرة وهابية منعوا كل هذه الأشياء. ففرحت فرحًا شديدًا، ثم نصحته بعد ذلك، فلما فهم أن رأيي من رأي طالبان حزن، وقال: نعم! هم يقولون مثل ما تقول. ثم ذهبت تاركًا المزار وذهبت إلى السوق فلم أرَ امرأة واحدة متبرجة، وقبل ذلك كانت كابول التي أعرفها، كان التبرج منتشرًا فلما جاءت الطالبان منعوا كل هذا، ومنعوا النساء من العمل في الدوائر الحكومية كلها، في الأول أعلنوا أن كل امرأة تعمل وتحصل على راتب ستعطى راتبها على أن تجلس في بيتها إذا كانت تربي أيتامًا. ورأيت أنهم منعوا الأغاني والفجور.

أمضيت في كابول أسبوعًا وبعده أردت أن أرجع من كابول، فجئت إلى الموقف الذي كان فيه الكيس عند المطعم فلم أجده، وأثناء انتظار السيارة، سألت صاحب المطعم: كان هناك من عدة أيام كيس هنا أين ذهب؟ قال لي: يا شيخ! لهذا الكيس قصة عجيبة. قلت: وما هي؟ فقال: هذا

الكيس لواحد من الرجال جاء من بيشاور بباكستان، وكان بيته في هيرات فلما نزل في كابل نسي الكيس وذهب، والبارحة جاء وأخذ الكيس، وكان الكيس موكأً ومربوطًا بخيط، فلما فتحه ظهر أنه كان مملوءًا بالفلوس، فمازحته وقلت: وأين كنت أنت طيلة هذه المدة، كنت ميتًا أو نائمًا؟ فقال: يا شيخ! طالبان يمسكونني ما أحد يجرؤ على ذلك؛ لأن طالبان يختبئون هناك وينظرون من يمد يده بالسرقة فيقطعونها. هذا الأمر أيضًا رأيته.

فلما رجعت إلى بيشاور، ألقيت خطبة الجمعة، وقلت فيها: إن طالبان أحسن بكثير ممن كانوا قبلهم. فأُخبر بذلك بعض زملائي وقالوا: يا شيخ! كيف ألقيت الخطبة؟ فقلت لهم: على السُّنة وما فيها من الواجبات والسنن، قالوا: لا نريد هذا، لكن ماذا قلت عن طالبان؟ فقلت: الذي رأيتم، فقالوا: كيف تقول هذا وهم مشركون؟ قلت: واللَّه شيء عجيب! كيف هم مشركون وقد رأيتهم منعوا المراكز الشركية، هم قضوا على الشركيات، هذا رباني نفسه رفع الراية لمزار شريف في عيد النيروز في عهد حكومته.

فقلت له: إذن هم فعلوا هذه الأشياء من منع المراكز الشركية، وأنتم ما فعلتم وقلتم: إن الحكومة الإسلامية لا تأتي بطرق أوتوماتيكية، ولكنهم لما وصلوا فعلوا هذا الشيء؛ فكيف هم مشركون؟! ثم قلت: واللَّه إن الإنسان في هذه الدنيا يحتاج إلى شيئين: إلى الأمن للتعايش في الدنيا، والإيمان للتعايش في الآخرة، وهؤلاء الطالبان، وإن يقال عنهم في إيمانهم شيء، لكن واللَّه جاؤوا بالأمن ونطمع ونتوقع أن يجيئوا بالإيمان أيضًا، أما أنتم فلم تجيئوا بالأمن ولا بالإيمان، هكذا قلت، فانتشر هذا الكلام بين المهاجرين والمجاهدين.

○ البيان: هل التقيت أعضاء من حركة طالبان وسمعت منهم؟

الشيخ غلام اللَّه: نعم! أنا ذهبت إلى أفغانستان مرة أخرى، والتقيت ببعض الإخوة هناك فرأيتهم صالحين عقيدة وعملاً، فهذا محمد رباني الذي كان رئيسًا للوزراء ومات ـ رحمه اللَّه ـ التقيت به، وسمعت منه واللَّه كلامًا عجيبًا غريبًا، فقد كان يريد أن يأتي بالحكومة الإسلامية في أفغانستان مئة بالمئة، ولأجل ذلك قضوا على مظاهر الفجور والفحشاء، وأيضًا على كل مظاهر الشرك، وقد بدؤوا بذلك في قندهار نفسها، فقد كانت هناك خرقة منسوبة إلى رسول اللَّه ﷺ، كان قد جاء بها أحد الملوك اسمه أحمد شاه أبدالي، جاء بها من بخارى ووضعها هناك، كانت هذه الخرقة تُعبد بجميع أنواع العبادات، قولية عملية بدنية فعلية ومالية، كانت هذه الخرقة موضوعة على مشجب محفوظ وتحتها مكان مفرغ، كان الناس ينزلون تحتها ويطوفون حولها ويتمسحون بها ويتبركون، فلما سيطر الطالبان على قندهار، أخرجوا هذه الخرقة، وقالوا للناس: هذه الخرقة لا يوجد دليل على أنها لرسول اللَّه ﷺ، ولكن لما كان هناك احتمال فنحن نحفظها، ولكن لا يجوز لكم أن تطوفوا بها وتتمسحوا وبها وتصلوا إليها. فمنعوا ذلك وحفظوها في مكان آمن.

الشاهد أني التقيتهم فوجدتهم ـ أخي الكريم ـ بحسب ما أرى صالحين، واللَّه أنا ما بايعت طالبان، ولا عملت معهم ولا جاءني إلى هناك أحد منهم، ولكني أقول الحق؛ لأن المسلم لا بد أن يتكلم بالحق ولا يُفرِّط ولا يُفرِط؛ فالناس في مواقفهم من الطالبان بين الإفراط والتفريط، بعضهم قالوا: إنهم كلهم سلفيون سلفية محضة، وهذا خطأ، وبعضهم قالوا: كلهم

مشركون. وهذا واللَّه كذب، فحسب ما رأيت الطالبان والتقيت بهم رأيتهم فيهم ثلاثة أصناف:

الطبقة الأولى: والأكثرية حنفيون تعلموا في المدارس الديوبندية، ولهم تركيز على التوحيد في الألوهية والربوبية، وأما في الأسماء والصفات فهم أشعرية ولكنهم غير متعصبين، وقد ناقشت بعضهم في بعض مسائل التوحيد في الأسماء والصفات، وقلت: كيف تركتم مذهب أهل السنة والجماعة وتركتم مذهب أبي حنيفة في العقائد وأنتم تقولون: إنكم حنفية في الفروع، هل أساء أبو حنيفة في الأصول فتركتم عقيدته؟ فكانوا يضحكون ويقولون: هكذا عَلَّمنا أساتذتنا، وقال بعضهم: هذا الإمام ابن حجر العسقلاني أليس أشعريًّا؟! قلت: نعم. قال: هل تكفرونه؟ قلت: لا، قال: هذا أيضًا الإمام النووي كان أشعريًّا، هل تكفرونه؟ قلت: لا، فالذي فهمته أنهم كانوا غير متعصبين وغير داعين إليها، وكانوا يحبون السلفية.

والطبقة الثانية: واللَّه هم سلفيون، وأعرف منهم عبدالوكيل متوكل وزير خارجية طالبان، وهذا ابن الشيخ عبدالغفار وهذا الشيخ قتل بتهمة الوهابية، قتلته الحكومة الأفغانية الشيوعية في المطار لما رجع من الحج، قتلوه وقالوا: إن له علاقة مع الوهابية، وأسرة عبدالوكيل أسرة سلفية وأنا أعرفهم منذ أربعين سنة، وهكذا يوجد آخرون أيضًا، منهم واحد اسمه عبدالرقيب وهو خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، هذا عقيدته سلفية، وكان وزير المهاجرين، وأيضًا أحمد جان، وهو أيضًا سلفي وأنا أعرفه وكان وزيرًا للمعادن والصنايع وكثير منهم هكذا.

والطبقة الثالثة: يوجد فيهم من هو صوفي، ولا أريد أن أسمي أحدًا

منهم حتى لا أسبب خلافًا، ولكن هؤلاء قلة، هذا حسب ما أرى وأعلم من الطالبان، وهذا الذي أدين اللّه به.

• البيان : مصطلح الديوبندية، هل تلقون ضوءًا حوله؟

الشيخ غلام اللّه: في الهند منطقة اسمها (ديوبند) كان بها مدرسة كبيرة أسسها بعض العلماء واشتهرت بـ (المدرسة الديوبندية)، فكل من يتخرج من هذه المدرسة يسمى ديوبنديًّا، وهم أحناف ولكن فرق بينهم وبين عامة الأحناف، يعني عامة الأحناف فيهم بيرلورية أيضًا، وهؤلاء الديوبنديون مخالفون أشد الخلاف للبيرلوريين إلى حد التكفير، وهم لهم تركيز على توحيد الألوهية ويعارضون القبورية وأكثر الديوبندية ماتريدية، فهذه هي الديوبندية ومن تلاميذ مدرسة الديوبندية كان هناك واحد من المشايخ اسمه عبدالحق ديوبندي، وهو في بيشاور وله مدرسة هناك باسم المدرسة الحقانية على اسمه، وكان عالمًا كبيرًا تدرس عليه كتب الحديث كلها، وهؤلاء الطالبان أكثرهم تخرجوا من هذه المدارس وأما الملا عمر، فهو ليس ديوبنديًّا ولا حنفيًّا؛ لأنه يعتقد الإجمال بجميع ما جاء به نبي اللّه ﷺ من عند اللّه تبارك وتعالى، وهكذا يؤمن ويعتقد، وأما إذا استفصلت منه، فربما لا يعرف الماتوريدية ولا الأشعرية، وهو كان يعلن في كلامه ويقول: أنا أريد إقامة الحكومة التي أقامها محمد رسول اللّه ﷺ في مدينة طَيبة، وهي حكومة الكتاب والسنة. هكذا يقول: وهو ليس عالمًا ولكن يعمل بما يفتي به العلماء، ويقول: العلماء يفتون وأنا أعمل وأطبق ما يفتون به. فهو ليس صوفيًّا ولا ديوبنديًّا ولكنه يحب السلفية، وإن كان غير عالم بتفاصيلها.

• البيان : ولكن هل تشعر بأنه صادق في كلامه ومواقفه؟

الشيخ غلام اللَّه: واللَّه يا أخي هو صادق عابد زاهد، واللَّه إنه ليس من أقاربي ولا من أنسابي ولا درس عندي ولا درست عنده، وليس من قريتي ولا من بلدتي فهو من روزجان وأنا من قندز، واللَّه حينما رأيته ظننت أن هذا الرجل مسلم بالإسلام، وزاهد بالزهد، إذا توزع زهده وتقواه على كثير من أمثالي لوسعهم، هذا ما رأيته عليه، فهو زاهد عابد، إذا تكلمت معه فقط يذكر اللَّه ويدعو اللَّه: يا اللَّه. يا اللَّه. اللَّهم انصرنا. وما النصر إلا من عند اللَّه. ويردد مثل هذه الآيات. إذا وقعت له مشكلة ـ يكثر من الصلاة.

⭘ **البيان**: حدثتنا عن العلامات والدلالات الإيجابية عن تجربة طالبان، فكيف ترون الأمور السلبية في مقابل الإيجابية؟

الشيخ غلام اللَّه: أنتم تعرفون أنه ليس هناك في هذا العصر من ليست له سلبيات قط، حتى في عهد صدر الإسلام كان في المجتمع سلبيات؛ وأما ما أتى به طالبان فمصالحهم وإيجابياتهم أكثر وأكبر من سلبياتهم؛ لأني واللَّه ما سمعت أن ملكًا من الملوك أتى في أفغانستان بتطبيق الشريعة كما طبقها هؤلاء الطالبان؛ فهذا القضاء على التبرج مثلاً كان من غير الممكن في الأفغانيين، خصوصًا في كابل، وكان متعذرًا عند الناس، ولكن أتى به الطالبان والحمد للَّه، وهذه القبور. ما حدث ـ واللَّه ـ انقلاب كبير؛ لأن الأفغان أكثرهم جهال، ليس لهم علم، فإن كانوا يُعذرون بالجهل فهذا أمر، وإلا فأكثرهم لا يعرفون شيئًا، ما من قرية في أفغانستان إلا فيها قبور تعبد من دون اللَّه، ولكن الحمد للَّه هم استطاعوا أن يحاربوا ذلك وقت حكمهم، ولعلكم سمعتم عندما استولى تحالف الشمال على مزار الشريف، واحد من

الصحفيين سأل واحداً من هؤلاء أصحاب المزار وقالوا: كيف الحالة في المزار الآن، هل الحال الآن أفضل أم الحال في عهد طالبان؟ فقال: ما تقول: أيها الأخ؟ أتدري ما حدث؟ اليوم يوم العيد لنا. قال: كيف ذلك؟ قال: لأسباب عديدة، منها أنك ترانا ندخل المزار، وهؤلاء الكفرة منعونا خمس سنوات من الدخول إلى هذا المشهد، والآن والحمد لله!!! ترانا الآن رجالاً ونساءً ندخل إلى المزار مختلطين، والسبب الآخر لفرحنا أنك الآن لا ترى من يمنعنا من حلق اللحى، بل الناس يقفون أفواجًا لحلق لحاهم، وسبب آخر: هذه النساء المظلومات كُنَّ مسجونات منذ خمس سنوات.

◙ ومع هذا نقول: لعل فيهم أخطاء، أخطاء سياسية، أخطاء دينية، ليسوا معصومين ولا نقول إنهم سلفيون مائة بالمئة، فحتى السلفيون الذين يعدُّون أنفسهم سلفيين ويشيرون إلى أنفسهم أنهم سلفيون، لهم سلبيات، نحن أسسنا هناك في كونار جماعة سلفية، كان فيها خير كثير ولكن كان فيها سلبيات، كان عندنا قبور فما استطعنا القضاء على بعضها، وكان عندنا تجارة مخدرات وما استطعنا القضاء عليها، كان هناك من علمائنا من يشربون الدخان، فلا نستطيع أن نقول: إن هناك حكومة إسلامية تقضي على كل شيء سلبي، فالكمال لم يحدث حتى في عهد الرسول ﷺ ؛ فكيف تفعله طالبان بعد انتهاء القرن العشرين؟

◙ البيان: أشيع في الإعلام الدولي أن الشعب الأفغاني كان مكرهًا أو كارهًا لحكم طالبان، ووصف بعض القادة الكبار في تحالف الشمال حكم طالبان بأنه كان بمثابة (كابوس) على الشعب الأفغاني؛ فما تعليقكم؟

الشيخ غلام الله: هذا الكلام من وجه صحيح، ومن وجه آخر غير

صحيح؛ فمثلاً الذين اضطروا لإبقاء لحاهم خوفًا كانوا غير فرحين بطالبان، والنساء المتبرجات كن غير فرحات بطالبان، والذين كانوا معتادين على شرب الخمر أو كانوا شيوعيين فكانوا أيضًا غير مؤيدين. أما عامة الشعب فكانوا يحبون طالبان، فأكثر الناس على هذا كانوا راضين عن طالبان.

وأذكر لكم أن الملا عمر جمع الناس بعد القصف بثلاثة أيام وقال لهم: يا أيها الناس! إن كنتم مللتم من هذا القصف، فإنه سوف يشتد أضعاف أضعاف ما رأيتم، فإن كنتم مللتم من هذا، سأسلم نفسي لهذا الكافر الغاشم بوش حتى أرفع عنكم هذا البلاء والقصف، فكل الناس أجابوا بصوت واحد: لا وقالوا: واللّه لو بقي منا رجل واحد لما تركنا مقاومة الأمريكان، فهذا شعور عامة الناس، ولا عبرة بالفساق وأصحاب الفجور والقبور.

● **البيان: مما يأخذه بعضهم على طالبان، أنها لم تشرك في حكومتها** عناصر من القوميات أو العرقيات الأخرى غير البشتون؛ فما رأيكم في هذه المسألة؟

الشيخ غلام اللّه: هذا الزعم، هو إما أن يكون ممن يجهل أحوال أفغانستان وأحوال طالبان، وإما أن يكون ممن يريد العناد والتشويه لسمعة طالبان؛ فطالبان من جميع المسلمين في أفغانستان من جميع القوميات والجنسيات، نعم أكثرهم البشتون؛ لأن سكان أفغانستان ٦٥٪ من البشتون، فطبعًا يكون البشتون أكثر، فإن يريدوا أن يقولوا: إن البشتون أكثر فهذا صحيح، وأما إذا قالوا: إنه لا يوجد في صفوف قادة طالبان إلا البشتون؛ فهذا كذب محض.

● **البيان**: انزعج الناس من الانسحابات المتتالية لطالبان بدءًا من مدينة

مزار الشريف ثم كابول ثم هرات وقندز وغيرها، فقد أشاع الإعلام أن هذا ضعف واستسلام وهزيمة؛ فهل هناك تفسير آخر غير هذا التفسير الشائع؟

الشيخ غلام اللَّه: ليس هناك ضعف؛ لأن كل هذه الانسحابات لم يقع قتال بينهم وبين قوات الشمال حتى يقال: إنهم أخرجوهم، هم خرجوا بأنفسهم، ولهذا فقد أصبحوا هم وأمريكا محتارين، ويتساءلون: أين هم طالبان. أين اختبؤوا؟ صحيح أنه وقع هناك قتلى ومصابون، منهم ومن أعدائهم، ولكن طالبان ليس عندهم الآن إعلام حتى يعلنوا الحقيقة؛ فالإعلام الذي ينشر الآن كله من أعداء طالبان وأعداء المسلمين، وعندما تسمع من نفس الطالبان أنفسهم فهناك أمر واضح يعرفه الأعداء والأصدقاء أن الطالبان لا يكذبون، أما هؤلاء الأعداء فإنهم يكذبون.

◉ البيان: نشكر فضيلة الشيخ غلام اللَّه على تلبيته دعوة (البيان) لهذا الحوار، ونسأل اللَّه أن يتقبل منا ومنه خالص الأعمال وصادق الأقوال، وصلى اللَّه على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم»[1]

* * *

(١) «مجلة البيان» ـ العدد (١٧٠) ـ من ص(٨٦ ـ ٩٥).

○ بيان من علماء في المملكة العربية السعودية إلى الملاّ عمر

لو قال قال: إن الذئب في إمارتكم يرعى مع الغنم لما كان ذلك مستبعداً

واصلوا جهادكم وصمودكم، فقد قرّت بكم عيون الموحدين

ورضيت بكم عساكر الرحمن

نص الخطاب الذي أرسله الشيخ حمود بن عقلاء الشعيبي، وعلي بن خضير الخضير وسليمان بن ناصر العلوان:

بسم الله الرحمن الرحيم

أمير المؤمنين المجاهد الملا/ محمد عمر ـ حفظه الله ورعاه وسدد على الحق خطاه ـ.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نسأل الله تعالى أن تصلكم رسالتنا هذه وأنتم في أتم الصحة والعافية:

○ أمير المؤمنين نحن معشر العلماء نتشرف أن ينسب إلى أمتنا أمثالكم، فلقد أثبتم حقًّا عزة المؤمن، لم تكتفوا بالقول بأنكم أنتم الأعلون حتى أكدتم هذا المعنى العظيم بأفعالكم المشرفة، فالعلو في الأرض ليس العلو المادي فحسب، بل أهمها وأعظمها هو علو الدين والمبدأ، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فهذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يوم أن هزموا في أحد، فالعلو الحقيقي هو علو المبدأ والدين.

○ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الإسلام يعلو ولا يعلى عليه» ـ علقه البخاري

في صحيحه ورواه الطحاوي بسند صحيح ـ فالإسلام وأهل الإسلام في علو حتى ولو هزموا في المعركة، واللَّه تعالى يقول: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فالعزة ملازمة للَّه ولرسوله ولكل مؤمن متمسك بدينه حقًّا، فهو عزيز بعزة اللَّه وبإيمانه فمن تمسك بالمبدأ الحق فهو عزيز بنص الكتاب والسنة.

● أمير المؤمنين إن جهل كثير من المسلمين بحقكم لا ينقص من قدركم شيئًا، فلقد أصبحتم علمًا من أعلام هذه الأمة، وسوف نكتب نحن تاريخ المرحلة بأيدينا، ونثبت للأجيال القادمة أنكم أنتم سادة الدنيا، ولو قتلتم دون ذلك فسوف تسطر سيركم بماء الذهب، وسنشهد جميعًا لكم أمام اللَّه تعالى بأنكم أنصح وأصدق العباد للأمة ـ نحسبكم كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا ـ وسنشهد أنكم أنتم وحدكم الذين رفعتم رؤوسكم في زمن طأطأ الكثير من المسلمين رؤوسهم لدولة الكفر والصليب أمريكا، فلم يتشرف المسلمون برجل قال: «لا ثم لا» لما تطلبه أمريكا في هذا العصر إلا بكم، فيا سعادة المسلمين بأمثالكم.

● أمير المؤمنين، لقد تجلت في أفعالكم معاني العدل والمساواة والعزة والكرامة، والنصرة والحماية والولاء والبراء، لقد أعطيتم للأمة درسًا عمليًّا في هذه المعاني عندما كللتم قدومكم المبارك لأفغانستان وقطفتم للأمة ثمرة الجهاد ضد السوفييت والتي كادت أن تضيع بأيدي العلمانيين والشيوعيين والرافضة، فبعد أن كاد أملنا ينقطع بثمرة الجهاد، أحييتم أمل الأمة بأفغانستان وأصبحت اليوم هي محط أنظار المسلمين جميعًا، والكل يرقب العزة والنصر من أرضكم، فلقد وليتم أمر أفغانستان وطبقتم الشريعة فقلنا:

الحمد للَّه لقد نصر اللَّه الجهاد بكم يوم أن أقمتم على أنقاض بلد مدمر ممزق ومتناحر دولة إسلامية قولاً وعملاً، فساد العدل والدين الحق، وحاربتم الشرك والأضرحة، وقسمتم بالسوية وعدلتم في القضية، حتى لو قال قال: إن الذئب في إمارتكم يرعى مع الغنم لما كان ذلك مستبعدًا، ثم تحديتم العالم أجمع وهدمتم الأصنام عملاً بشريعة محمد ﷺ التي بعث من أجلها، فقلنا: لقد رزق اللَّه الأمة من يجدد فيها ميراث إبراهيم عليه السلام، هادم الأصنام ومتحدي الوثنية، وفرحنا بفعلكم حينما جددتم معاني التوحيد التي كانت غائبة عن الأمة منذ قرون، فالأصنام بأشكالها وأنواعها وأحجامها تملأ بلاد المسلمين، ولكن أمير المؤمنين لم يرض أن يعيش في أرض تجاوره فيها آلهة تعبد من دون اللَّه تعالى، حتى هدمتم تلك المعبودات وأذللتم من عبدها فكادت قلوبنا تطير من الفرح بتجديد التوحيد في هذا الباب، ثم ألزمتم أهل الذمة الصغار والذلة عملاً بكتاب اللَّه سبحانه وتعالى وبسنة رسوله ﷺ كما كانوا في صدر الإسلام أذلاء يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون، فقلنا: عمر عصره في أفغانستان يلزم الكفار الذل والصغار في أرضه.

وجاء المحك الحقيقي الذي أثبت معدنكم الخالص الأصيل عندما تكالبت دول العالم للنيل من المهاجرين إلى أرضكم من غير ذنب اقترفوه إلا أن يقولوا: ربنا اللَّه، فتنادى الشرق والغرب من كل ملل الكفر منهم النصراني واليهودي والوثني والشيوعي والقومي والمرتد والمنافق، ليشكلوا حلفًا من دول العالم أجمع ضد عزتكم وعلوكم، فصمدتم صمود الجبال، لم تخفكم تلك الحشود ولم ترعبكم أسلحة الدمار الشامل، فصبرتم وقررتم

المضي في العزة يوم أن تخاذل الجميع وتبدلت العقائد وظهرت نواقض الإسلام في كثير ممن ينتسبون إليه، إلا أنكم بقيتم أعلامًا بشموخ الجبال، يعتز كل مسلم بأن في أمته أمثالكم، تكالبت عليكم الدول وجاءتكم الأحلاف من كل حدب وصوب بعُدّتها وعتادها بشكل لم يشهد التاريخ أبدًا حلفًا مثله ضد طائفة مؤمنة صادقة قليلة، فضحيتم بالملك وبالأنفس والأموال فكان بفضل اللَّه تعالى إيمانكم وصدقكم ـ نحسبكم كذلك ولا نزكي على اللَّه أحدًا ـ كان إيمانكم وتوكلكم على اللَّه القوي العزيز أعظم من ذلك الحلف وما جمع.

◎ أمير المؤمنين إن الحرب اليوم لم تضع أوزارها، ولكننا نهنئكم بالنصر الحسي مقدمًا بإذن اللَّه تعالى فقد ظهرت بوادره، ونهنئكم أيضًا بالنصر الحقيقي الذي حققتموه، فلقد انتصر مبدؤكم وقولكم على مبادئ أعدائكم، إن أعداءكم يكذبون في كل محفل بأنهم أهل العدل وحقوق الإنسان وأهل الحرية والمساواة، وفي هذه المعركة سقطت تلك الأقنعة عن وجوههم ليظهر للخاص والعام حقيقة الوجه الصليبي اليهودي الحاقد، فظهر حقًّا من الذي يقتل الأبرياء، وعرفنا من الذي لا يراعي لأي كائن حي أي حقوق، وشاهدنا كيف تكون الحرية وسيادة القانون الذي شرعوه لأنفسهم، وعرفنا ما معنى تعايش الحضارات ووحدة الأديان التي يدعون إليها، إنهم يريدون حضارة الغاب الأمريكية، ويريدون وحدة معتقدهم الصليبي فقط، فهنيئًا لكم هذا النصر لقد ميزتم العالم إلى خندقين، وجليتم الحقائق لكل مغفل يوم أن أسقطتم بصمودكم وإيمانكم وتوكلكم على اللَّه كل معاني الزيف والخداع الصليبي.

أمير المؤمنين، وكما فضح صمودكم كذب الكفار في دعواهم، فقد وضح للمسلمين أيضًا معاني كانت غائبة أو كادت تندرس.

صمودكم علّمنا ما هو ميزان القوة لدى المسلمين، صمودكم جدد الولاء والبراء، صمودكم جدد مفهوم الجهاد ومفهوم النصر والهزيمة، صمودكم علمنا معنى التضحية والبذل للّه تعالى، لقد بلغنا أنكم أُغريتم بملك عظيم مقابل التنازل عن حماية المؤمنين، وأجلب عليكم المنافقون بالترغيب تارة والترهيب أخرى لتبدوا شيئًا من التنازل عن مبادئكم، وتأكدنا حقًّا لو أنكم أردتم الدنيا من الآخرة لأمكنكم بالتنازل عن بعض مبادئكم وحينها تكونون أغنى أهل الأرض، ولكن القلوب التي خالطها الإيمان تأبى ذلك أشد الإباء، ويوم أن افتخرت العرب بالسموأل بن عاديا اليهودي الذي حفظ الأمانة وأصابه البلاء، وقُتل ابنه أمام عينيه على أيدي الحارث بن جبلة الغساني ملك الشام الذي جاء يطلب المال منه فأبى أن يدفع المال إلا لأولياء امرئ القيس الذي أودع الأمانة عنده فأصبح صموده مثلاً للعرب، فلأن نفتخر نحن بصمودكم الذي فاق صمود السموأل بآلاف المرات من باب أولى، وحق لكل مسلم اليوم إذا أراد أن يضرب المثل بالصمود أن يذكر صمودكم.

وما وصف الأعشى لحال السموأل إلا وصف لبعض حالكم عندما مدحه بقوله:

بجحفل كسواد الليل جرار ... أوفى وأمنع من جار ابن عمار
حصن حصين وجار غير غدار ... مهما تقله فإني سامع جار
فاختر فما منهما حظ بمختار ... اذبح هديك إني مانع جاري

◎ أمير المؤمنين: إن إعجابنا بأفعالكم ومناصرتنا لها لا ينقطع، ولن ينقطع أبدًا بإذن اللَّه تعالى ما لم تبدلوا وتهنوا أو تتراجعوا نسأل اللَّه لنا ولكم الثبات حتى الممات، وإننا نطمئنكم بأننا وشريحة عظيمة من العلماء والدعاة وطلبة العلم معكم ونؤيدكم، ونقول لكم: لا يسوءكم ولا يفت من قوتكم وإصراركم قول بعض المتخاذلين والمرجفين الذين ذموا صمودكم ولاموا أفعالكم، وزعموا بأنكم قتلتم أنفسكم وشعبكم ومزقتم دولتكم بفعلكم، إن فعلكم هذا هو عين الصواب، وهو ما دلت عليه الأدلة الشرعية وأمر اللَّه تعالى به ورسوله ﷺ، وكل ما أصابكم أو أصاب شعبكم هو بقدر من اللَّه تعالى، وهو الذي أمركم بالتوكل عليه واتباع أمره وموالاة المؤمنين والبراءة من الكافرين وجهادهم بكل السبل، ووعدكم بعد ذلك بالنصر والتمكين، وإن حصلت لكم الأخرى فهو الفوز الكبير الذي وصف اللَّه به أصحاب الأخدود بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ﴾ وبأي شيء نال أصحاب الأخدود وسام الفوز الكبير؟ لقد نالوه بتوكلهم على اللَّه وصمودهم على دينهم وعدم تراجعهم عن مبدئهم فنالوا هذا الوسام الذي لم يعط في القرآن لأحد غيرهم، رغم أنهم قتلوا عن آخرهم.

◎ أمير المؤمنين إننا نناشدكم ونناشد قادة الإمارة الإسلامية من أمثال نائبكم الملا محمد حسن وأمثال المولوي جلال الدين حقاني، والمولوي عبدالحنان، والملا خسكار قائد لواء الدبابات، وغيرهم كثير من قيادات الإمارة الإسلامية، كما نناشد المجاهدين الأنصار وقادتهم، أن تواصلوا جهادكم وصمودكم، فقد قرت بكم عيون الموحدين، ورضيت بكم عساكر

الرحمن، فنحن من ورائكم نناصركم بكل ما نستطيع ونحرض المؤمنين على القتال في صفوفكم، فلا تبدلوا ولا تخافوا ولا تلينوا. ﴿وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾ واثبتوا على مبادئكم وأفعالكم المشرفة، ارفعوا رأس الأمة بجهادكم، وبإذن اللَّه تعالى فإن فرحتنا ستكون قريبة بعودة الإمارة الإسلامية غالبة ممكنة منتصرة بأمر من اللَّه الذي أمركم بالعمل وتكفل بالنصر.

◉ وختامًا فإننا نوصي جميع المسلمين في كل مكن بمناصرة الإمارة الإسلامية في جهادها هذا ضد ملل الكفر جميعًا، كما نوصي الأفغان خاصة بأن يبذلوا أنفسهم للَّه تعالى ويناصروا الإمارة الإسلامية ويقفوا تحت لواء أمير المؤمنين، ونوصي المجاهدين وعلى رأسهم أمير المؤمنين، بأن يحققوا شروط النصر والتمكين التي ذكرها اللَّه تعالى في كتابه وذكرها رسوله ﷺ في سنته.

وإليكم بعضًا مما ورد في كتاب اللَّه من شروط التمكين كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

فالإيمان والعمل الصالح والبراءة من الشرك من شروط النصر والتمكين.

وقوله: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فالاستعانة باللَّه والصبر على أقداره وأحكامه وتقواه في السر والعلن من شروط النصر والتمكين.

وقوله: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾.

فالتوكل على اللَّه حق التوكل من شروط النصر والتمكين.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

فالصلاح في الظاهر والباطن وتحقيق معنى العبودية من شروط النصر والتمكين.

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾.

فالإقرار بربوبية اللَّه وإلهيته مع الاستقامة على شريعته من شروط النصر والتمكين، والآيات التي ذكر اللَّه فيها شروط النصر والتمكين أكثر من ذلك بكثير.

● ومن الوصايا الجامعة للنبي ﷺ، وقد جاء فيها شروط النصر والتمكين ما رواه الترمذي وأحمد ـ واللفظ له ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت رديف النبي ﷺ، فقال: **«يا غلام أو يا غليم، ألا أعلمك كلمات ينفعك اللَّه بهن؟** فقلت: بلى، فقال: **احفظ اللَّه يحفظك، احفظ اللَّه تجده أمامك، تعرف إليه في الرخاء يعرفك في الشدة، وإذا سألت فاسأل اللَّه. وإذا**

استعنت فاستعن بالله قد جف القلم بما هو كائن فلو أن الخلق كلهم جميعًا أرادوا أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، وإن أرادوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدروا عليه، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيرًا كثيرًا وأن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرًا ـ وفي لفظ الترمذي ـ احفظ الله تجده تجاهك».

● واعلموا أنكم إذا بذلتم وسعكم بتحقيق شروط النصر والتمكين فإن الله ناصركم ومخزٍ عدوكم، وعد منه لا يتخلف أبدًا قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾

وقال واصفًا حال المسلمين يوم بدر: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

وقد بشر النبي ﷺ بالنصر وانتصار الدين وغلبته، فقال ﷺ: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزًا يعز الله به الإسلام وذلاً يذل الله به الكفر» رواه أحمد من حديث تميم الداري بسند صحيح.

● وقد أحسن الشاعر حيث قال:

من رام نيل العز فليصطبر على
لقـــاء المنـــايا واقتحـــام المضايق

فإن تكن الأيام رنّقن مشربي
وثلمن حدّي بالخطوب الطوارق
فما غيرتني محنة عن خليقتي
ولا حولتني خدعة عن طرائق
لكنني باقٍ على ما يسرني
ويغضب أعدائي ويرضي أصادقي

◎ وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.

إخوانكم:

حمود بن عقلاء الشعيبي، علي بن خضير الخضير، سليمان بن ناصر العلوان»[1]

❊

(١) جريدة «صوت بلدي» العدد (١٣) شوال سنة ١٤٢٢هـ ـ ١٠ يناير ٢٠٠٢ ص(٨ ـ ٩).

التحالف غير المقدس

بين

أصحاب الشَّمال وأصحاب الشِّمال

التحالف غير المقدس
بين أصحاب الشَّمال وأصحاب الشِّمال

يبدو أن المثل الشهير: «قتلت يوم قُتل الثور الأبيض» أصبح سيد الموقف على الساحة الإسلامية والعربية بعد تتابع الأحداث على الساحة الأفغانية؛ حيث لم يعد الحديث عن «ما بعد طالبان؟» مجرد حديث عن ترتيب إعادة الأوضاع داخل أفغانستان سياسيًّا وعسكريًّا بل أصبح حديثًا عن «ما هو الهدف التالي» بعد أفغانستان؟

بات معلومًا أن سقوط أفغانستان تحت أيدي أعدائها من جيوش الحلفاء الغربيين لم يكن صناعة أمريكية وغربية بقدر ما كان جريمة داخلية أفغانية شمالية؛ فالحملات الجوية الأمريكية على فظاعتها وضخامتها لم تكن لتصل إلى تحقيق أهدافها لولا تلك النصرة المطلقة والولاء المفتوح من «حزب المنافقين» داخل أفغانستان وخارجها! فكيف كان يمكن لحكومة طالبان أن تصمد تحت آلاف الأطنان من القنابل العملاقة من عنقودية وانشطارية وذكية وغبية لم يسبق استعمالها كمًّا وكيفًا في أي حرب سابقة، بينما هي ـ أي طالبان ـ تتلقى الخناجر المسمومة في ظهرها عسكريًّا وسياسيًّا وإعلاميًّا ممن يفترض أنهم إخوة الدين والعقيدة في الداخل والخارج؟!

كيف كان لها أن تصمد ـ وهي أضعف وأفقر دولة ـ في مواجهة أقوى وأطغى دولة، مدعومة ـ لا أقول: بدعم الغرب كله فقط ـ بل بدعم الغرب والشرق والشمال والجنوب من العالم!

كيف كان لها في ظل هذه الظروف المظلمة أن تجمع بين أمرين يستحيل الجمع بينهما وهما: إدارة حرب مع ذلك الحلف العالمي الأممي القوي المتحد، مع إدارة السلطة في ذلك المجتمع القبلي الضعيف غير المتحد.

كان لا بد لحكومة طالبان أن تنسحب من معركة الإدارة إلى إدارة المعركة، بمعنى أن تتفرغ لمعركة المستقبل مع الغزو الصليبي الجديد الذي جاء على ظهور أفغان قاموا بنفس الدور الذي قام به (بابراك) و(حفيظ اللَّه) و(نجيب اللَّه) مع الشيوعيين. كان عليها أن تترك إدارة أمور السلطة إلى من لا همَّ لهم ولا هدف إلا العودة للسلطة.

هل تنجح طالبان في إعادة رص صفوف المجاهدين في أفغانستان لمواجهة الحملة الثالثة الأمريكية لدحرها على أرض الأفغان بعدما دُحرت الحملة الأولى للبريطانيين والثانية للروس الشيوعيين؟! هذا ما ستجيب عنه الفصول المقبلة من الرواية الأفغانية المعاصرة. ولكن قبل أن تتضح معالم الفصول الآتية من تلك الرواية، لا بد من إعادة التذكر والتذكير بحقائق عاشها الجيل الحالي لا تقبل أن يغالط فيها أحد؛ لأنها لم تُنس أو تنسخ بعد من الذاكرة الجمعية القريبة. إن استحضار ذلك التاريخ الماضي القريب، سيعين كثيرًا على استشراف التاريخ المستقبل غير البعيد.

سيذكر التاريخ ـ الذي لم يكتب بعد ـ حقائق قريبة عايشها جيلنا منذ سنوات قليلة وسيدوِّن بمداد الدم والندم كيف أن «قصة طالبان» اختصرت واقعًا مأزومًا لأمة تتخبط في إدارة صراعاتها غير مدركة لطبيعة الفرق بين عدوها ووليها، وما يصلحها وما يفسدها، متجاهلة في ذلك سنن اللَّه الشرعية والكونية ومكانها في إدارة دورات التاريخ، وهي إذ تفعل ذلك

تصادم هذه السنن بظنها أن قدر اللَّه ـ سبحانه ـ يجري حسب ما تريد لا حسب ما يريد.

إن تاريخ طالبان القصير كحركة ثم دولة، ثم تاريخ التعامل معها بعد ذلك، يفصح عن مواطن خلل خطير تعيشه أمة الإسلام في واقعها الحاضر، وقد لا تتضح معالم هذا الخلل كاملة إلا بعد فترة إضافية من الأحداث الحالية، حيث ستظهر آثار الخذلان الجماعي الذي قوبل به مشروع الدولة الإسلامية في أفغانستان، فماذا يمكن أن يقوله التاريخ عن تلك الحقبة القصيرة من عمر طالبان في عمر الأمة الإسلامية الطويل؟

◙ شهادة التاريخ بين المواقف والمواقع:

ـ سيذكر التاريخ أن مجيء طالبان سُبق بوقوع ملحمة عظيمة على أرض أفغانستان، بين جيش من أقوى وأكبر جيوش العالم ـ وهو الجيش السوڤييتي ـ وبين رجال تنادوا لجهاد العدو الملحد تحت رايات متعددة لم تجمعها إلا روح الفداء للدين ولحرمات المسلمين.

ـ سيذكر التاريخ أن هؤلاء الرجال استمدوا قوتهم وقتذاك من مواقفهم، وكان على رأس هذه المواقف الاعتصام بحبل اللَّه أمام أعداء اللَّه، وأنهم من أجل الثبات على تلك المواقف أفقدوا السوڤييت كل مواقعهم في داخل أفغانستان وأخرجوهم منها، ثم أخرجوهم من التاريخ كله فصار الناس يقولون: «الاتحاد السوڤييتي السابق».

ـ سيذكر التاريخ أن نفس هؤلاء المجاهدين، أو قادتهم بمعنى أدق، فقدوا «المواقف» بعد أن استعادوا «المواقع»، وشرعوا في الاقتتال فيما بينهم لفترة امتدت سنوات بعد فتح كابل، قتل خلالها نحو خمسين ألفًا من

الأفغان، في عملية إفساد كبرى لطخت وجه الجهاد، لا في أفغانستان فقط بل في العالم كله، وصار الإسلاميون في العالم أجمع يستحيون ويخجلون مما يحدث في أفغانستان على أيدي «المجاهدين السابقين»؛ حيث رأينا ـ ولم ننس ـ أن الدين الذي قاموا من أجله لم يُر أثره على الأرض المستعادة، فلم يستتب الأمن، ولم تطبق الشريعة، ولم يقض على آثار الدمار السياسي والثقافي والاجتماعي الناتج عن الغزو الشيوعي، بل أضيف إليه دمار عسكري جديد اشتركت في إيجاده كل الفصائل المتناحرة التي لم تقبل بنصح ولم تقدم على صلح[1].

ـ سيذكر التاريخ أن جيلاً تاليًا من طلاب الشريعة الأفغان الذين شاركوا في الجهاد السابق ضاقوا ذرعًا بتضحية القادة بالمواقف والمبادئ، فشرعوا يسعون إلى استعادتها وهم لا يملكون غيرها، فاجتمعت عليهم القلوب في قندهار وما حولها، ثم تتابعت المدن والقبائل في طلب النزول على حكمهم، وطفقت المناطق تتساقط بين أيديهم دون إراقة دماء في الغالب حتى دخلوا العاصمة نفسها بعد فرار الفرقاء المتشاكسين منها.

ـ سيذكر التاريخ أن هؤلاء القادمين الجدد، شرعوا بعد استعادة «المواقع» في تثبيت «المواقف» التي جاؤوا من أجلها، وأنهم تدرجوا في ذلك بنجاح مشهود، فأعادوا الأمن ووحدوا الأقاليم وجمعوا القبائل المتناحرة تحت قيادات موحدة، ونزعوا السلاح منهم حتى لا يتقاتلوا فيما بينهم، وبدؤوا في

(١) ما زلنا نذكر أدوار الوفود الإسلامية التي ذهبت إلى أفغانستان للصلح بين فرقاء الأمس، المتحالفين اليوم، ولم ننس ما ذُكر عن أن الأستاذ محمد قطب الذي كان ضمن الوفد «بكى» عندما صدم بإصرار هؤلاء على الاقتتال فيما بينهم من أجل السلطة.

إعمار البلاد وترميم ما تهدم من مرافقها وسط ظروف حرجة من فقر قاتل، وحصار قائم، وجوار متربص، ومجتمع داخلي مهلهل، وخارجي متنكر.

ـ سيذكر التاريخ أنهم حققوا بعد إنجاز تلك الأهداف العظام، أهدافًا أخرى لا تقل عظمة. أقاموا الحدود الشرعية، وأبطلوا الطقوس البدعية، وقضوا على مظاهر الفسوق والفجور وأغلقوا ما كان لها من دُور، مع إنشاء وزارة خاصة باسم «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، وأنهم بعد أن أقاموا الشعائر الظاهرة للإسلام، قضوا على مظاهر الكفر والوثنية بتحطيم الأصنام وكسر الأوثان، وأجهزوا على زراعة وتجارة الأفيون التي استوطنت أفغانستان في كل العهود التي سبقتهم بما فيها عهد رباني الذي أبقى حتى على الرئيس الشيوعي السابق «نجيب اللَّه» ولم يقدمه ولو للمحاكمة!

ـ سيذكر التاريخ أن تلك الحكومة الناشئة، وبالرغم من كل ما أنجزته من إصلاحات في زمن قياسي قصير، نالت الحظ الأوفر من عداء ما يسمى بـ «المجتمع الدولي»؛ حيث لم يعترف لها بفضيلة واحدة من تلك الفضائل، ولم ير فيها إلا أنها «حكومة متزمتة»؛ لأنها قدمت توظيف الرجال على النساء في مجتمع معدم، وأرجأت تعليم البنات في بلد خرج المستعمرون الشيوعيون منه بعساكرهم ولكنهم بقوا بمناهجهم. فقرر هذا «المجتمع الدولي» فرض حصار ضار ظالم على ذلك البلد المكلوم المظلوم برًّا وجوًّا ليزيد في إفقاره وإضعافه.

ـ سيذكر التاريخ أن أولى من كان ينتظر منهم الاهتمام والإنصاف ـ وهم الإسلاميون في العالم ـ بالغوا في تجاهل الواقع الجديد في أفغانستان، حيث قضوا سنوات يتساءلون: من هم طالبان؟! وبعد أن عرفوا؛ قضوا

سنوات أخرى يتساءلون: من وراء طالبان؟! وبعد أن عرفوا ـ بعد عاصفة الأوثان ـ أن لا أحد وراء سياسات ومواقف طالبان، بدؤوا يتساءلون: ما حكم ما يجري من طالبان؟! دون أن تمتد يد للمعونة، أو يقدم رأي للمشورة، أو يجري تفاعل وحوار ـ ولو من باب النصيحة ـ إلا ما قل وندر، مع أن أكثر جماعات هؤلاء الإسلاميين في العالم إنما كانوا ولا يزالون يعملون من أجل هدف رئيس معلن وهو إقامة دولة الشريعة الكاملة، فلما قامت لهذه الشريعة دولة ناشئة تطلب النصرة والتأييد، قُوبلت بالتجاهل والإهمال من المسلمين، وبالجحود والكنود والنكران من الكافرين.

ـ سيذكر التاريخ أن ذلك الجحود والكنود على المستويات الدولية والعربية والإسلامية بدأت بوادره قبل أن تُرمى طالبان بتهمة الإرهاب، وقبل أن يعود إليها الأفغان العرب أو يلوذ بها أسامة بن لادن أو ينشأ فيها تنظيم القاعدة، أو تدمر على أرضها أصنام بوذا، بل إن تلك المواقف العدائية من الحكومة الأفغانية الناشئة إنما كانت انعكاسًا في الغالب لآراء الدوائر المتربصة بالإسلام في كل من واشنطن وموسكو ولندن وتل أبيب، تلك الدوائر التي كانت قد حسمت الخيار في أفغانستان لصالح مستقبل علماني صرف يعود بها إلى عهد المَلَكية الليبرالية الفاسدة أو عهد الجمهورية الشمولية البائدة تحت مظلة الظلم العالمي ممثلة في منظمة الأمم المتحدة.

ـ سيذكر التاريخ أن الحصار السياسي والاقتصادي الذي فرضته الأمم المتحدة على أفغانستان لسنوات عديدة قبل أحداث سبتمبر ١ ٢م قد أسهم بدور كبير في عزل حكومتها عن «الانفتاح» على العالم كما يطلب هذا العالم، وأن إصرار تلك المنظمة الدولية على عدم إعطاء إمارة أفغانستان

مقعدها بين الأمم رغم سيطرتها لخمس سنوات على معظم أراضي أفغانستان، قد أسهم في تأسيس العداء وتكريس الكراهية بينها وبين المزيد من دول العالم، حيث جوبهت بقطع أو تجميد العلاقات وغلق وإلغاء السفارات، فانقطعت بذلك فرص الحوار والتفاهم، وعطلت منابر الخطاب تأثرًا وتأثيرًا حتى وقعت أحداث نيويورك وواشنطن.

ـ سيذكر التاريخ أن تلك الأحداث الكبرى التي نفت طالبان بشدة ضلوعها فيها، قد سارعت أمريكا من اليوم الأول في توجيه أصابع الاتهام فيها إلى ضيوف أفغانستان، ثم بدأت من قبل أن تقدم أدلة ثبوتية في المطالبة بتسليم من اتهمتهم[1] مهددة حكومة طالبان بالويل والثبور وعظائم الأمور إن لم تسلِّمهم من دون قيد أو شرط، فخالفت بذلك أحكام الشرائع والقوانين والأعراف في العالم كله بما فيه أمريكا، ورفضت في الوقت ذاته كل عروض الحكومة الأفغانية بتقديم من اتهمتهم أمريكا للمحاكمة في أفغانستان أو في بلد ثالث أو تسليمهم إلى منظمة المؤتمر الإسلامي.

ـ سيذكر التاريخ أن حكومة أفغانستان استعملت حقها في رفض هذا الإملاء المستكبر، وأبى علماؤها أن يفتوا بجواز ما لا يجوز في دين الإسلام، مفتين في الوقت نفسه ـ بالاشتراك مع علماء باكستان ـ بوجوب جهاد من يتعدى على أرض أفغانستان من الأعداء الخارجيين بذريعة القبض على المتهمين بلا بينة، وأفتوا كذلك بردة من يتحالف مع النصارى في حربهم ضد بلد إسلامي يعلن أن الشريعة هي منهاجه وسبيله.

---

(١) حتى اليوم لم يوجه الاتهام بشكل رسمي وقانوني إلى أحد في أحداث سبتمبر، وإنما يُقال: «من يُشتبه» في أنهم قاموا بالعمل!

ـ سيذكر التاريخ أن أمريكا نفذت تهديدها، وصبت جام غضبها وحقدها بالطائرات من فوق السحاب دون أن تجرؤ على الاقتراب من الأرض، وأنها دكت المدن والمواقع على مدى ما يزيد على شهر في تركيز منعدم النظير من القصف ليلاً ونهاراً، دون أن يكون للأفغان من المقاومة الأرضية ما يستطيعون أن يطاولوا به تلك الهجمة الجوية التي كان يكفي مثلها ـ في ظروف مشابهة ـ أن تُسقط مدنًا مثل موسكو وباريس ولندن، لا كابل أو مزار شريف أو قندز فقط!!

ـ سيذكر التاريخ أنه مع كل هذا الإرهاب الشيطاني الصليبي المحمول جوًا والمحمي أرضًا، فإن الأمريكان ما كان لهم أن يستطيعوا إكمال المهمة التي جاؤوا من أجلها إلا بحسم بري يقوم به جند الصليب من واشنطن ولندن وباريس وموسكو وأستراليا وكندا وغيرها، وهو ما كان سيعني حشد المسلمين في العالم كله ضد هذه الحرب وهؤلاء الأعداء. ولكن. سيذكر التاريخ..

ـ سيذكر التاريخ أن هناك من «تبرع» بالقيام بهذا الدور الخطير نيابة عن بروتستانت أمريكا وكندا وأستراليا، وأرثوذكس روسيا وألمانيا، وكاثوليك فرنسا وإيطاليا، وشيوعي طاجيكستان وأوزبكستان، ووثني الهند والصين واليابان، حيث عرض مغاوير «المجاهدين» سابقًا، خدماتهم على أمريكا وحلفائها لقاء ثمن بخس كراسي معدودة، هم أول من يعلم أن الأعداء لن يكافئوهم بها، مهما والوا وتقربوا وتزلفوا على حساب عقيدة أمتهم وكرامتها وحرماتها.

ـ سيذكر التاريخ أن قوى التحالف الشمالي ـ أو ما يسمى بأحزاب

الجهاد «سابقًا» ـ قاموا بالمهمة شر قيام، وأقروا أعين أعداء الإسلام بما لم يكونوا يحلمون به، فقد رآهم العالم ـ ولسوء حظ الأمة ـ وهو يقدمون للدنيا صورة الإسلام الذي يحملونه ويفهمونه، رأى الناس في العالم جثثًا تُركل وتُضرب بأعقاب البنادق، ورأوا شعائر تهان ولحى تنزع وأسرى يُعذبون ويقتلون بالمئات في المعتقلات مع إسناد جوي أمريكي يلاحق المجاهدين حتى في الأسر، ورأى العالم ـ ويا لعار ما رأى ـ رأى جنودًا من مغاوير الشمال يجردون رجالاً من سراويلهم؛ ليبالغوا في ضربات الطعن الفاجر بحِراب البنادق قبل الإجهاز بالطلقات الرشاشات!

ـ سيذكر التاريخ أن هؤلاء المنافقين ظلوا مع كل ذلك يدَّعون أنهم مجاهدون، مع أن نكايتهم في الإسلام والمسلمين كانت أعظم من كل ما فعله النصارى على مدى شهر من بدء الحرب، فالجميع شهدوا أن قلوب الأمة ما أصابها الحزن والوهن والانكسار والإحباط من الضربات الجوية الأمريكية ـ على فظاعتها وجسامتها ـ بقدر ما أصيبوا بذلك من جراء الهجمات البرية «الجهادية» التي جاءت بـ «الفتح المبين» هدية للصليبيين، على ظهور دبابات الروس وتحت قصف طائرات الأمريكان والبريطان.

ـ سيذكر التاريخ أن جنود طالبان لم يشاؤوا أن تتلوث أيديهم بدماء إخوانهم الخونة، مع أنهم كانوا يستطيعون ذلك بما كان معهم من سلاح؛ آثروا الانسحاب به لكي تدخر الأرواح والذخائر والأسلحة لمعركة «ما بعد التحالف الشمالي»، حيث ظهر للجميع أن أفغانستان وقعت أو هي على وشك الوقوع صريعة غزو صليبي جديد[1] ، ضم آلافًا من المقاتلين النصارى

---

(١) حتى كتابة هذه السطور، فالأخبار تشير إلى نية بريطانيا بالمشاركة في الحرب بإرسال ستة=

المحتلين الذين بدؤوا بالفعل بالنزول على أرض أفغانستان وانتشروا في مرافقها العسكرية والإستراتيجية بدعوى تأمين الأعمال الإغاثية! واستئصال الجيوب الجهادية.

- سيذكر التاريخ أن عملية التضحية الكبرى بـ «الثور الأبيض» شارك فيها علمانيو باكستان، وروافض طهران، وأزلام كثير من البلدان التي رأت في «تشدد» طالبان سببًا كافيًا في ارتكاب أصرح أعمال الكفر وأصرخ أنواع العدوان المشترك مع حَمَلة الصلبان، وسيذكر التاريخ أنهم - مع ذلك - ظلوا يتلمظون بالدماء التي ولغوا فيها، ويتشفون في الحرمات التي انتهكوها عن طريق إعلام رخيص مأجور حرص طوال الحرب على مراعاة كل المشاعر إلا مشاعر الأمة الإسلامية المصدومة مما يحدث.

• وقفة لا بد منها:

قلبت جرائم تحالف الشمال في أفغانستان الأوراق كلها لغير صالح الإسلام في المرحلة الحالية، وحولتها من «ملاحم» منتظرة ضد الصليبيين، إلى «فتن» سوداء بين المسلمين، واستطاع حزب المنافقين وحده - كما سبق القول - أن يقوم بما عجز عنه الأمريكان والبريطان والروس والهندوس، لا مستقلاً عنهم ولكن خادمًا لهم، وحُقّ في هؤلاء المنقلبين على أعقابهم قول اللَّه تعالى عن المنافقين في كل زمان ومكان: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ

= آلاف جندي، وفرنسا بخمسة آلاف، وألمانيا بثلاثة، وأستراليا بألفين، وحتى اليابان التي لم يخرج منها جندي واحد خارج الحدود منذ الحرب العالمية الثانية قررت المشاركة بإرسال جنود، كل هذا إضافة إلى من سيرسلون من جنود أمريكا الذين لم يُعلن عن عددهم بعد!.

أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] نعم، فالغرب الصليبي عدو، والشرق الملحد عدو ولكن طابور المنافقين في أنحاء العالم «هم العدو»، هكذا كان الشأن وقت الحملات الصليبية والتتارية فيما مضى، وكذلك كان الشأن في الحملات الصليبية الاستعمارية المعاصرة، فلم يحدث أن جاء المستعمر الأجنبي إلى بلدان المسلمين إلا راكبًا ظهور أقوام من بني جلدتنا المتكلمين بألسنتنا.

إننا برغم كل ما يحدث، لا بد أن نتجاوز مرارة الألم، أو نخففها على الأقل بشيء من حلاوة الأمل في اللَّه صاحب الجلال والعظمة، والرحمة والحكمة الذي قال وقوله الحق: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (١٣٩) إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤١]. إنها آية المرحلة وعنوان الحدث الذي تعايشه الأمة في هذه الآونة.

إنه يعز علينا أن نصف أناسًا كانوا بالأمس القريب مجاهدين، بأنهم أصبحوا اليوم بالنفاق متهمين أو متلبسين؛ فنحن بين خيارين: إما أن نكذب حقائق ديننا، ونسفه عقولنا فنصف هؤلاء بـ«المجاهدين» كما يشتهون، أو نتجاوز المجاملة الضارة والانخداع الظاهر، فنتخذ من هؤلاء الموقف الذي يستحقون من خلال الأحكام الشرعية الثابتة من النفاق وأهله. نحن لا نتحدث هنا عن أشخاص وأعيان بالضرورة، ولكن نتحدث عن راية، راية جاءت بالفساد والإفساد تحت مسمى الجهاد، فماذا تسمى هذه الراية، وبماذا يوصف هذا الموقف الذي نعده متجاوزًا في السوء شؤم الموقف الباكستاني ولؤم الموقف الإيراني، وأنانية ودونية المواقف الأخرى العتيدة العنيدة في

كرهها للدين وأهل الدين. إن اللَّه تعالى الذي أمر الرسول ﷺ وأتباعه بجهاد الكفار والمشركين، أمره أيضًا بجهاد المنافقين، فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِي جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]؛ وإذا كان جهاد الكفار والمنافقين طريقه السيف والسنان، فجهاد المنافقين إنما يكون بالحجة واللسان، وجهادهم باللسان ليس جهاد مماراة ومداراة أو مماحلة ومجادلة، بل هو جهاد الإغلاظ عليهم والإعلام بفضائحهم.

قال القرطبي في تفسير تلك الآية: «الخطاب للنبي ﷺ، وتدخل فيه أمته من بعده.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « جاهد المنافقين بيدك، فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فاكفهر في وجوههم»[١]

قد يستكثر بعضنا وصف «المجاهدين القدامى» بالنفاق، ولكن دعونا باللَّه نسمي الأمور بأسمائها، فبماذا يمكن أن يوصف التولي الظاهر للكفار والمشركين؟ وبماذا يسمى القتال تحت إمرتهم وبأسلحتهم لتنفيذ خططهم وتحقيق بغيتهم؟ وبماذا يوصف من وصفوا رفاق الجهاد السابق من العرب والمسلمين بـ«الإرهابيين»[٢] واستحلوا بذلك دماءهم، واستهانوا بحرماتهم، وتعاهدوا على خذلانهم وإسلامهم؟ بماذا يوصف من وصفوا إقامة الحدود الشرعية، ومنع المزارات الشركية، ومحاربة مظاهر الخرافة والانحراف

---

(١)«تفسير القرطبي» (٨/ ٢٠٤).

(٢)سبق لبرهان الدين رباني أن صرح علنًا في أول زيارة له لمصر عام ١٩٩٣م ـ وهو لا يزال في السلطة ـ بأن حكومته ستسلم «الإرهابيين» المطلوبين، وذلك قبل أن يُعلن عن المحاكمات العسكرية لمن وصفوا بـ «العائدين من أفغانستان».

بـ«الكابوس»؟ وبماذا يوصف من ابتهجوا مع الرعاع بمظاهر حلق اللحى، ونزع الحجاب، وإعادة مظاهر الفسوق والمروق، وبادروا برفع الحظر السريع عنها حتى قبل أن تنتهي المآتم وتجف الدماء وتبرد المصائب؟

* مخاوف ومحاذير:

هناك عدد من المحاذير لا بد من التحسب لها ونحن نراقب ما يحدث في أفغانستان بعد سقوط معظمها بأيدي تحالف النفاق تمهيدًا لإسقاطها تحت أيدي تحالف الكفر الظاهر الذي لن يرضى دون تحويلها إلى دولة علمانية صريحة، ومن هذه المحاذير:

أولاً: محاولة حزب المنافقين تسويغ وتسويق ما فعلوا أو ما سيفعلون على أنه استكمال لـ «مسيرة الجهاد الأفغاني»، بادعاء أنهم جاؤوا لإقامة دولة الإسلام الحقيقية في أفغانستان؛ فقد كفونا مؤونة الانتظار لمعرفة ملامح تلك الدولة التي لن تدوم بل قد لا تقوم؛ لأن الكفار لن يرضوا عنهم ـ كما لا بد أن يفهموا ـ حتى يتبعوا ملتهم اتباعًا كاملاً.

ثانيًا: انقسام الإسلاميين بشأن ما يدور في أفغانستان، وتعميق الشروخ بينهم بسبب اختلافات المواقف بحسب المعايير الحزبية والقناعات الفكرية الشخصية والجماعية، ولا علاج لهذا المحظور إلا بتحرير الولاء وتجريد البراء بحسب المعتقد الصحيح والمسلك القويم، وإطلاق شرعة الحب والبغض في الله من أسر الهوى وميل العاطفة وتحكمات الانتماءات والتحالفات، فحبنا وبغضنا لا ينبغي أن يخضع لقوالب ثابتة لا تتغير بتغير أحوال البشر، بل ينبغي أن يكون بحسب استقامتهم على ثوابت الدين أو انحرافهم عنها.

ثالثًا: إمعان الإعلام الانتهازي في الضرب على وتر التنفير من النهج الإسلامي في الحياة والحكم، استغلالاً لمحنة الطالبان الذي صُورت تجربتهم على أنها «فهم متزمت للدين» وأدينت لأجل ذلك، ومن ضمن ذلك أحكام ثابتة في الإسلام ومعلومة منه بالضرورة، لم تكن من اختراع طالبان، ولا من بنات أفكار زعمائهم، مثل حظر السفور والفجور، وإقامة الحدود الشرعية، وفرض القيود على الممارسات البدعية والشركية وغير ذلك؛ فالخوف هنا أن تُعد محاربة تلك الأحكام من ضمن «محاربة الإرهاب» في كل أنحاء العالم.

رابعًا: قد تكون تجربة «حزب المنافقين» في أفغانستان، مغرية لأحزاب أخرى من المنافقين في أنحاء العالم الإسلامي، يريدون ركوب موجة العداء العالمي للإسلام لتحقيق أهداف طالما عجزوا عن تحقيقها أو حتى البوح بها، وهذا يستوجب أعلى درجات الوعي والحذر؛ فقد تتكرر تجارب استدعاء الكفار بأشكال أخرى وتحت ذرائع ومسميات مختلفة، قد لا تكون بالضرورة طمعًا في السلطة ـ كما هو الشأن في أفغانستان ـ وقد لا تكون باسم «محاربة الإرهاب» بل قد تكون باسم محاربة «التزمت»!

خامسًا: أن تظل الأمة ـ بعلمائها وأمرائها ـ على نفس الحال من تجاهل الخطر الحقيقي البعيد انشغالاً بالخطر الوهمي القريب؛ فالدور قادم على «الثيران السود» بعد أن شاركوا ـ بالصمت على الأقل ـ في جريمة افتراس الثور الأبيض، وهنا نقول: إن كل ما تم به تسويغ الحرب في أفغانستان، سيتم به تسويغ الحروب في غيرها من البلدان، والذين شاركوا في تسويغ تلك الحرب الأولى، سيعجزون عن التصدي لتسويغها في الحروب التالية

وبخاصة إذا نشبت في العراق أو باكستان أو إيران أو سورية أو لبنان أو غيرها.

وأخيرًا: من أكبر المحاذير أن تطول بالإسلاميين حالة الإحباط واليأس التي دبت بينهم بعد الدخول السريع لميليشيات النفاق لأرجاء أفغانستان تحت وقع الهجوم الجوي الضاري بسلاح الطيران الأمريكي الذي أرغم طالبان على إخلاء مواقعها في المدن تجنبًا للمزيد من تدميرها، وهنا نقول: صحيح أن من واجب المسلمين أن يتداعوا لإخوانهم بالأسى والألم وبالحمى والسهر كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، لكن من واجبهم أيضًا ألا يقعد بهم هذا الألم عن استشراف بارقات الأمل التي كانت ملء جوانحهم حتى وقت قريب، حيث أراهم اللَّه تعالى أنه إذا أخذ القرى وهي ظالمة، فإن أخذه أليم شديد، وأنه إذا أراد شيئًا يسر له الأقدار، وأعمى عنه الأبصار، وهيأ لأجله جنده وأنفذ وعده، فلا ينبغي لهم أن يهنوا أو يحزنوا بوهن أو حزن مفقد للأمل أو مقعد عن العمل؛ لأن اللَّه تعالى نهاهم عن ذلك وقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]»[(١)]

* * *

---

(١) مقال لعبدالعزيز كامل «مجلة البيان» العدد ١٧٠ ـ السنة السادسة عشرة ـ شوال ١٤٢٢هـ ص(٩٨ ـ ١٠٥).

فتاوى العلماء الربانيين
في
وجوب موالاة ونصرة
الأفغان المجاهدين
وتحريم موالاة الكافرين الصليبيين

فتاوى العلماء الربانيين في وجوب موالاة ونصرة الأفغان المجاهدين وتحريم موالاة الكافرين الصليبيين

الولاء والبراء أصل أصيل في ديننا وعقيدتنا، وكلما كان الشخص أكمل عبودية ومحبة للَّه تعالى كان أكثر تحقيقًا للولاء والبراء، وعبادة اللَّه ومحبته هي الأصل ويتفرّع عنها الحب والولاء في اللَّه، والبغض والبراء في اللَّه تعالى.

◉ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصل الموالاة هي المحبة، كما أن أصل المعاداة البغض»(١)

◉ وقال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي: «فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل»(٢)

- ولما كان الإيمان له ظاهر وباطن؛ فكذا الحب والبغض وهما أمران قلبيّان، والولاء والبراء أمران ظاهران، فلازم الحب الولاء، ولازم البغض البراءة والعداء.

◉ قال عز وجل: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ

---

(١) «قاعدة في المحبة» ص(٣٨٧)، و«مجموع الفتاوى» (١٤/ ٢٨٠).

(٢) «الفتاوى السعدية» ص(٩٨).

الْعَداوَةُ وَالْبَغْضاءُ أبدا حَتّىٰ تُؤمنوا بالله وحْده... ﴾ الآية [الممتحنة: ٤].

وقال تعالى: ﴿محمَّدٌ رسولُ الله والَّذين معه أَشدَّاء على الْكُفَّارِ رحماءُ بينهم﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال تعالى في بغض النبي ﷺ والصحابة ﵃ لأعداء اللَّه تعالى: ﴿ومثلهم في الإنجيلِ كزرْعٍ أَخْرَج شطْأَهُ فآزره فاستغْلظ فاستوىٰ على سوقه يعجب الزُّرَّاع ليَغيظ بهِمُ الْكُفَّار﴾ [الفتح: ٢٩].

• وفي صلح الحديبية: «نحر رسول اللَّه ﷺ في جملة هدْيه جملاً كان لأبي جهل ليغيظ به المشركين، وكان هذا الجمل قد غنمه ﷺ يوم بدر»(١)

واستنبط ابن القيم من هذه القصة استحباب مغايظة أعداء اللَّه تعالى(٢)

• وقال رسول اللَّه ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب في اللَّه والبغض في اللَّه**»(٣)

• يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «والمؤمن عليه أن يعادي في اللَّه ويوالي في اللَّه، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه، فإن الظلم لا يقطع الموالاة الإيمانية.

قال تعالى: ﴿وَإِن طَائفتَان مِن الْمُؤْمنِين اقْتتلُوا فأَصلحوا بينهما فإن بغت

(١) «زاد المعاد» (١/ ١٣٤)، (٢/ ٢٩٩).

(٢) «زاد المعاد» (٢/ ٣٠١).

(٣) حسن: أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٨٠)، وحسّنه الألباني في «الصحيحة» رقم (١٧٢٨).

إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الآية [الحجرات: ٩، ١٠]، فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم. وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك، والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن إليك، فإن اللَّه سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب ليكون الدين كله للَّه، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه. وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وبر، وطاعة ومعصية، وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإهانة، كاللص الفقير تُقطع يده لسرقته، ويُعطى من بيت مال المسلمين ما يكفيه لحاجته»[١]

۞ قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من أحب في اللَّه، وأبغض في اللَّه، ووالى في اللَّه، وعادى في اللَّه، فإنما تنال ولاية اللَّه بذلك، ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا؛ وذلك لا يجدي على أهله شيئًا»[٢]

۞ قال ابن تيمية: «والناس إذا تعاونوا على الإثم والعدوان أبغض بعضهم بعضًا، وإن كانوا فعلوه بتراضيهم، قال طاووس: ما اجتمع رجلان على غير ذات اللَّه إلا تفرّقا عن تقالٍ (بغضاء)، قال الخليل ـ عليه السلام ـ:

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٨/٢٠٨، ٢٠٩).

(٢) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» ص(٣٥٣).

﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٥].

◎ وقال ابن القيم: «كل من اتخذ من دون اللَّه ورسوله وليجة وأولياء، يوالي لهم ويعادي لهم، ويرضى لهم ويغضب لهم، فإن أعماله كلها باطلة يراها يوم القيامة حسرات عليه مع كثرتها وشدة تعبه فيها ونصبه؛ إذ لم يجرّد موالاته ومعاداته، ومحبته وبغضه، وانتصاره وإيثاره للَّه ورسوله، فأبطل اللَّه عز وجل ذلك العمل كله، وقطع تلك الأسباب، فينقطع يوم القيامة كل سبب وصلة ووسيلة ومودة وموالاة كانت لغير اللَّه تعالى»[1].

◎ قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...﴾ الآية [المائدة: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران: ١١٨].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِن

---

(١) «الرسالة التبوكية» لابن القيم ص(٦٦).

استحبوا الْكُفْرَ عَلَى الإِيمان ومن يَتَوَلَّهُم مِّنكُم فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [التوبة: ٢٣].

«فهذا أمر من اللَّه بمباينة الكفار، وإن كانوا آباء أو أبناء، ونهي عن موالاتهم إذا اختاروا الكفر على الإيمان»(١)

قال القرطبي: «وهذه الآية باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين»(٢)

◎ وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ (١) إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ [الممتحنة: ١، ٢].

قال ابن كثير في «تفسيره»: (١٣/ ٥١١): «نهى أن يتخذوا أولياء وأصدقاء وأخلاء».

وقال سيد قطب في «الظلال» (٦/ ٣٥٤٠ ـ ٣٥٤١): «يذكرهم بجريرة هؤلاء الأعداء عليهم وعلى دينهم وعلى رسولهم، وعدوانهم على هذا كله في تجنٍّ وظلم، فماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة؟ كفروا بالحق، وأخرجوا الرسول والمؤمنين، لا لشيء إلا لأنهم آمنوا باللَّه ربهم؟

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٦٦).
(٢) «أحكام القرآن» للقرطبي (٨/ ٩٤).

والأدهى من هذا كله والأشد والأنكى ﴿ وودُّوا لو تكفُرُون ﴾.

وهذه عند المؤمن أشد من كل أذى ومن كل سوء يصيبه باليد أو اللسان، فالذي يود له أن يخسر هذا الكنز العزيز. كنز الإيمان ويرتد إلى الكفر هو أعدى من كل عدو يؤذيه باليد واللسان!

والذي يذوق حلاوة الإيمان بعد الكفر، ويهتدي بنوره بعد الضلال، ويعيش عيشة المؤمن بتصوراته ومداركه ومشاعره واستقامة طريقه وطمأنينة قلبه يكره العودة إلى الكفر كما يكره أن يُلقى في النار أو أشد، فعدو اللَّه هو الذي يود أن يرجعه إلى جحيم الكفر وقد خرج منه إلى جنة الإيمان، وإلى فراغ الكفر الخاوي بعد عالم الإيمان المعمور».

◎ وقال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَتَّخذُوا الْكَافرين أَوْلياء من دون الْمُؤْمنين أَتُريدونَ أَن تجْعَلُوا للَّه عَلَيْكُم سُلْطَانا مبينا ﴾ [النساء: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذين آمنوا لا تَتَّخذُوا الَّذين اتَّخذُوا دينَكُم هزوا ولَعبا من الَّذين أُوتُوا الْكتاب من قَبْلكُمْ وَالْكُفَّار أَوْلياء واتَّقُوا اللَّهَ إن كُنتُم مُّؤمنين ﴾ [المائدة: ٥٧].

◎ وقال تعالى: ﴿ لا يَتَّخذ الْمُؤْمنون الْكَافرين أَوْلياء من دون الْمُؤْمنين ومن يَفْعَل ذَلك فَلَيْس من اللَّه في شيءٍ إلاَّ أَن تَتَّقُوا منْهُمْ تُقَاة ويحذِّرُكُم اللَّهُ نفسه وإلَى اللَّه الْمصير ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال ابن جرير: «من اتخذ الكفار أعوانًا وأنصارًا وظهورًا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من اللَّه في شيء، أي قد برئ من اللَّه وبرئ اللَّه منه، بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر ﴿ إلاَّ أن تَتَّقُوا منهُم تُقَاةً ﴾

أي: إلا أن تكونوا في سلطانهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا العداوة، ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل»[1]

• وقال تعالى: ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الأستاذ سيد قطب في «الظلال» (٦/ ٣٥١٤ ـ ٣٥١٥): «إنها المفاصلة الكاملة بين حزب اللَّه وحزب الشيطان. ما جعل اللَّه لرجل من قلبين في جوفه، وما يجمع إنسان في قلب واحد وُدّين: ودًّا للَّه ورسوله وودًّا لأعداء اللَّه ورسوله! فإما إيمان أو لا إيمان. أمّا هما معًا فلا يجتمعان.

فراوبط الدم والقرابة هذه تنقطع عند حد الإيمان.. إنها يُمكن أن تُرعى إذا لم تكن هناك محادة وخصومة بين اللوائين: لواء اللَّه ولواء الشيطان. والصحبة بالمعروف للوالدينِ المشركيْن مأمور بها حين لا تكون هناك حرب بين حزب اللَّه وحزب الشيطان. فأما إذا كانت المحادة والمشاقة والحرب والخصومة فقد تقطّعت تلك الأواصر التي لا ترتبط بالعروة الواحدة وبالحبل الواحد. ولقد قتل أبو عبيدة أباه في يوم بدر، وهمّ الصديق بقتل ولده عبدالرحمن، وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عُمير، وقتل عُمر وحمزة

(١) «تفسير الطبري» (٣/ ٢٢٨).

وعلى وعبيدة والحارث ﷺ أقرباءهم وعشيرتهم، متجردين من علائق الدم والقرابة إلى آصرة الدين والعقيدة. وكان هذا أبلغ ما ارتقى إليه تصور الروابط والقيم في ميزان اللّه.

وهكذا تنقسم البشرية إلى حزبين اثنين: حزب اللّه وحزب الشيطان، وإلى رايتين اثنتين: راية الحق وراية الباطل. فإما أن يكون الفرد من حزب اللّه فهو واقف تحت راية الحق، وإما أن يكون من حزب الشيطان فهو واقف تحت راية الباطل، وهما صفّان متميزان لا يختلطان ولا يتميّعان!!

لا نسب ولا صهر، ولا أهل ولا قرابة، ولا وطن ولا جنس، ولا عصبية ولا قومية. إنما هي العقيدة والعقيدة وحدها».

عن جرير بن عبداللّه البجلي ﷺ أن رسول اللّه ﷺ بايعه على أن: «**تنصح لكل مسلم وتبرأ من الكافر**»(١)

◎ وقال رسول اللّه ﷺ «**أوثق عرى الإيمان الحب في اللّه والبغض في اللّه**»(٢)

◎ وعن ابن عباس ﷺ أن رسول اللّه ﷺ قال: «**أوثق عرى الإيمان الموالاة في اللّه والمعاداة في اللّه، والحب في اللّه والبغض في اللّه**»(٣)

◎ وعن أبي أمامة ﷺ عن رسول اللّه ﷺ قال: «من أحبّ للّه،

---

(١) حسن: رواه أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٥٧) ـ ط ٢ ـ المكتب الإسلامي.

(٢) حسن: أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» ص(٤٥)، والطبراني في «الكبير» عن ابن مسعود مرفوعًا، وحسنه الألباني في تخريج «الإيمان» لابن أبي شيبة.

(٣) حسن: رواه الطبراني في «الكبير»، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٢٥٣٦).

وأبغض للَّه، وأعطى للَّه، ومنع للَّه فقد استكمل الإيمان»[1]

◎ حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى هي من أجل العقيدة:

قال الأستاذ سيد قطب ـ رحمه اللَّه ـ: «إن حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة المسلمة هي من أجل العقيدة. وهم قد يختصمون فيما بينهم ولكنهم يلتقون دائمًا في المعركة ضد الإسلام والمسلمين.

وقد يرفعون لهذه المعركة أعلامًا شتى ـ في خبث ومكر وتورية ـ لأنهم قد جرّبوا حماسة المسلمين لدينهم وعقيدتهم حين واجهوهم تحت راية العقيدة، فخوفًا من حماس العقيدة الإسلامية وجيشانها: أعلنوا الحرب باسم الأرض والاقتصاد والسياسة والمراكز العسكرية، وألقوا في روع المخدوعين منا: أن حكاية العقيدة قد صارت حكاية قديمة لا معنى لها! ولا يجوز رفع رايتها، وخوض المعركة باسمها، فهذه سمة المتخلفين المتعصبين! وذلك ليأمنوا جيشان العقيدة من جديد، بينما هم في قرارة نفوسهم جميعًا يخوضون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتحطيم هذه الصخرة العاتية التي نطحوها فأدمتهم جميعًا!.

فإذا نحن خُدعنا بخديعتهم فلا نلومنّ إلا أنفسنا، ونحن نبتعد عن توجيه اللَّه لنبيه ﷺ ولأمته وهو سبحانه أصدق القائلين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

---

(١) صحيح: أخرجه أبو داود (٦٨١)، والضياء، وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٣٨٠).

هذا هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه وما سواه فمرفوض مردود. ولكن الأمر الحازم والتوجيه الصادق ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ على سبيل القصر والحصر، هدى اللَّه هو الهدى وما عداه فليس بهدى».

- إذا نحن خُدعنا بخديعتهم فلا نلومن إلا أنفسنا، ومن أصدق من اللَّه قيلاً؟ ومن أصدق من اللَّه حديثًا؟

◎ قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥].

◎ وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩].

◎ وقال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨].

◎ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤].

◎ وقال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [النساء: ٨٩].

◎ وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ [المائدة: ٨٢].

○ وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ٨]. فالعداوة والبغضاء بيننا وبين الصليبيين حتى يسلموا.

البراءة من الصليبيين ومعبوداتهم وعباداتهم والكفر بهم.. والمفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئًا من الوشائج بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان[1]

○ رباني ليس بالرباني بل هو خائن لوطنه ودينه:

برهان الدين رباني.. عضو التنظيم الدولي للإخوان المسلمين ورئيس أفغانستان السابق تحالف مع دوستم وحزب الوحدة الشيعي، والاتحاد الإسلامي «عبد رب الرسول سياف»، ورفضوا الخضوع لطالبان حقنًا للدماء وتشبثوا بـ ٥ - ١٠٪ من الأراضي الأفغانية بعد أن ظلموا السكان ونهبوا أموالهم واعتدوا على أعراضهم، وكانت جريمة الفتنة والاقتتال الأهلي التي كان برهان الدين رباني أحد أهم أسبابها. ارتكب هؤلاء جريمة التعاون مع الروس والهنود وإيران، وكل أعداء أفغانستان، وحصلوا على المساعدة من روسيا وإيران، وزاد هذا الأمر من شعور الشعب الأفغاني بعدم مصداقية هؤلاء، وأن تشبثهم بالسلطة يدفعهم إلى فعل أي شيء وتآكلت مصداقية رباني وأحمد شاه مسعود. ويصافح شاه مسعود بوتين أي والله، ويتحالف معهم ضد طالبان وبعد أحداث ١١ سبتمبر والغزو الأمريكي لأفغانستان سقط التحالف الشمالي بقيادة رباني في الوحل، وقبل رباني أن يساعد الأمريكان في حربهم ضد طالبان، وأضاف رباني إلى نفسه جريمة جديدة هي جريمة الخيانة.

(١) «الظلال» (١/١٠٨) بتصرف.

قطيع يُساق إلى حتفه ويمضي ويهتف للسائقين

ودخل جنود التحالف الشمالي تحت حماية القصف الأمريكي يحتلون المدن ويسومون جيش طالبان وأنصارهم سوء العذاب بصور يندى لها جبين كل مسلم، مما جعلهم يعيشون بين مطرقة القصف الأمريكي وسندان القوات الشمالية الخائنة، وخالفوا تعاليم الإسلام في ضمان سلامة الأسرى وعدم قتلهم بل إعطائهم الأمان، ولكن أين القوم من أخلاق الإسلام، وقد وضعوا أيديهم بأيدي أعدائهم لقتال إخوانهم في الدين والعقيدة لتصفية إخوانهم وإبادتهم عن بكرة أبيهم آللّه يرضى بذلك؟ أين المروءة ومكارم الأخلاق فضلاً عن الدين والعقيدة؟!

- وانظر إلى الشيعة الرافضة الخائنين وكيف قال وزير خارجية تحالف المعارضة الأفغانية عن إيران: «إنها تقف إلى جانبنا وتدعمنا في العديد من المجالات بما فيها الصعيد العسكري». إيران الرافضة التي قدمت الدعم العسكري لفصيلي الهزارة وحزب الوحدة الشيعي.

- وباكستان ماذا فعل رئيسها؟! سمح بكل شيء للأمريكان وخان دينه وأخيرًا يضيق على كل ما يمت للإسلام بصلة من مدارس ومعاهد دينية وكتاتيب، وأخذ بعد ذلك جزاء سنمار تطارده دعوات المسلمين عليه في كل مكان.

- وبعد ذلك تحل المشكلة الأفغانية في ألمانيا، وكأنه ليست هناك منظمة تسمى «منظمة المؤتمر الإسلامي» المنظمة التي لم يشأ القائمون عليها والمؤتمرون فيها أن يدينوا مجرد إدانة بدء الضربات الأمريكية ضد أفغانستان أثناء عقد مؤتمرهم في الدوحة، بل إنما طالبوا فقط - ويا لذلهم وخزيهم - بأن يقتصر

الضرب على أفغانستان!!

- وطالب أمين جامعة الدول العربية في أكثر من مناسبة، ألا تشمل الحرب ضد «الإرهاب» دولاً عربية، وكأن تلك الجامعة ما صنعت إلا لتكريس الانفصام بين كل ما هو عربي وإسلامي.

وحتى يكمل مسلسل الخيانة: «تبيّن أن عدداً كبيراً من أعضاء الحكومة الأفغانية الجديدة التي عيّنتها أمريكا يحملون الجنسية الأمريكية ويقسمون الإخلاص لأمريكا وحماية مصالحها ومنهم رئيس الحكومة حميد قرضاي، وهدايت أمين وزير المالية، ومخدوم أمين وزير الثقافة، وعبدالسلام عظيمي وزير التربية، ومنغل حسين وزير الري، وجمعة محمد محمدي وزير الأشغال العامة، وشريف فايز وزير التعليم العالي.

- ويقول مسئول أمريكي سابق كان يشغل منصب وزير شئون جنوب آسيا في عهد كلينتون كاشفًا العمالة القديمة لقرضاي أنه كان يحرص على إطلاع الولايات المتحدة على تحركاته، كما كان يحرص على حث الولايات المتحدة على التدخل في أفغانستان»[1]

◎ وعلى الطرف الآخر يبقى الجبل الملا عمر شامخاً:

- يقول الملا عمر: «أما فرض الحصار علينا من قبل روسيا أو أمريكا فهو ليس بالأمر الجديد فقد كان الحصار يفرض على رسول الله ﷺ للأسباب نفسها، وسنتصرف إزاء الحصار بالطريقة نفسها».

ويقول: «انظروا إلى روسيا وأمريكا إذ لم يسبق في التاريخ أن كانتا

(١) «مجلة صوت بلدي» العدد «١٢» ص(١٤).

متحدتين في الموقف لمحاربة دولة صغيرة مثل أفغانستان، ويبدو أن طالبان لهم قوة معنوية وروحانية ترعب روسيا وأمريكا، وكل ما يشيعونه عنا هو محض كذب».

ويقول: «إن الإسلام يرفض الغلوّ، وإذا استطاع أحد أن يثبت أن لدينا غلوًّا فليثبت ذلك بالأدلة الشرعية؛ فالدعاوى لا تُثبت بمجرد الكلام، بل تثبت بالأدلة الشرعية والحجج».

- ويصفه أحد القلائل من غير المسلمين الذين التقى بهم قائلاً: «إنه يشبه النسّاك الأوائل الذين عاشوا في الكهوف حياة الزهد والحرمان تقربًا إلى اللَّه».

- ويقول الملاّ عمر: «إن كنا نريد الحياة فتمسكنا بديننا هو الحياة، فإن لم يكن لنا حياة فليكن الموت، والموت كأس يشربها الجميع»[1]

[1] «المختار الإسلامي» العدد «٢٢٩» ص(١٢).

● فتوى فضيلة الشيخ/ عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين:

س: لا يخفى عليكم ما يعانيه إخواننا في أفغانستان من محاصرة أعداء الله لهم وضنك العيش وقلة الناصر والمعين وتكالب أعداء الإسلام من أنحاء العالم على هذه الدولة (دولة الطالبان الأفغانية) ومع هذا كله لا تزال تحاول الصمود لإقامة شرع الله في أرض الله وهم بأمس الحاجة إلى نصرتهم والوقوف معهم في محنتهم. فما نصرة هذه الحركة بالمال والنفس والدعاء؟ وما توجيهكم لطلاب العلم وأصحاب الأيادي البيضاء؟ وجزاكم الله خيراً.

ج: الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد، فمتى علم المسلمون في أنحاء المعمورة أن طائفة من إخوانهم قد عانوا وأوذوا وجب عليهم أن ينصروهم وأن يبذلوا في نصرهم ما يستطيعون من الأموال والأنفس والآراء والأقوال، وإذا عُرِفَ عن دولة طالبان الأفغانية أنها تحكم بالشرع وتطبق تعاليم دين الإسلام وتمنع وسائل نشر الشرك وتهدم المعابد والأوثان وتظهر شعائر الإسلام برفع الأذان للصلوات وإقامة الجمع والجماعات ومنع المعاصي والمحرمات، فإن ذلك علامة ظاهرة على حسن المقاصد وصحة المعتقد، وحيث إن الدول الكافرة كالنصارى واليهود والشيوعيين والملاحدة كلهم ضد الإسلام الصحيح؛ وكذا المبتدعة الكفار؛ فإن الواجب على المسلمين أن ينصروا إخوانهم في هذه الدولة المسلمين، وأن يحاولوا رد كيد أعدائهم الذين يريدون شل حركة المسلمين والقضاء عليهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾، وفي الحديث: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم». وعلى المسلمين أن يمدوا إخوانهم بالمال والرجال وأن يكثروا من الدعاء لهم بالنصر والتمكين والله يجيب دعوة

الداعين فإنه سميع قريب.

قاله وكتبه عبد اللَّه بن عبدالرحمن الجبرين

عضو الإفتاء المتقاعد

وصلى اللَّه على محمد وآله وصحبه وسلم.

• الأزهر: مساندة أميركا لضرب دولة إسلامية حرام.. حرام:

أكدت لجنة الفتوى بالأزهر في فتوى أصدرتها أنه لا يجوز شرعًا تقديم أية مساعدة من الدول الإسلامية والعربية لضرب ومهاجمة أية دولة إسلامية أخرى. وأوضح الشيخ محمد الجزار عضو اللجنة أن تقديم أي عون لأميركا لضرب دولة إسلامية يعد خروجًا على قواعد الشريعة الإسلامية؛ لأن الإسلام في الأصل يدعو المسلمين أن يقفوا بجوار بعضهم أمام عدوهم، «المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضًا» لا أن يقفوا مع العدو على بعضهم. وتطالب الفتوى بأن يقف المسلمون بجوار بعضهم في مواجهة أي عدوان لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

وهذا دليل قرآني على أن نقف ضد أي اعتداء على مسلم في العالم دون أي اعتداء، وأن يكون الجزاء على حسب الجرم. لا أن نأخذ الشعوب لخطأ فرد.

وأوضحت الفتوى بأن ما تم في أمريكا من تفجيرات وأعمال إرهابية ليست مسوغًا بأن نلحق الضرر بالدول أو إحدى الدول الإسلامية. فإن اللَّه سبحانه وتعالى جعل أمة الإسلام فوق الأمم بشريعتها وقوانينها السماوية،

وجعلها خير الأمم مصداقًا لقوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ وربط اللَّه سبحانه وتعالى بين الأمة الإسلامية برباط قويم دقيق وهو القرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ وجعلهم يقفون قوة واحدة في الشدائد والمصائب لا يفترقون.

• فتوى علماء اليمن:

بيان علماء اليمن حول الأحداث العالمية الراهنة:

الحمد للَّه رب العالمين القائل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

والقائل سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُوْلَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاَّعِنُونَ (١٥٩) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا﴾ [البقرة: ١٥٩ ١٦٠]، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين أما بعد: فقد تابع علماء اليمن الموقعون على هذا البيان - ببالغ الاهتمام - ما يجري اليوم على الساحة العالمية إثر الأحداث الأخيرة التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية واستهدفت منشئات حيوية هامة، والتي لا نعلم مَن وراءها ولم يُعلن أحد مسئوليته عنها حتى هذه اللحظة، ولكن بعض أجهزة الإعلام في الغرب أخذت تهاجم الإسلام والمسلمين وتنسب إليه بث روح العدوان والظلم والتحريض على سفك الدماء مع أن ديننا الإسلام هو دين الرحمة والبر والعدل، واللَّه سبحانه يقول: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ

اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٨ - ٩]، والبرغم مما أحاط بهذا الحادث من الغموض وما يكتنفه من الملابسات، إذ بالرئيس الأمريكي يعلنها حربًا صليبية جديدة يستثير بها مشاعر المسلمين في أنحاء العالم، وصَاحَبَ ذلك حشود عسكرية هائلة تحيط ببلاد المسلمين وتهدد أمنهم واستقلالهم؛ الأمر الذي يدل على أن وصفه الحرب بأنها صليبية لم تكن زلة لسان.

قال تعالى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]. وهو الآن يضع جميع دول العالم - وفي مقدمتها دول المسلمين - أمام خيارين لا ثالث لهما: إما التحالف مع أمريكا والطاعة لها وبشروطها وإلا كان الرافض لهذا التحالف عدوّا لها، مناصرًا للإرهاب، وهدفًا لهجماتها العسكرية وسائر العقوبات؛ والدخول في هذا التحالف ما هو إلا استسلام للإرادة الأمريكية وخضوع لها؛ لأن التحالف بين الدول لا يكون إلا برضى الطرفين المتحالفين وفق شروط مرضية بينهما وبإرادة حرة مستقلة، والرضى بهذا التحالف القسري يفقد الدول استقلالها ويعرض الشعوب للاستعباد الأجنبي.

وعلى الأمة الإسلامية في مثل هذه الظروف الحرجة أن تقوي صلتها بالله، وأن تعتصم بكتاب الله الذي ينهاها عن طاعة الكفار وموالاتهم والله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠].

- وبناءً على ذلك فإن علماء اليمن يفتون بتحريم أي تعاون أو تحالف

مع أمريكا أو حلفائها في هذه الحرب المسعورة التي عزمت أن تشنها على المسلمين في أفغانستان أو غيرها من البلدان الإسلامية أيًا كان نوع هذا التعاون ماديًا أو معنويًا ويعتبرون أن كل ما يقدم من التسهيلات والمعونات لأمريكا في هذا الصدد أمرًا محرمًا شرعًا وخيانة للَّه ولرسوله وللمؤمنين قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥-٢٦].

ويناشد علماء اليمن الأمة الإسلامية أمة وحكومات أن يقفوا مع الشعب الأفغاني المسلم في محنته هذه بالدعم المادي والمعنوي والقنوت في الصلوات أو الدعاء لهم عقبها، كما يجب أن يحققوا الأخوّة الإيمانية التي أوجبها اللَّه عليهم بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

- وقوله ﷺ **«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»** أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما.

- وقوله ﷺ **«المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله»**. أخرجه الترمذي بسند صحيح عن أبي هريرة.

- ويطالب علماء اليمن زعماء البلدان العربية والإسلامية بعدم الانجرار وراء المطالب الأمريكية الجائرة. ويؤكدون على ضرورة تحديد معنى واضح للإرهاب وتفسير صحيح له، واعتبار ما تقوم به إسرائيل من حرب إبادة للشعب الفلسطيني المسلم، وقتل جماعي للأبرياء، وتدمير لمصالحهم العامة والخاصة، .وبدعم أمريكي من أبشع الأعمال الإجرامية الإرهابية التي ينبغي على كافة شعوب وحكومات العالم إدانتها والتصدي لها. نسأل اللَّه عز وجل

أن يعز الإسلام وأهله وأن يخذل الباطل وحزبه، وأن يفرج عن المسلمين في كل مكان مصائبهم وهمومهم، وأن يصرف عن هذه الأمة الفتن ما ظهر منها وما بطن. آمين. ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠]، وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، لا إله إلا هو عليه توكلنا وهو رب العرش العظيم. حُرِّر في يوم الاثنين ٧ رجب ١٤٢٢هـ الموافق ٢٤ سبتمبر ٢١م توقيعات علماء اليمن (أكثر من مائة وخمسين عالمًا) منهم: عبدالمجيد بن عزيز الزنداني، محمد إسماعيل العمراني، عبدالوهاب لطف الديلمي، عبدالله بن فيصل الأهدل، عبدالمجيد محمود الريمي، عمر أحمد سيف، حسين عمر محفوظ، أحمد بن حسن المعلم، محمد بن موسى العامري، حسن محمد الأهدل، محمد عبدالرب جابر، محمد الصادق مغلّس، سعيد بن عبدالله باطرفي، إسماعيل عبدالباري، محمد محمد المهدي، محمد علي الآنسي، عبدالله الحاشدي، إبراهيم قربي.

○ فتوى علماء السودان:

فتوى علماء السودان في وجوب نصرة الأفغان:

الحمد لله القوي المتين، نصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيد المتقين، وإمام المجاهدين، وقائد الغر المحجلين، وبعد:

فقد تكالب على هذه الأمة المسلمة أهل الكفر والإلحاد، فألبوا عليها أحلاف الباطل، جمعوا الصليبيين وغيرهم من الملحدين ليحاربوا بهم المسلمين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾، وها

نحن نراهم اليوم قد أجلبوا بخيلهم ورجلهم للاعتداء على الشعب الأفغاني المسلم، واستهداف أرضه وعرضه وأهله وشريعته التي ارتفعت راياتها وظهرت علاماتها.

وإن علماء الإسلام في السودان ـ قيامًا بواجبهم في توعية المسلمين، وتحملاً لأمانتهم في الصدع بالحق والنصيحة للَّه ولرسوله وللمؤمنين ـ يؤكدون ما يلي:

١ ـ أن أمريكا عدوة الإسلام الكبرى، وهي حاضنة الكفر، وراعية اليهود، وحامية إرهابهم للفلسطينين في ديارهم وأنفسهم وأموالهم من كل وجه، سياسيًّا وعسكريًّا واقتصاديًّا وإعلاميًّا.

٢ ـ أن هذه الحملة التي استنفرت لها دولة الكفر حلفاءها وعملاءها بما فيهم أعداء الأمس من أمثال الروس، هي حملة صليبية بكل ما تحمله هذه الكلمة ـ التي جاءت على لسان رئيسها ـ من معنى، وما محاربة الإرهاب إلا تعليل واهٍ لتسويغ مهاجمة الإسلام والقضاء على المسلمين.

٣ ـ أنها حملة عسكرية عالمية ظالمة تجمع جل ملل الكفر، وتحشد كل أعداء الإسلام في الشرق والغرب لضرب إخوة لنا مسلمين لا ذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا اللَّه ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.

٤ ـ أن ما يحيق بأمريكا هو من صنع يد اللَّه الباطشة بهذه الدولة الباغية ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، أم حسبوا أن دموع اليتامى ودعوات الثكالى في فلسطين ولبنان والعراق والصومال وغيرها ذهبت أدراج الرياح! ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾. ثم إن هذه التهم الظالمة للمسلمين الأبرياء تفتقر إلى تقديم الأدلة والبراهين،

ولعل اليهود خلف أكثرها، ولذا لزم أن ينظر المسلمون إلى التهم ويتحققوا من البراهين ليكون الحكم صادرًا عن علماء المسلمين، وفق قواعد شرعية لا أهواء أمريكية تتغاضى عن جرائم اليهود المعلومة للناس أجمعين، وحتى لا يكون للكافرين على المؤمنين سبيل.

٥ ـ أن هذه الدولة الكافرة باعتدائها على الشعب الأفغاني المسلم أو غيره من الشعوب الإسلامية، قد أكدت أنها دولة عدوانية يجب على المسلمين رد عدواتها عن دينهم وإخوانهم وبلادهم، ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾

٦ ـ أنه يجب على المسلمين ـ في كل أنحاء الدنيا ـ أن يقفوا مع إخوانهم الأفغان، وأن يعينوهم بالدعاء، ويحيوا سنة قنوت النوازل، وأن ينصروهم بكل ما يجدون إليه سبيلا فـ «**المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله**».

٧ ـ يجب على إخواننا المجاهدين في أفغانستان ـ وكل أرض مسلمة ـ أن يدافعوا عن دينهم وأرضهم وعرضهم. والله العزيز الجبار ذو القوة المتين معهم، ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾ فلا يبالون بمن خالفهم ولا من خذلهم، وليعلموا أن علماء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها معهم، ومن ورائهم الشعوب المسلمة يدعون الله لهم ويقنتون على رؤوس الكفر الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد، لعل الله أن يصب عليهم سوط عذاب ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾، ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (٤٠) الَّذِينَ إِن

مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾.

• الموقعون على البيان:

رئيس لجنة الفتوى والبحوث بجامعة القرآن الكريم الشيخ/ أ. محمد علي الطريفي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان الشيخ/ محمد هاشم الهدية الرئيس الأسبق لجماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ/ محمد الفاضل التقلاوي المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين في السودان الشيخ/ الصادق عبدالله عبدالماجد إمام الجامع الكبير بالخرطوم ونائب مدير الدعوة بمنظمة الدعوة الشيخ/ كمال عثمان رزق مدير مركز أبحاث القرآن الكريم الشيخ/ أ.د.عباس محجوب رئيس لجنة التعليم بالمجلس الوطني الشيخ/ د.الجبر يوسف نور الدايم نائب رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية بالسودان الشيخ/ أبو زيد محمد حمزة أمير جماعة الإخوان المسلمين بالسودان الشيخ/ سليمان أبو نارو إمام وخطيب المجمع الإسلامي بالجرب غرب الشيخ/ محمد عبدالكريم أستاذ بجامعة الخرطوم الشيخ/ د. صالح التوم أستاذ بجامعة أم القرى الشيخ/ الأمين الحاج محمد مدير مركز النيلين للدعوة الشيخ/أ.حسن أحمد حامد عضو هيئة علماء السودان الشيخ/ عطية محمد سعيد خطيب مسجد الثورة الشيخ/ محمد سيد حاج أستاذ بجامعة الخرطوم الشيخ/د.علاء الدين الأمين الزاكي أحد رموز الدعوة السلفية في السودان الشيخ/ حسين عشيش إمام وخطيب مسجد الفكي الطيب الشيخ/ مساعد بشير علي عميد كلية أصول الدين بجامعة أم درمان الإسلامية الشيخ/ د. خضر عبد الرحيم عضو لجنة الفتوى بجامعة القرآن الشيخ/

عبدالله محمد الهادي عضو لجنة الفتوى بجامعة القرآن الشيخ/ الطيب السنهوري عضو لجنة الفتوى بجامعة القرآن الشيخ/ أحمد عمر فضل الله الشمباتي عضو لجنة الفتوى بجامعة القرآن الشيخ/ أبو القاسم زين العابدين إمام وخطيب دار تحفيظ القرآن الكريم بالعيلفون الشيخ/ ياسر عثمان جاد الله رئيس قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الخرطوم الشيخ/ د. عبد الحي يوسف خطيب مسجد أم دوم الشيخ/ عوض عبد الغفار أستاذ بجامعة الخرطوم الشيخ/ أ.د. محمد عبد الغفار الأمين العام السابق لجماعة أنصار السنة المحمدية الشيخ/ د. محمد الحسن عبد الرحمن إمام وخطيب جامع الفتح الشيخ/ محمد الأمين إسماعيل أستاذ بجامعة القرآن الشيخ/ فضل الله إبراهيم طه أستاذ بجامعة القرآن وعضو لجنة الفتوى بها الشيخ/ د. إبراهيم الضرير مدير معهد القرآن الكريم وعضو هيئة علماء السودان الشيخ/ عبدالرحيم أبو الغيث أستاذ بجامعة أم درمان الإسلامية الشيخ/ د. محمد أحمد عمر مدير جامعة القرآن الكريم فرع جوبا الشيخ/ د. عز الدين أحمد محمد عميد شئون الطلاب بجامعة القرآن الكريم وعضو هيئة علماء السودان الشيخ/ د. عبد الله عبد الحي إمام وخطيب مسجد الأرقم الشيخ/ مدثر أحمد إسماعيل رئيس قسم الشريعة بجامعة أفريقيا الشيخ/ د. إسماعيل حنفي أستاذ بجامعة الخرطوم الشيخ/ عمر النقر أستاذ بجامعة الخرطوم الشيخ/ د. محمد علي علوان أستاذ بجامعة أفريقيا الشيخ/ د. تاج البر عبدالباري أستاذ بجامعة أفريقيا الشيخ/ دفع الله حسب الرسول أستاذ بجامعة أفريقيا الشيخ/ الطيب محمد عثمان الواعظ إمام وخطيب مسجد بالحاج يوسف الشيخ/ علي أبا صالح إمام وخطيب مسجد الذاكرين الشيخ/

دفع اللَّه محمد حسن خطيب مسجد مكيال الشيخ/ بكري مكيال إمام وخطيب مجمع الفرقان الشيخ/ أسعد عبد الكريم مقرر لجنة الفتوى والبحوث بجامعة القرآن الشيخ/ محمد علي الزاكي خطيب مسجد بانت شرق الشيخ/ جمال الطاهر.

◙ فتوى علماء أفغانستان:

فتوى علماء أفغانستان حول العدوان الأمريكي على أفغانستان:

الحمد للَّه رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن الشعب الأفغاني عبر التاريخ كان دائمًا يرجع في كل ما يلم به من أحداث، ويعترضه من أمور إلى العلماء الذين يبدون حكم اللَّه تعالى في كل المسائل والمشاكل ويجيبون على أسئلة الشعب ويوجهون، وفي الأحداث الأخيرة، وفي ظل التهديد الأمريكي بضرب أفغانستان، فإن علماء أفغانستان، ونهوضًا بمسئوليتهم الكبرى في هذه القضية وبيانًا للحكم الشرعي فإنهم يصدرون الفتوى التالية:

أولاً: اتفقت جميع الكتب الفقهية أنه في حالة اعتداء الكفار على بلد مسلم فإن الجهاد عندئذ يصبح فرض عين على المسلمين، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة وأقوال الأئمة كثيرة.

◙ فمن أدلة الكتاب:

قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِين آمَنُوا قَاتلُوا الَّذِين يلونَكُم مِّن الْكُفَّارِ﴾ [التوبة:١٢٣].

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

• ومن الأحاديث:

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ **«جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم»** رواه أبو داود، والنسائي والحاكم.

وعن عبداللَّه بن عمر ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط اللَّه عليكم ذلاً لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم»** رواه أبو داود.

• ومن أقوال الفقهاء:

جاء في «المبسوط» للإمام السرخسي: «ثم أمر رسول اللَّه ﷺ بالقتال إذا كانت البداية منهم ـ المشركين ـ، فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أي: أُذِنَ لهم في الدفع، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾، ثم أمر بالبداية بالقتال، فقال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾، وقال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ وقال رسول اللَّه ﷺ **«أمرت أن أقاتل الناس حتى لا يقولوا لا إله إلا اللَّه»**. «المبسوط» (١/ ٢).

وفي الفتاوى الهندية: وعامة المشايخ ـ رحمهم اللَّه ـ قالوا: «الجهاد

فرض على كل حال غير أنه قبل النفير فرض كفاية، وبعد النفير فرض عين وهو الصحيح، ومعنى النفير: أن يخبر أهل المدينة أن العدو قد جاء يريد أنفسكم وذراريكم وأموالكم، فإذا أخبروا على هذا الوجه افترض على كل من قدر على الجهاد من أهل تلك البلدة أن يخرجوا للجهاد، وقبل هذا الخبر في سعة ألا يخرجوا» «الفتاوى الهندية» (٢/ ٨٨).

ثانيًا: إذا اعتدى الكفار على بلد مسلم وعجز أهله عن دفعهم تعين الجهاد على غيرهم من المسلمين؛ حتى يندفع العدو، جاء في «رد المحتار» (٦/ ١ ٢)، و«الفتاوى الهندية» (٢/ ١٨٨): «قال أبو الحسن الكرخي في «مختصره»: «ولا ينبغي أن يخلى ثغر من ثغور المسلمين ممن يقاوم العدو في قتالهم، وإن ضعف أهل ثغر من الثغور عن المقاومة وخيف عليهم فعلى من وراءهم من المسلمين أن ينفروا إليهم الأقرب فالأقرب، وأن يعينوهم بالكراع والسلاح ليكون الجهاد أبدًا قائمًا كذا في «المحيط». وفي «الفتاوى الهندية» (٢/ ٨٨٨): «ثم بعد مجيء النفير العام لا يفترض الجهاد على جميع أهل الإسلام شرقًا وغربًا فرض عين إن بلغهم النفير، وإنما يفرض على من كان بقرب من العدو وهم يقدمون على الجهاد، وأما على من وراءهم ممن يبعد عن العدو، فإنه يفترض فرض كفاية لا فرض عين حتى يسعهم تركه، فإذا احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو أو تكاسلوا أو لم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم فرض عين، وثم إلى أن يفرض على جميع أهل الأرض شرقًا وغربًا على هذا الترتيب».

وفي «رد المحتار» (٦/ ١ ٢): «قلت: وحاصله أن كل موضع خيف هجوم العدو منه فرض على الإمام، أو على أهل ذلك الموضع حفظه، وإن

لم يقدروا فرض على الأقرب إليهم إعانتهم إلى حصول الكفاية بمقاومة العدو».

صدرت هذه الفتوى عن مجلس علماء أفغانستان المجتمع في كابول بتاريخ ٣/ ٧/ ١٤٢٢هـ والذي جمع حوالي ألف من كبار العلماء وطلبة العلم في أفغانستان.

وقد رفعت هذه الفتوى لأمير المؤمنين في أفغانستان الذي أيدها بقرار صادر منه بتاريخ ٦/ ٧/ ١٤٢٢هـ.

◉ كلمة الشيخ سلمان بن فهد العودة:

تعليق على الأحداث في أفغانستان:

اللَّهم منزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء، اللَّهم انصر عبادك المؤمنين، وتدارك برحمتك ضعف المسلمين، وقنا وإياهم شر الفتن ما ظهر منها وما بطن.

تتداعى الأحداث بصورة خطيرة، وينجر الغرب إلى ممارسة الإرهاب الذي يزعم أنه يحاربه، بأبشع صوره وأشكاله، على شعب أعزل مظلوم، ويقتل المدنيين بغير رحمة، ويهدم البيوت على رؤوس ساكنيها، وبين الضربة والأخرى يضع فاصلاً يتحدث فيه عن قيم الحرية والعدالة وحقوق الإنسان التي نصب نفسه وصيًّا عليها بغير حق.

ويتساءل الناس بلهفة وحسرة، كبارًا وصغارًا، متعلمين وعامة عما يجري، وعما يشاهدونه في وسائل الإعلام من الحرب والضرب والتدمير

الذي يطال بلدًا مسلمًا ارتبط بجهاده وصبره وبلائه في وجدان المسلمين جميعًا، ودفع بالملايين من أبنائه لمقاومة الغزاة الملحدين.

لقد أدان المسلمون جميعًا علماؤهم وعامتهم هذا التحالف القائم على الجور والظلم واستعباد الشعوب وبسط التسلط وتوسيع مناطق النفوذ.

بل ها هي الأصوات الإسلامية تتنادى من كل مكان، وتطالب بوقف هذه الحرب العمياء بل ها هي الأصوات العالمية في قلب أوربا وأمريكا تحتج على الحرب، وتنظم المسيرات العديدة الرافضة لقانون التدمير وشريعة الغاب، ولكن كما قيل:

ودعوى القوي كدعوى السـ باع من الناب والظفر برهانها

لقد امتلأ الغرب بالخوف المفرط من الإسلام، وأعطى نفسه حق الاعتداء، وهو يعلق دائمًا على صدور الجثث: لقد كنا في حالة دفاع عن النفس.

وإزاء هذه التحركات الغربية التي بدأت بأفغانستان، وهي تتوعد شعوبًا وبلادًا أخرى، وإزاء التساؤلات التي تعززها مثل هذه الأحداث الكبيرة والضخمة أصبح لزامًا على كل صاحب رأي أو علم أن يشارك في توعية الأمة ولو بالكلمة وهذه وقفات أخاطب بها الإخوة المسلمين في كل مكان.

١ ـ إن هذا المقام الذي تقومه الأمة اليوم، ونشاهده في الجماهير المسلمة الغاضبة والمتذمرة من مسلسل الاحتقار الغربي لدماء المسلمين وحقوقهم، والذي عبرت به هذه الشعوب عن غضبتها ورفضها للعدوان المتجبر من خلال تجمعاتها واحتشادها وإمكانياتها مهما كانت متواضعة. ليوجب على المسلمين جميعًا أينما كانوا أن يصدقوا اللَّه تعالى في موقفهم،

وألا يخذلوا إخوانهم المسلمين في أفغانستان، وألا يسمحوا أن تصبح أرض الجهاد الطويل مسرحًا لتجريب الغرب أسلحته الحديثة على أرواح الأبرياء والمستضعفين.

وليحذر كل مسلم أن تزل قدمه، ولو بكلمة يلقيها تكون ظلمًا لإخوانه هناك، بل تكون ظلمًا للأمة المكلومة، و«**إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط اللَّه ما يتبين فيها يهوي بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب**»، كما رواه البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة ﷺ.

٢ - يجب أن يدرك أهل الإسلام اليوم أنهم أمام تحدٍّ كبير تمارسه القوى الغربية لإحداث انشقاق داخل الأمة المسلمة، بين شعب وشعب، بل داخل الشعب الواحد بين فئاته وأطيافه ومؤسساته الإدارية والاجتماعية.

وهنا يجب على أفراد الأمة أن يُظْهِروا توحدهم على أصول دينهم وقواعد ملتهم، وذلك بتحقيق الولاء والبراء الذي هو أخص عصم الديانة، وأصول التوحيد والإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، وقال عز من قائل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾، وقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

وفي جانب البراءة من المشركين يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

وهذا وعيد شديد، وتحذير صارم من الركون إلى الذين كفروا، أو وضع اليد في أيديهم، أو إعانتهم بقول أو فعل أو دلالة.

وإن الأمة لن تسامح أولئك الذين استغلوا الأحداث لتصفية خصوماتهم الشخصية أو الحزبية ووضعوا قدراتهم تحت تصرف الذين استباحوا بلدهم وقتلوا مواطنيهم وتلطخوا بدماء الشرفاء والأبرياء.

٣ ـ إن الشعب الأفغاني المسلم لم يعرف باعتداء ولا تسلط ولا غزوات توسعية، ولكنه عرف بصبره وإبائه وذوده عن حياضه، وله على إخوانه المسلمين في كل مكان حق النصرة بالعون وبذل المعروف وكف الأذى عنه والإحسان إليه والدعاء له، وإنما تعرف الإخوان عند الشدائد:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

٤ ـ إن من أهم ما يجب التواصي به في هذه الظروف وغيرها تحقيق الانقياد للكتاب والسنة، والتجرد التام من الهوى والشهوة، والعبودية للَّه تعالى وحده، وهي لا تكون إلا باتباع الشرع وتحكيمه في الدقيق والجليل ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وهذا مما يطالب به على مستوى الأفراد في العلم والعمل، وعلى مستوى الجماعات والطوائف، وعلى مستوى الشعوب والدول. وأصحاب المقامات العلمية والإدارية في الأمة اليوم أمام مسؤولية كبيرة في تحقيق التواصل والانسجام بين المجتمعات الإسلامية، والسعي في تطبيق شريعة اللَّه تعالى في سائر شئون الحياة طمعًا في مرضاته، والتماسًا لصلاح الأمة في عاجل أمرها وآجله.

٥ ـ الإصرار على وحدة الصفوف وسلامتها، والبعد عما يفضي إلى اختلاف القلوب والألسن والوجوه. وعلى الذين يتحرقون إلى نصر اللَّه تعالى لهذه الأمة أن يعلموا جيدًا أن النصر لا يتم إلا بتحقيق أسبابه الربانية، والتي منها وحدة الكلمة ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.

ولقد نعى اللَّه تعالى على اليهود فقال: ﴿تَحْسَبُهُمْ جميعا وَقُلُوبُهُم شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَعْقِلُونَ﴾. فنفى عنهم الرشد والعقل لاختلاف قلوبهم، مع أن ألسنتهم ومظاهرهم مجتمعة، فكيف بمن اختلفت قلوبهم ومظاهرهم وألسنتهم؟!

إنه لا يجوز لنا أن ننشغل عن عدو ضخم مدجج يتهدد ويتوعد، ويقول ويفعل، لكي ندخل في معارك جانبية لا تثمر إلا تمزيق الصفوف وخلخلة الأخوة وتمكين الخصوم من التسلل.

إن الأعداء لم يفلحوا في اقتحام حصون الأمة إلا من خلال استغلال التناقضات التي في داخلها، فاللَّه اللَّه أن تخذل الأمة بسببنا.

٦ ـ إن هذه الأحداث المتسارعة تستدعي أن يتذكر المسلم أنه مسئول أمام اللَّه تعالى عن كل قول أو فعل، ولا بد من استشعار التقوى والمراقبة، والحذر من الإنجرار وراء طموحات بعض القوى العالمية المشبوهة الساعية لبث القلق والرعب وفقدان الهدوء والاستقرار في صفوف الأمة وشعوبها، وواجب أن نحترم الحقوق التي حفظها الإسلام لأهلها، وألا نظلم الناس شيئًا في أعمال قد تحول مجتمعات هادئة مطمئنة إلى مسرح للفتن والفوضى والشرور، أو تعطي ذريعة للمتربصين ليكشفوا عن دخيلتهم.

إن الأمة في مرحلة تاريخية تحتاج إلى ضبط واتزان وليست مؤهلة

للتصرفات الفردية التي قد تدخلها بوابة التداعي والفوضى، وهذا من أوكد الواجبات على كل أفراد الأمة تجاه دينهم ومجتمعاتهم.

إن تمزيق أديم الأمة باللسان أو بالسنان لمن أعظم المخاطر التي يتحمل الغيورون المدركون للعواقب مسئولية دفعه في ظل هذا التوتر في المشاعر والعواطف، فليتق اللَّه كل شاب في دينه ودعوته وأمته.

٧ ـ إن هذه الأحداث وغيرها تقع بإرادة اللَّه تعالى وتقديره، وعسى أن يجعل اللَّه في عواقب الأمر رشدًا، وإن مع العسر يسرا، وإن بوادر الخير والنصرة محققة لهذه الأمة، فهي مبشرة بالسناء والرفعة والتمكين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزًا يعز اللَّه به الإسلام وأهله، وذلاً يذل اللَّه به الشرك وأهله، وستظل هذه الأمة عزيزة قائمة بأمر اللَّه، وفيها طوائف من أهل العلم والصدق والدعوة والجهاد يجددون لها أمر دينها، ويدفعون عنها غائلة عدوها، ويصدقون موعود اللَّه ورسوله، في تحقيق العزة لأهل طاعته، والذل والصغار على أعدائه وأعداء رسله ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾.

وحين ترى التكبير يدوي في مجتمعات المسلمين تدرك أن الأمة باقية، وأن رحمة اللَّه واسعة، ونصره قريب وأمة الإسلام هي أمة الحُسْنَيين.

يا أخ الدرب هون عليك ... الأمر لا بد من زوال المصاب
سوف يصفو لك الزمان ... وتأتيك ظعون الأحبة الغياب

وليالي الأحزان ترحل، فالأحزان مثل المسافر الجواب فليقر المؤمنون عينًا بوعد اللَّه الصادق، وليطمئنوا إلى رحمته بهذه الأمة، وأنه أغير على دينه وعباده، ولكننا متعبدون ببذل ما نملك من صالح القول والعمل، ثم

الركون إلى عطاء اللَّه وفضله والثقة بما عنده.

اللَّهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين، واحفظ دماء المسلمين وأعراضهم في كل مكان، وارحم ضعفهم، واجبر كسرهم، ووحد صفهم، وبلغهم فيما يرضيك آمالهم، واجمع كلمتهم على الحق والهدى، وانصرهم على عدوك وعدوهم يا أرحم الراحمين.

والحمد للَّه رب العالمين، وصلى اللَّه على عبده ورسوله نبينا محمد وآله.

بيان هام لعشرة من المشايخ بعد انسحاب طالبان

الحمد للَّه الذي كتب التوفيق والنصر لأوليائه المؤمنين، والذلة والخذلان لأعدائه الكافرين والمنافقين، ونشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة وجاهد في اللَّه حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيرًا، أما بعد:

فإن ما نزل بدولة الكفر (أمريكا) من بأس اللَّه عز وجل وعقوبته وما تلا ذلك من تداعيات واعتداءات ظالمة من دول الكفر أهلكت الحرث والنسل في (أفغانستان) المسلمة لَيُعد من النوازل العظيمة التي تمر بأمة الإسلام، والتي لا ينجي منها إلا الاعتصام بكتاب اللَّه عز وجل وسنة رسوله ﷺ، والانطلاق منهما في تحليل الأحداث واتخاذ المواقف، ذلك أن في كتاب اللَّه تعالى وسنة رسوله ﷺ الثوابت العقدية القائمة على تجريد التوحيد للَّه

سبحانه، وتعبيد الناس لربهم عز وجل، وفيهما التعرف على أسماء اللَّه عز وجل وصفاته العلا والتي تظهر آثارها في أمره وفي خلقه سبحانه، وفي كل ما يقضيه ويقدره، وفيهما التعرف على سنن اللَّه عز وجل في التغيير والتدافع.

وإننا في هذا البيان، وفي ضوء كتاب ربنا وسنة نبينا محمد ﷺ نسجل موقفنا إزاء هذه الأحداث وتداعياتها في النقاط التالية:

١ ـ أن ما أصاب دولة الكفر (أمريكا) من الدمار ـ بغض النظر عن هوية الفاعل، وعن شرعية الفعل من عدمه ـ إن هو إلا مقتضى أسمائه سبحانه وصفاته، فهو سبحانه القوي العزيز القاهر فوق عباده، حيث قهر بعزته وقهره وقوته قوة أكبر دولة في العالم، كان لسان حالها، بل مقالها يقول: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾، فأذل كبرياءها، وأرغم أنفها، وضربها في أعز ما تملك وتفتخر به وتهدد به العالم، وما كانت تظن في يوم من الأيام أن تضرب في رمز اقتصادها ورمز دفاعها وقوتها واستخباراتها، لكنه اللَّه القوي العزيز أتاهم من حيث لم يحتسبوا، وقذف في قلوبهم الرعب، وإن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. كما وأن سنة اللَّه سبحانه وتعالى في خلقه معاقبة الظالمين والمستكبرين في الأرض، وإنما لكل أجل كتاب، وكل شيء عنده بمقدار، وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [الحج: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن

قَبْلِهِم دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾ [محمد: ١٠].

◎ وفي «الصحيحين» عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن اللَّه ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ رسول اللَّه ﷺ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [هود: ١٠٢].

وإن ما أصاب أمريكا من الأحداث، وما تلا ذلك من الخوف والأمراض في تلك البلاد هو من سنن اللَّه تعالى، وقد قال تعالى: ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [الفتح: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [فاطر: ٤٣].

◎ قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللَّه ـ «الفتاوى» (٢٨/ ٤٣٤): «إن نصوص الكتاب والسنة اللذين هما دعوة محمد ﷺ يتناولان عموم الخلق بالعموم اللفظي والمعنوي أو بالعموم المعنوي، وعهود اللَّه في كتابه وسنة رسوله تنال آخر هذه الأمة كما نالت أولها، وإنما قص اللَّه علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين».

٢ ـ إن للَّه سبحانه فيما جرى من الأحداث حكمًا عظيمة هي مقتضى اسمه سبحانه (الحكيم)، قد نعلمها، وقد تخفى علينا، وقد نعلم بعضها،

ومما ظهر لنا من الحكم في هذه الأحداث بيان حقائق الإيمان، وتمييز المؤمنين من المنافقين، وإحياء عقيدة الولاء والبراء، وإيقاظ روح الجهاد في سبيل الله، وتبيين عداء الكافرين للمسلمين، ولفت الأنظار إلى بغي أمريكا وظلمها حتى ظهر الحديث عن ذلك الآن داخل أمريكا نفسها، وإثارة الاهتمام بدين الإسلام في الدول الكافرة، والشعور بالعزة، وذهاب اليأس من إمكانية المواجهة بين الإسلام والغرب الكافر.

٣ ـ ننبه الأمة إلى طبيعة المعركة، وأنها معركة بين الكفر والإسلام، خاصة وأن نعرة الحرب الصليبية من جانبهم ظاهرة، وما ورد من تصريحات من كبار ساستهم ومفكريهم دليل على ذلك، مثل تصريح (بوش)، وكلام (برلسوكوني) رئيس وزراء إيطاليا، فضلاً عن كثير من المفكرين ورؤساء تحرير الصحف والمجلات المشهورة. كما نجد لغة تحريضية تكرس الطبيعة الصليبية للمعركة، مثل (نحن وهم)، (صراع الحضارات)، (قوى الخير وقوى الشر). والمتتبع للحرب التي تشنها (أمريكا) على كل ما يمت للإسلام بصلة لا يخفى عليه ذلك، فهي حرب على من جاهد في (أفغانستان) يومًا من الأيام، وحرب على جماعات الجهاد، وحرب على البنوك الإسلامية، وحرب على المؤسسات الخيرية الإغاثية، وحرب على شبكات الإنترنت الإسلامية، وحرب على الشركات الإسلامية في أوربا وأمريكا، وحرب على مناهج التعليم الإسلامية، وعلى آيات الجهاد في القرآن، وحرب على المدارس الإسلامية، فلينتبه المسلمون إلى طبيعة المعركة.

٤ ـ وبناء على ذلك نذكر الأمة بوجوب البراءة من الكفار، ونحذرهم من موالاتهم والركون إليهم، فإن هذا من أعظم الأخطار التي تهدد إيمان

العبد، كما قال تعالى: ﴿لا تجدُ قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادُّون من حادَّ الله ورسولَه ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيَّدهم بروحٍ منه ويدخلهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنَّ حزب الله هم المفلحون﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿لا يتَّخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيءٍ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعضٍ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿بشِّر المنافقين بأنَّ لهم عذابا أليمًا ﴿١٣٨﴾ الذين يتَّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإنَّ العزة لله جميعًا﴾ [النساء: ١٣٨، ١٣٩].

ونحذر من إعانتهم ونصرتهم على المسلمين بأي نوعٍ من أنواع الإعانة ـ ولو باللسان ـ فإن هذه ردة عن الإسلام والعياذ بالله، وقد أجمع أهل العلم على ذلك كما قال الشيخ عبدالعزيز بن باز ـ رحمه الله ـ في «فتاواه» (١/ ٢٧٤): «وقد أجمع علماء الإسلام على أن من ظاهر الكفار على المسلمين وساعدهم بأي نوعٍ من المساعدة فهو كافر مثلهم، كما قال الله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعضٍ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إنَّ الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ [المائدة: ٥١]».

والخصم الرئيس في هذه الأحداث الأخيرة هم اليهود والنصارى، فبعضهم أولياء بعض، فكيف إذا انضم تحت رايتهم أهل الشرك والإلحاد والنفاق كما هو في هذا التحالف المشئوم الذي تقوده أمريكا الكافرة.

٥ ـ وجوب موالاة جميع المؤمنين وإن بعدت بلدانهم، ولا تعد الحدود السياسية مفرقة بينهم؛ لأن روابط الإيمان أقوى من روابط الأوطان، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقد ثبت في «الصحيحين» عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه»، وثبت فيهما أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره»، وثبت فيهما أيضًا عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وثبت فيهما أيضًا عن أبي موسى الأشعري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» ثم شبك بين أصابعه.

فعلى هذا:

يجب وقوف جميع المسلمين مع إخوانهم في (أفغانستان) ومناصرتهم بكل أنواع المساعدة والمناصرة التي يحتاجون إليها مادية كانت أو معنوية، سواء كانت في ميادين الجهاد أو الإعلام أو التطبيب أو الإغاثة أو تخذيل الأعداء.

كما نذكرهم بالإلحاح على اللَّه عز وجل ودعائه في أماكن ومواطن الاستجابة بالنصر والتأييد لهم، والخذلان والهزيمة لأحزاب الكفر والنفاق، وبخاصة في هذا الشهر الكريم الذي تفتح فيه أبواب الرحمة ويستجاب فيه الدعاء.

٦ ـ كما نتوجه في هذا البيان إلى علماء الأمة ودعاتها ونوصيهم ببيان الحق للناس، وأن لا تأخذهم في اللَّه لومة لائم، فإن العامة تبع لعلمائهم، فإذا سكت العلماء ضل العامة، وقد أخذ اللَّه تعالى على أهل العلم العهد والميثاق أن يبينوه للناس ولا يكتمونه، فقال تعالى: ﴿وإذْ أَخذَ اللَّهُ ميثاقَ الَّذين أُوتُوا الْكتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وقال تعالى: ﴿ومنْ أَظْلَمُ ممَّن كَتَم شهَادة عندَهُ من اللَّه﴾ [البقرة: ١٤٠].

وقال تعالى: ﴿إنَّ الَّذين يَكْتُمُون ما أَنزلنا من الْبيِّنَات والْهدىٰ منْ بَعْد مَا بيَّنَّاهُ للنَّاسِ فِي الْكتَابِ أُولئك يلْعنُهمُ اللَّهُ ويلْعنُهمُ اللاَّعنون﴾ [البقرة: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿إنَّ الَّذين يَكْتُمُون مَا أَنزَل اللَّهُ من الْكتاب ويشْتَرُونَ به ثَمنا قَلِيلا أُولْئك ما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم إلاَّ النَّار ولَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يوم الْقيامة ولَا يُزَكِّيهِم ولَهُمْ عَذَاب أَلِيم﴾ [البقرة: ١٧٤]، فقد توعد اللَّه من كتم العلم باللعنة

والعذاب الشديد. فيجب عليهم بيان الحق للناس في هذه النازلة من وجوب موالاة المؤمنين، ونصرهم على الكفار، وعدم خذلانهم، ووجوب البراءة من الكفار، وبيان حكم مظاهرتهم علي المسلمين.

٧ - نوصي المجاهدين في أفغانستان بإخلاص النية للَّه تعالى، فإن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وفضله عظيم، وأجره جزيل، والقائم به من أفضل المسلمين، وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وفي «الصحيح» من حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعًا: **«من قاتل لتكون كلمة اللَّه أعلى فهو في سبيل اللَّه»**.

ونوصيهم بطاعة اللَّه ورسوله، وبتجريد التوحيد للَّه عز وجل، ولزوم ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ظاهرًا وباطنًا، واتحاد الكلمة، وترك التنازع، والثبات أمام الأعداء، والإكثار من ذكر اللَّه سبحانه، والحذر من الإعجاب بالنفس، وهذه وسائل النصر بإذن اللَّه كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال: ٤٥-٤٧].

وقد قال الرسول ﷺ: **«فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسراً»**.

ونوصيهم باللجوء إلى اللَّه تعالى، والتضرع إليه، والاعتماد عليه،

وكثرة الدعاء والابتهال، وقد كان هذا هدي رسول اللَّه ﷺ في غزواته، ولما كانت غزوة بدر وكان المشركون أضعاف المسلمين التجأ الرسول ﷺ في (العريش) إلى اللَّه وأكثر من الدعاء والتضرع حتى سقط رداؤه عن ظهره، ثم نزل نصر اللَّه.

ونذكرهم بأن تكالب أحزاب الكفر عليهم من كل جانب هو ابتلاء من اللَّه تعالى لهم، ورفعة لدرجاتهم، وتمحيص للمؤمنين، ومحق للكافرين، كما قال تعالى: ﴿وليمحص اللَّه الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ [آل عمران: ١٤١]، وهذه سنة اللَّه في عباده المؤمنين، وما أشبه تحالف أمم الكفر عليهم بتحالف أحزاب الكفار من المشركين واليهود على الرسول ﷺ وأصحابه ﵃ كما قال تعالى: ﴿إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون باللَّه الظنونا﴾ [الأحزاب: ١٠]، ثم جعل اللَّه تعالى العاقبة للمؤمنين كما قال تعالى: ﴿ورد اللَّه الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى اللَّه المؤمنين القتال وكان اللَّه قويا عزيزا﴾ [الأحزاب: ٢٥].

ونذكرهم بقول اللَّه تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا اللَّه ونعم الوكيل ﴿١٧٣﴾ فانقلبوا بنعمة من اللَّه وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان اللَّه واللَّه ذو فضل عظيم﴾.

كما نبشرهم بأن السواد الأعظم من العلماء وطلبة العلم والدعاة والعامة يتولونهم، ويدعون لهم بالنصر والثبات، ويتبرؤون من أعداء المسلمين المتحالفين على حربهم، ويدعون عليهم بالهزيمة والخذلان.

٨ - قد ينظر بعض ضعاف الإيمان، ومن في قلبه مرض إلى أن الصراع

بين أمريكا وأفغانستان مسألة محسومة النتائج، وأن حكومة (طالبان) بموقفها هذا تغامر وتجازف، وقالوا مثل ما قال إخوانهم من قبل: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰؤُلَاءِ دِينُهُمْ﴾، وأن أمريكا بجبروتها، وإمكاناتها المادية، والحشد العسكري الضخم، والتحالف الدولي، والتسهيلات المعطاة لأمريكا من المنظمات والدول لا يمكن أن تقف أمامها هذه الدولة الضعيفة المحاصرة، ونقول لهؤلاء: يجب عليكم أن لا تُغْفِلوا عوامل النصر المعنوية، التي يجب إبرازها في هذه الأحداث، والتذكير بها، وأن الفئة المؤمنة إذا أخذت بأسباب النصر الشرعية مع بذل الجهد - قدر المستطاع - في أخذ الأسباب المادية فإنها موعودة بالنصر والتمكين ولو كانت أقل عدة وعتادًا من عدوها، ومن ذلك التذكير بمواقف الرسل وأتباعهم حيث نصروا في معارك غير متكافئة من الناحية المادية، وتاريخ الصراع بين الحق والباطل مملوء بقصص انتصار الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكبيرة الكافرة، مثل قصة طالوت وجالوت، وموسى ﷺ وفرعون، ومحمد ﷺ وكفار قريش، ومعارك المسلمين الفاصلة بعد ذلك.

قال تعالى - عن طالوت وقومه -: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]. وقد يحصر أيضًا كثير من الناس النصر بأنه النصر الحسي على الأعداء، وذلك بقتلهم والاستيلاء على ديارهم وأموالهم، ويغفلون عن النصر المعنوي الذي هو أعظم أنواع النصر وأشرفها ألا وهو الانتصار على حب الحياة وحب النفس، وتقديمها رخيصة في سبيل اللّه عز وجل وإعلاء كلمته، نعم إنه انتصار

العقيدة في نفوس أصحابها والثبات عليها حتى الممات دون تنازل أو ضعف أو خور، كما كان ذلك من غلام الأخدود ومن آمن بدعوته بعد ذلك من المؤمنين، حيث ثبتوا على إيمانهم ولم يتقاعسوا وهم يرون النار الموقدة أمامهم حتى تساقطوا فيها جميعًا فكان بإمكان أحدهم أن يتراجع عن عقيدته ويسلم من الموت حرقًا لكنه انتصار العقيدة والثبات على المبدأ، وذلك سماه اللَّه عز وجل بالفوز الكبير.

إن المؤمن باللَّه عز وجل هو الأعلى والمنتصر دائمًا، ولو قتل أو سجن أو شرد، قال اللَّه تعالى للمؤمنين بعد هزيمة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٩ ـ ونوجه خطابًا في هذا البيان إلى أهل السنة من التحالف الشمالي المعارض ونخص منهم رباني وسياف وأمثالهما من القادة لنقول لهم:

تداركوا أنفسكم قبل الموت على ما أنتم عليه، فقد أجمع علماء المسلمين قاطبة على ردة من ناصر الكفار على المسلمين، وتذكروا جهادكم ضد الروس، وما أبليتم فيه من البلاد الحسن فلا تضيعوه وتحبطوه، وتختموا أعماركم بأسوء الأعمال وأنجسها.

إننا نوصيكم بأن تتقوا اللَّه عز وجل وتراجعوا دينكم وتضعوا أيديكم في أيدي حكومة طالبان المسلمة لعل اللَّه أن يختم لكم بخير، ويكفيكم أن تقارنوا بين أصدقائكم وأصدقاء طالبان وبين أعدائكم وأعدائهم لتعلموا المفسد من المصلح، نسأل اللَّه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يهديكم ويأتي بكم إنه سميع مجيب.

١ ـ وفي ختام هذا البيان نوصي عموم المسلمين بما يلي:

أولاً: العودة الصادقة إلى اللَّه تعالى، والتوبة، وترك المعاصي، والحرص على الطاعات والعبادة، كما ثبت في مسلم عن معقل بن يسار عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**العبادة في الهرج كهجرة إليّ**»، فإن هذه الأمور من أعظم أسباب النجاة في الدنيا والآخرة.

ونذكرهم بسنن اللَّه في التغيير وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ [الرعد: ١١].

ثانيًا: الحذر من المزالق أوقات الفتن، فإنها مزلة أقدام، ومضلة أفهام، ومقام ضنك، ومعترك صعب، وفيها تذهل العقول، وتتغير الأخلاق، ومن توفيق اللَّه عز وجل للمسلم رسوخ قدمه وعقله في أوقات الفتن. واللجوء إلى اللَّه تعالى بالتقوى وطلب السداد والثبات على الحق، قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم﴾ [الأنفال: ٢٩].

ثالثًا: الحذر من الوقوع تحت تضليل الإعلام وتلبيسه من تغيير لبعض شعائر الدين، والذي تسعى إليه قوى الكفر العالمية وأذنابهم من المنتسبين للإسلام، كتسميتهم الجهاد في سبيل اللَّه: إرهابًا، والبراءة من الكافرين وعداوتهم: تطرفًا، وموالاة الكفار والركون إليهم: سلامًا وتعايشًا، وتسميتهم قوانين الطاغوت الدولية وقراراته ومحاكمه: عدلاً وشرعية دولية، والدول الكافرة: صديقة، إلى آخر قائمة التلبيس والتضليل. كما ينبغي الحذر من العرض الانهزامي للإسلام ووصفه بأنه دين تسامح ومحبة ورحمة فحسب، إذ لا بد من التأكيد على أنه أيضًا دين دعوة لإدخال الناس في

الدين الحق عقيدة وشريعة، ودين جهاد للمعاندين، وبراءة من الكافرين، وأن من وَصْفِ أهله أنهم: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

رابعًا: نوصي المسلمين بتوحيد صفوفهم وعدم التفرق؛ لأن المستهدف في هذه المواجهة هو دين الإسلام، لا منظمة صغيرة، ولا دولة ضعيفة، وهذا يقتضي رص الصفوف، والتنسيق بين المسلمين، وحشد المواقف، وتوحيد الكلمة، وترك الخصومات بين المختلفين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

خامسًا: نذكر المسلمين بضرورة التفاؤل بنصر اللَّه عز وجل لعباده المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، فدين اللَّه عز وجل منصور لا محالة، قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾، والخوف ليس على دين اللَّه ودعوته، وإنما الخوف علينا نحن المسلمين إن نحن تخاذلنا وتركنا نصرة الدين، ويجب أن لا ننسى أحاديث الطائفة المنصورة التي لا يخلو منها زمان إلى قيام الساعة، كما جاء في «الصحيحين» أن النبي ﷺ قال: **«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك»**، ووصفها بأنها منصورة يدل على أنها تخوض معركة مع خصومها وأعدائها وأنها تنصر عليهم، إما بالحجة والبيان أو بالسيف والسنان، فلا خوف إذن على دعوة اللَّه عز وجل بأن تسحق، ولا على أهل هذه الطائفة أن يقضى عليهم، ولا على مواطن الجهاد أن تصفى، فإن مثل هذا الخوف والرعب إنما

هو من الشيطان الذي قال اللَّه تعالى عنه: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

١١ ـ وبينما هذا البيان في صياغته الأخيرة إذ جاءت الأنباء بدخول قوات التحالف الشمالي الظالم تحت غطاء أمريكا الكافرة إلى (مزار الشريف) و(كابل) وبعض المدن الأخرى، وانسحاب حكومة (طالبان) المسلمة إلى الجنوب لشن حرب العصابات على الكفار وحلفائهم، وهنا نود تسجيل موقف نناي من خلاله أولئك الذين كانوا يكرهون حكومة (طالبان) المسلمة ويتمنون هزيمتها أمام التحالف الشمالي لنقول لهم: لعلكم سمعتم بالفظائع والجرائم التي قام بها هذا التحالف الظالم من الشيوعيين والرافضة والمنافقين على المسلمين في البلدان التي دخلوها، وما قاموا به من فتح (المزارات الشركية) التي أغلقتها حكومة (طالبان)، ومن حلق اللحى، ونزع الحجاب، وبث الموسيقى والأغاني، والأفلام الماجنة. فهل هذا هو الوضع الذي تفضلونه؟!!

إن هذه الأنباء قد فضحت وعرت التحالف الشمالي وأظهرت بحمد اللَّه تعالى محاسن حكومة (طالبان) ومصداقيتها قولاً وعملاً في الحكم بشريعة الإسلام، هذه الحكومة التي تبرأ منها ويا للأسف بعض المنتسبين للعلم وتمنوا سقوطها، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار.

نسأل اللَّه تعالى أن يظهر دينه، ويعز كلمته، وينصر أولياءه، ويذل أعداءه، وأن يجمع كلمة المسلمين، ويوحد صفوفهم على الحق.

اللَّهم قاتل الكفرة أجمعين، ونخص منهم الأمريكان ومن حالفهم الذين يكذبون رسلك، ويصدون عن سبيلك، ويؤذون أولياءك، وأنزل عليهم

رجزك وعذابك إله الحق.

اللَّهم انصر المجاهدين في سبيلك في كل مكان، ونخص منهم مجاهدي (أفغانستان)، وثبت أقدامهم، وسدد رميهم وآراءهم، ووحد صفوفهم، وأنزل السكينة عليهم. وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين.

• الموقعون:

الشيخ الدكتور/ عبدالرحمن بن صالح المحمود.

الشيخ/ أحمد بن صالح السناني.

الشيخ الدكتور/ سعد بن عبداللَّه الحميد.

الشيخ الدكتور/ عبدالعزيز بن محمد آل عبداللطيف.

الشيخ/ عبدالعزيز بن ناصر الجليل.

الشيخ/ حمد بن ريس الريس.

الشيخ/ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التركي.

الشيخ/ فريح بن صالح البهلال.

الشيخ/ حمد بن عبداللَّه الحميد.

الشيخ/ ناصر بن حمد الفهد.

● بيان فضيلة الشيخ / عبدالرحمن بن ناصر البراك :

بيان الشيخ الإمام عبدالرحمن بن ناصر البراك ـ حفظه اللَّه ـ حول العدوان الأمريكي على أرض أفغانستان.

الحمد للَّه ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، وصلى اللَّه وسلم على نبينا محمد القائل: «**بعثت بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم**» صلى اللَّه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد..

فإنه مما لا شك فيه أن إعلان أمريكا الحرب على حكومة طالبان في أفغانستان ظلم وعدوان وحرب صليبية على الإسلام كما ذُكر ذلك عن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية، وأن تخلي الدول في العالم الإسلامي عن نصرتهم في هذا الموقف الحرج مصيبة عظيمة، فكيف بمناصرة الكفار عليهم، فإن ذلك من تولي الكافرين؛ قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**﴾، وقد عدّ العلماء مظاهرة الكفار على المسلمين من نواقض الإسلام لهذه الآية، فالواجب على المسلمين نصرة إخوانهم المظلومين على الكافرين الظالمين، قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه**». وليس من نصر المسلمين ولا من الجهاد في سبيل اللَّه قتل المعاهدين والمستأمنين ولا العدوان عليهم؛ بل ذلك من أعظم المنكرات، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾،

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «**من قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة**».

ومن المعروف أن الذنب الأول لحكومة طالبان لدى الولايات المتحدة أنها لم تخضع لزعامتها، ولم تنسجم بقانون هيئة الأمم الذي يُعَبَّر عنه بالشرعية الدولية، وهو يعطي للولايات المتحدة حق التحكم بالقرار، ومن يخرج عن ذلك القانون تنزل به العقوبات، وتفرض الالتزام به على سائر الدول، وهذا عين التسلط والاستعباد.

فالواجب على الأمة الإسلامية أن تأخذ بأسباب العزة التي جعلها اللَّه لعباده المؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وما سبب ذل المسلمين وتبعيتهم لأعدائهم إلا إعراضهم عن دينهم، وضعف إيمانهم، وتفرقهم حتى تركوا الجهاد في سبيل اللَّه، قال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط اللَّه عليكم ذلاّ لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**».

فهذا التجمع ضد حكومة طالبان مع ضعفها ومعاناتها ومعاناة الشعب الأفغاني نازلة تستوجب نصرتهم، ومدّ يد العون لهم، وأقل ذلك الدعاء لهم، والقنوت برفع تلك النازلة التي لا يقتصر أثرها وضررها عليهم.

نسأل اللَّه أن ينصر دينه، ويعلي كلمته، ويجمع كلمة المسلمين على الحق، ويفرق جمع الكافرين، وأن يدمر عليهم تدميرًا، إنه قوي عزيز، وهو على كل شيء قدير، وصلى اللَّه على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

أملاه. عبدالرحمن بن ناصر البراك

وحرر في ٢/ ٧/ ١٤٢٢هـ

خطاب من علماء الجزيرة العربية لكافة علماء باكستان، وقراءة في طياته:

ونقرأ أيضًا في الخطاب الثاني قبل عرض نصه بعض المعاني التي نضعها بين يدي القارئ ليفهم بعض محتوى ذلك الخطاب:

- بيان دافع كتابة هذا الخطاب، وأنه واجب الأخوة الإسلامية والموالاة والنصرة، وتذكيرًا بالواجب والعهد والميثاق الذي أخذ على العلماء بقول كلمة الحق وبيان ما أنزل اللَّه.

- تأكيدهم على أنهم كانوا يتابعون فتاوى العلماء في باكستان وأنهم معهم قلبًا وقالبًا في هذه الأحداث، وأن الحدود والأقاليم الوهمية لا تمنع ولا تعطل حق الأخوة والنصرة.

- والإشادة بموقف علماء باكستان والشعب الباكستاني بمناصرة الإمارة الإسلامية والفرح بالتفاف الشعب حول العلماء رغم التضييق والضغوط.

- التأكيد على حقيقة واجب العلماء في الأحداث العظيمة، والبيان بأن مثل هذه الأحداث تعد هي المحك الحقيقي التي تبين مَنْ هو العالم من المتعالم.

- البيان بأن مناصرة الإمارة الإسلامية ليست مهمة علماء باكستان ولكنها مهمة العلماء في كل مكان، إلا أن علماء باكستان هم من حاز قصب السبق في المناصرة والتأييد.

- الشد من أزر علماء باكستان والتأكيد على أن الحرب لم تنته بعد وأمامها وقت طويل حتى تحقق أهدافها الصليبية الخبيثة.

ـ فضح مخطط هذه الحرب، وأنه أشمل من احتلال البلدان والمدن.

ـ البيان بأن أمريكا تريد صنع إسلام أمريكي مفرغ من كل معاني الإسلام الحقيقي، لتفرضه على المسلمين بقوة الحديد والنار.

ـ ذكر الأدلة التي فضح الله بها بعض أهداف اليهود والصليبيين.

ـ عدم التعجب من حقد الصليبيين وعملهم لتحقيق أهدافهم، ولكن العجب من تخاذل كثير من المسلمين وبعض العلماء وغفلتهم عن حقيقة المؤامرة.

ـ التذكير بأن هذا الدين يحتاج إلى تضحية وفداء، ومن نصره فقد نصر نفسه وخلصها من عذاب الله تعالى.

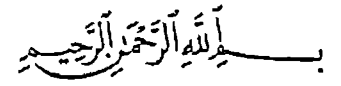
ـ التذكير بأن احتمال سقوط الإمارة الإسلامية وقتل قادتها جميعًا لا يعني أنها هزمت بل كل من قتل في سبيل الله تعالى فقد نال أعظم النصر.

ـ حث العلماء على أن يكونوا قادة الأمة في نصرها القادم بإذن الله تعالى، وأن السكوت عن نصرة الحق لا يزيد المسلمين إلا ضعفًا ولا يزيد الكافرين إلا تسلطًا.

ـ التأكيد بأن الأحداث المستجدة والتي تحيط بباكستان ليس الهدف منها ما يعلن، وليس الهدف منها أيضًا الاكتفاء بإغلاق المدارس الدينية أو الجمعيات، بل الهدف أشمل وأعم وهو سفك دماء المسلمين وإلغاء كل ما هو إسلامي ومحاربة الجهاد والولاء والبراء الحقيقي.

ـ توصية العلماء بأن يبذلوا كل وسعهم وطاقتهم بشتى السبل لمواجهة هذه الحملة الصليبية ورد شرها، وخاصة بشعيرة الجهاد.

وإليكم نص الخطاب:



الحمد للَّه والصلاة والسلام على رسول اللَّه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

إلى كافة علماء باكستان ودعاتها وعلى رأسهم: فضيلة الشيخ/ نظام الدين شامزي، وفضيلة الشيخ/ سميع الحق وفضيلة الشيخ/ فضل الرحمن وفضيلة الشيخ/ فضل الرحمن خليل، وفضيلة الشيخ/ قاضي حسين أحمد، وفضيلة الشيخ/ حافظ رشيد، وفضيلة الشيخ/ سيف اللَّه أختر، وفضيلة الشيخ/ مسعود أزهر فك اللَّه أسره إلى هؤلاء وغيرهم من العلماء والدعاة ـ حفظهم اللَّه ورعاهم ـ:

السلام عليكم ورحمة اللَّه وبركاته، إننا نبعث إليكم بهذا الخطاب تأدية منا لواجب الأخوة الإسلامية ولواجب موالاة المؤمنين ونصرتهم لاسيما العلماء منهم، ونذكركم فيها بالواجب الذي أُلقي على أكتاف العلماء وبالعهد والميثاق الذي أخذه اللَّه على العلماء.

أصحاب الفضيلة لقد كنا نتابع بكل مشاعرنا وجوارحنا ما يدور على أرضكم من أحداث بسبب مناصرتكم المشرفة للإمارة الإسلامية في أفغانستان، ولقد سرَّنا تكاتف الشعب الباكستاني معكم وتنفيذه لفتاواكم رغم التهديدات والضغوط التي تفرض عليكم وعليه، ولقد سعدنا أيضًا بفتواكم التي تسر الأصدقاء وتغيظ الأعداء، فليست مهمة العالم أن يتحدث إلى الناس ويفتيهم في الرخاء فقط، ولكن العالم الذي يتقدم الناس في السراء

والضراء، ولقد سمعنا باعتقال بعضكم ولا زلنا ندعو بأن يفرج اللَّه عنكم ما أنتم فيه من الإقامة الجبرية والتضييق في الحال والمقام.

وإننا رغم الحدود الوهمية والإقليمية التي تحول بيننا وبينكم لا زلنا قريبين منكم ونناصركم ونؤازركم وندعو لكم ونعيش معكم ساعة بساعة ولحظة بلحظة.

وهذه الأحداث التي تمر بالأمة الإسلامية وخاصة في أفغانستان وإمارتها الإسلامية، تعد هي المحك الحقيقي الذي ظهر بسببه ما تكنه الصدور وما تعتقده القلوب، وظهر من هو العالم من المتعالم، فالعالم هو الذي يبرهن بعمله صدق ما يدعو إليه، والمتعالم الذي يتأخر في مواطن الإقدام ويقدم الدنيا على الآخرة.

وإن موقفكم منذ بداية الأحداث وقبلها كان مشرفًا لا سيما من خلال مجلسكم المسمى بجبهة الدفاع عن أفغانستان بقيادة فضيلة الشيخ سميع الحق - حفظه اللَّه - وفرج همه، فمناصرتكم للإمارة الإسلامية لم يكن مختصًّا بكم وحدكم بل هو الواجب على علماء المسلمين جميعًا، إلا أنكم حزتم قصب السبق وتقدمتم على غيركم من العلماء عندما كانت فتاواكم وأشرطتكم هي طليعة الأصوات المناصرة للإمارة الإسلامية قبل الحرب بسنوات وبعد الحرب ولا زالت، فجزاكم اللَّه عن الأمة كل خير.

أصحاب الفضيلة إن من نافلة القول هنا أن نذكركم - ومثلكم غير خافٍ عليه - أن الحرب الصليبية التي تشن على الإسلام والمسلمين في أفغانستان لم تضع أوزارها بعد، بل إننا لو قلنا: بأنها لم تبدأ بعد لما كنا مخطئين، فالحرب الصليبية أهدافها أعظم من الأهداف العسكرية، وأشمل

من السيطرة على كابل أو على أفغانستان، إن قادة الحرب الصليبية قرروا بأن يزيلوا الإسلام الصحيح من على أرض المسلمين ليستبدلوه بإسلام أمريكي - إن صح لنا التعبير - إسلام على النموذج الأمريكي لا ولاء فيه ولا براء، ولا يدعى فيه لا لجهاد ولا لنصرة، قرر الصليبيون وعملوا على ألا يعرف المسلمون من القرآن إلا رسمه ولا من الإسلام إلا اسمه، وقبل أن يتضح خبثهم وشرهم على المسلمين في الواقع فقد أخبرنا اللَّه بخبثهم وأهدافهم في كتابه فقال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عنك الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾، وقال: ﴿وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عن دينكُم إن اسْتَطَاعُوا﴾، وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بعد مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾، والآيات التي نص اللَّه فيها على أهداف اليهود والصليبيين كثيرة في القرآن، ولا عجب إذن أن يعملوا بما أخبر اللَّه عنهم، ولكن العجب كل العجب أن يتخاذل كثير من المسلمين وبعض العلماء عن نصرة الدين، وأن يخفى عليهم حجم القضية والمؤامرة، علمًا أن هذا الدين منصور بأمر اللَّه تعالى، ولكن من نصر الدين هو في الحقيقة ينصر نفسه ويخلصها من عذاب اللَّه سبحانه وتعالى واللَّه يقول: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾.

أصحاب الفضيلة لا شك عندنا أنكم تدركون حجم المؤامرة وتعون الحدث أكثر من غيركم من العلماء؛ لأن ميدان المعركة قريب منكم وتعيشون الأحداث عن قرب وتتابعون مجرياتها لحظة بلحظة، ولا مجال لسرد أبعاد

المؤامرة عليكم، ولكننا نريد أن نذكركم ونذكر أنفسنا والمسلمين أولاً والشعب الباكستاني خاصة، بأن ديننا يحتاج إلى تضحية، وأن ما يصيبنا ليس إلا رفعة في درجاتنا بإذن اللَّه تعالى، ونذكر الجميع أيضًا بأن فقدان الإمارة الإسلامية للمدن لا يعني بحال هزيمتها أبدًا فقد انتصرت منذ الساعة الأولى لبدء القصف الجوي انتصرت بمبادئها وعقيدتها، ولو قدر أن زالت الإمارة الإسلامية أو قتل قادتها جميعًا فلا يعني ذلك هزيمتها أيضًا، فكل من قتل في سبيل اللَّه فقد انتصر، والإسلام ليس معلقًا بهذه الأرض أو تلك، وليس معلقًا أيضًا بأمير المؤمنين أو المجاهدين معه، فإن قتلوا أو ماتوا فهنيئًا لهم الشهادة في سبيل اللَّه تعالى، ولكن الإسلام سيبقى ما بقي الليل والنهار، والعاقبة للمتقين، وما علينا إلا أن نتوكل على اللَّه سبحانه وتعالى ونعمل ونجاهد في اللَّه حق جهاده ومنه النصر والتمكين، ولا يسعنا بحال من الأحوال أن نكلّ أو نملّ أو نهن أو نفتر، فالدين سينتصر ولكن يحتاج إلى رجال كرجال الرعيل الأول لينتصر على أيديهم.

فكونوا قادة الأمة وقادة الانتصار القادم بإذن اللَّه تعالى، واعلموا بأن سكوتكم لا يزيد المسلمين إلا ضعفًا، ولا يزيد العدو إلا تسلطًا وبغيًا، فها هي دفة الحرب توجه إلى أرضكم وها هي حامية الوثنية تقرع طبول الحرب بأمر اليهود والصليبيين لضربكم، وليس الهدف من حربهم سياسيًّا أو عسكريًّا، بل إن الهدف المنشود لهم هو دينكم وقمع الجهاد الصادر من أرضكم، والصليبيون ومن ورائهم اليهود والوثنيون لن يرضوا بسجن العلماء ولا بإغلاق مدارس تحفيظ القرآن ولا بتغيير المناهج، ولا بإفساد أبناء المسلمين وتغريبهم، فهذا كله لا يشفي غيظ قلوبهم حتى يسفكوا دماء أبناء المسلمين

كما فعلوا في كشمير وفي الشيشان وفي الفلبين وفي أندونيسيا وفي العراق وفلسطين ويفعلون الآن في أفغانستان وغيرها من بلاد الإسلام، قتل المسلمين وتشريدهم وتمزيق أجساد أطفالهم هو الذي يطفئ نار صدور اليهود والصليبيين والوثنيين ومن دونهم.

لذا علينا أن نبذل الغالي والرخيص في التصدي بكل السبل والوسائل لرد شرورهم وكيدهم على المسلمين في كل مكان قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً﴾ ، فكونوا قادة الأمة بكلمة الحق وواصلوا العمل، فإن النصر قريب بإذن اللَّه تعالى، ولكن يحتاج إلى رجال يتحملون تبعات هذا النصر ويكونون أهلاً للتمكين في الأرض.

وآخر دعوانا أن الحمد للَّه رب العالمين ولا عدوان إلا على الظالمين.

إخوانكم

حمود بن عقلاء الشعيبي   على بن خضير الخضير

سليمان بن ناصر العلوان

١٧/ ١/ ١٤٢٢هـ

* * *

حكم التحالف مع أمريكا ضد المسلمين

● تقول رابطة علماء فلسطين - ٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٢هـ الموافق ١٧/٩/٢٠٠١م.

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسولنا محمد وإخوانه النبيين الطاهرين، وآله وصحبه ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإنه من المقرر شرعًا في ديننا الإسلامي الحنيف حرمة موالاة المسلمين للأعداء، وقد ثبت ذلك في كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ، وبإجماع أئمة المسلمين.

● قال الله تعالى: ﴿لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾.

● وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

● وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

● وقال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه».

● وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه».

وأجمع علماء المسلمين على حرمة تعاون المسلمين فيما بينهم على الإثم والعدوان لقوله تعالى: ﴿وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، ومن باب أولى

تعاون المسلمين مع أعدائهم ضد إخوانهم المسلمين على الإثم والعدوان، فإنه أشد حرمة.

وبناءً على ما تقدم فإنه يحرم شرعًا على أي مسلم ـ حاكمًا كان أو محكومًا، جماعة أو دولة ـ أن يتعاون أو يتحالف مع أمريكا بأي شكل من الأشكال، سواء كان ذلك بالقتال إلى جانبها، أو تسهيل مهمتها أو فتح الأجواء أو المطارات أو القواعد أو الموانئ لقواتها لتشن عدوانها على أي بلد مسلم، كأفغانستان أو باكستان أو العراق أو سوريا أو إيران أو لبنان أو مصر، أو غيرها من بلاد المسلمين.

إن ذلك من أكبر الكبائر وأفظع الجرائم عند اللَّه عز وجل، وهو خيانة للَّه ورسوله والمؤمنين، والأولى بالمسلمين جميعًا أن يتعاضدوا ويتساندوا ضد أي خطر يهدد أمنهم أو يستهدف أحدًا منهم، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾. ولقوله ﷺ: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم**».

إننا في رابطة علماء فلسطين لا نقر قتل الأبرياء أيًّا كانوا، لقول اللَّه عز وجل: ﴿وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾، وخاصة أن أمتنا الإسلامية أكثر من عانى ويعاني من الإرهاب والقتل والظلم الذي وقع ويقع عليهم من أعدائها، كما هو الحال في العراق، وكشمير، والشيشان، وكما حصل في البوسنة والهرسك وغيرها من بلاد المسلمين ولا سيما شعبنا الفلسطيني المرابط الذي لا يزال يتجرع الإرهاب الصهيوني المتمثل في احتلال وطنه وتشريد أهله، وقتل شيوخه وأطفاله ونسائه، واغتيال قادته، وتدنيس

مقدساته، وحصار مدنه وقراه ومخيماته، وتدمير ممتلكاته، كل ذلك بدعم أمريكي: عسكري واقتصادي وسياسي، دعمًا متواصلاً.

إن على أمريكا التي حلت بها الكارثة بسبب التفجيرات الأخيرة أن تراجع حساباتها وسياساتها الظالمة تجاه شعوب العالم، وأن تحاسب نفسها، لا أن تدق طبول الحرب وتحشد حلفاءها لشن حرب صليبية جديدة كما سماها الرئيس الأمريكي «بوش».

إننا في رابطة علماء فلسطين نعتبر ما ستقوم به أمريكا ضد الدول الإسلامية دون وجه حق بمثابة إعلان حرب على الإسلام والمسلمين بحجة محاربتها للإرهاب، وهذا بمثابة حرب على اللَّه تبارك وتعالى، وأن هذه الحرب لن تحقق لهم إلا الخسران وسيكتوون بنارها، وإن اللَّه عز وجل لهم بالمرصاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

- فتوى رئيس المجلس الأوربي للإفتاء:
- مشروعية نصرة طالبان:

بسم الله الرحمن الرحيم:

من حق أفغانستان أن تطلب النصرة من إخوانها المسلمين، ومن واجب كل مسلم أن ينصرهم بما يستطيع لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾، وإذا كانت نصرة المسلمين إخوانهم في هذا العصر تخضع لموانع كثيرة بسبب تعدد الدول الإسلامية، واختلاف ظروفها السياسية ومدى تحررها من الخضوع للنفوذ الأجنبي إلا أن

هذا الأمر لا يعطل الحكم الشرعي في وجوب النصرة، ويبقى على المسلم أن ينصر إخوانه بما يستطيع وضمن ظروفه بقوله عز وجل: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

أما اتهام حركة طالبان بالإرهاب فهو اتهام أمريكي، ولا يجوز للمسلم أن يأخذ به، وأن يبني عليه موقفًا إلا عندما تعرض أمريكا أدلتها على ذلك ويتبيّن أنها أدلة صحيحة.

وقبل ثبوت هذا الاتهام تظل حركة طالبان حركة إسلامية من حقها طلب النصرة، ومن واجبنا أن نستجيب، كل بحسب ظروفه واللَّه أعلم.

• فتوى المستشار فيصل مولوي نائب رئيس المجلس الأوربي للإفتاء:

«بسم الله الرحمن الرحيم. إذا أقدمت الولايات المتحدة على ضرب أفغانستان بحجة إيوائها لابن لادن تكون هي التي أعلنت الحرب على بلد إسلامي، ويصبح من حق كل مسلم في هذا البلد إعلان الجهاد المشروع دفاعًا عن النفس خاصة إذا دعا إلى هذا الجهاد الحاكم المسلم لقول رسول اللَّه ﷺ «وإذا استنفرتم فانفروا»، ويكون من واجب المسلمين في كل بلاد العالم مساعدة إخوانهم الأفغان كل بما يستطيع حسب ظروفه وظروف البلد الذي يعيش فيه، سواءً كانت مساعدة بالمال أو النفس إذا استطاع ذلك، أو بالدعم السياسي إذا أمكن أو بالدعاء وهو أقل الواجب»[1]

• فتوى رئيس جامعة الأزهر:

يقول الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم رئيس جامعة الأزهر:

(١) جريدة «صوت بلدي» ـ العدد «٢» ص(١٠).

«لا يصح أن تؤاخذ دولة بأكملها في مقابل جريمة فرد من أفرادها ـ إن ثبت جرمه ـ ما دامت الدولة لم توظف هذا الفرد لعمل هذا الإرهاب، وما دام لم يصدر عن رأيها، ولم تسلحه، ولم تأمره بذلك، فهو إذن يتصرف من تلقاء نفسه، ويتحمل جريمته ولا تزر وازرة وزر أخرى.

فعلى أمريكا أن تتثبت حتى تتحقق من تحديد الجاني، فإذا ثبتت أدلة الجناية على أحد فلا يجوز لها أن تؤاخذ دولة بأسرها وتحاربها ظلمًا وعدوانًا، وإذا حدث فعلى المجتمع الإسلامي أن يقف بجانب المظلوم الذي لم تثبت إدانته والله أعلم»(١)

○ لا وألف لا لفقه المهزومين الذين يجيزون للجندي المسلم الأمريكي أن يقاتل أخاه الأفغاني:

أليس من الغريب أن تصدر الفتوى من الدكتور محمد سليم العوّا، والشيخ يوسف القرضاوي ويؤيدهما بحرارة دكتور «صلاح عز» في جريدة «آفاق عربية» يجيزون للجندي المسلم الأمريكي أن يقاتل أخاه الأفغاني إذا أُكره على ذلك. ونقول لهم: اتقوا الله عز وجل فيما تقولون وتسوّدون من صحف بدعوى الاجتهاد.

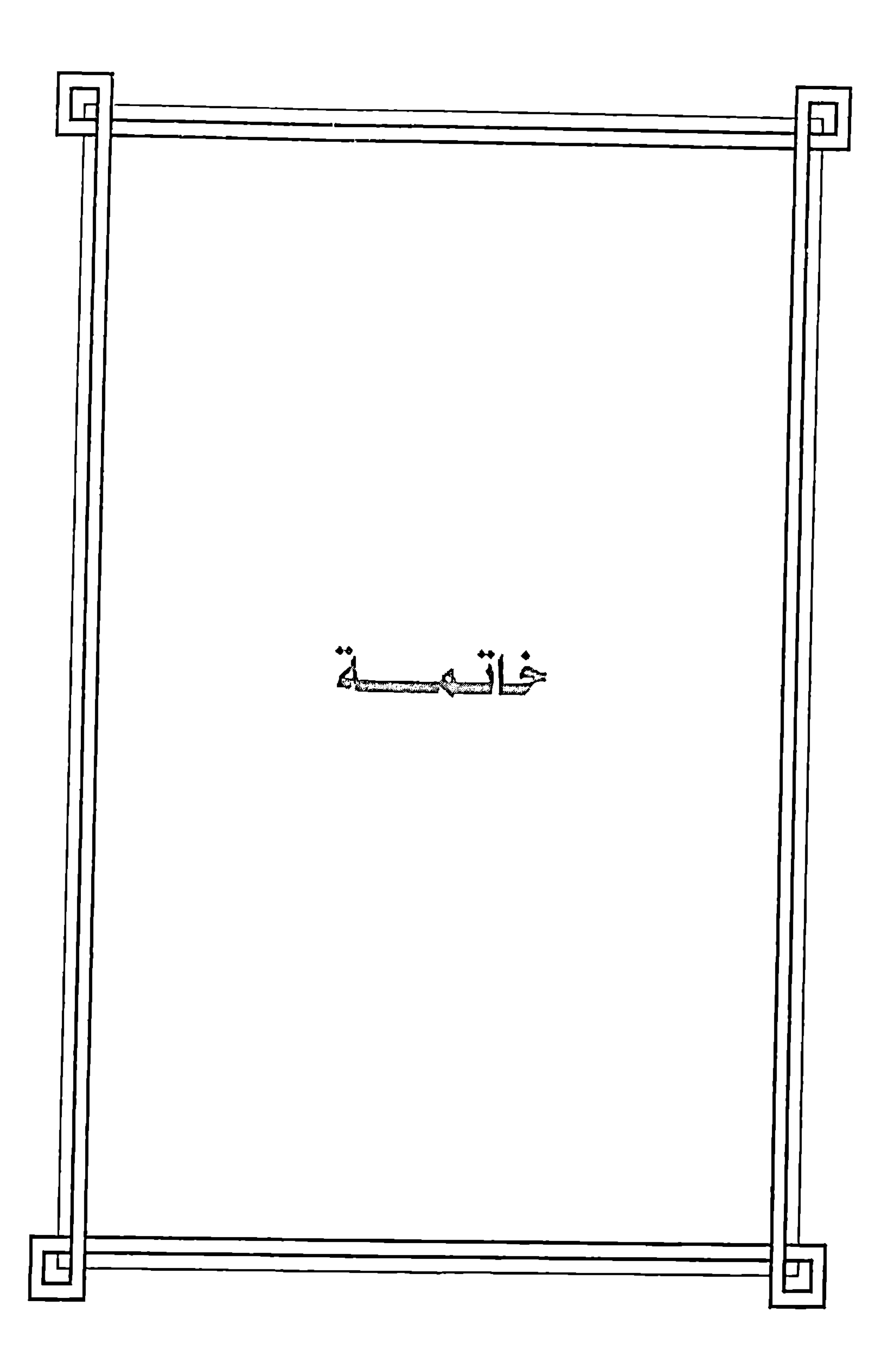
والحكم الشرعي الأصلي هو عدم جواز مقاتلة المسلم لأخيه المسلم ثابت بالقرآن والسنة والإجماع لا خلاف عليه، والقاعدة الشرعية الثابتة أيضًا هي رفع الإثم عن المسلم فيما إذا كان لا يستطيع القيام بالحكم الشرعي كما أمره الله كما في حال الإكراه ولكن بشرط ألا يتعدى الضرر إلى الآخرين.

(١) جريدة «صوت بلدي» ـ العدد «٢» ص(١٠).

وهذا ما ندين اللَّه به ونمهلهم ألف عام أن يأتوا بخلاف ذلك من أقوال أهل العلم السابقين.

يا رجال الدين يا ملح البـــلد   من يُصلح الملح إذا الملح فسد

*



خاتمة

خاتمة

● إرهاب راعي البقر البلطجي الأمريكي:

أي إرهاب فوق إرهاب القصف الهمجي الأمريكي الذي دمّر المساجد والمستشفيات ومستودعات الإغاثة وضرب المدنيين والعجزة والأطفال بالقنابل الانشطارية التي تصل زنتها إلى أكثر من طن، ودبابات «أبرامس» والطائرات المقاتلة «كوبرا» والمقاتلات الجوية «هاريير»، و ٤ ألف بحار فقط في بحر العرب، فما الظن بقوات المارينز في باكستان وأفغانستان، وهذه الترسانة الجوية، وتواطؤ أمم الكفر من عباد بوذا في اليابان مرورًا بالصليبيين في ألمانيا وأستراليا وكندا والشوعيين في روسيا وأوزبكستان وجورجيا وطاجيكستان، وأذربيجان، والعلمانيون في تركيا، والرافضة في إيران، وعباد البقر في الهند، والصليبيين في الاتحاد الأوربي والفاتيكان وإيطاليا، ومجلس الأمن، والمرتدين في باكستان. إرهاب لو تعرضت له موسكو وباريس ولندن وبرلين مجتمعة لدكها. ومذابح للأفغان يندى لها جبين كل إنسان حر.

وعلى سبيل المثال فإن قرية «كورام» التي تبعد ٤ كيلو متر عن مدينة جلال أباد والتي كانت تضم من ٢٥ - ٣٠ كوخًا أو بيتًا، نام أهلها مطمئنين ذات مساء من أكتوبر ١ ٢ لتفاجئهم الطائرات الأمريكية من طراز الشبح والتنين السحري وتلقي عليهم أطنانًا من القنابل ذات الألف رطل والخمسة آلاف رطل أيضًا فتهدم جميع البيوت، وتقتل جميع السكان (١ ٢ قتيلاً، ١٧ جريحًا)، بل وتقتل الأغنام والأبقار (حوالي ١ رأس غنم وماشية،

ولم ينج من هذه المذبحة إلا هؤلاء الذين كانوا خارج القرية «حوالي ٣ فردًا».

ويحكي أحد أبناء القرية الذي كان موجودًا خارجها ساعة القصف، ويدعى تورخان أنه عاد ليجد حظيرة ماشية يتصاعد منها الدخان ورائحة اللحم المشوي، فقد احترقت الأبقار، وليجد بيته مهدمًا، وقد دُفن تحت أنقاضه أولاده الستة وزوجته.

يقول تورخان: «أمريكا تريد قتل شعبنا وتركيعه، إنها لا تبحث عن طالبان أو القاعدة».

- من نفس القرية عاد عبدالكريم الذي كان خارج القرية لشراء احتياجات الأسرة ساعة القصف، عاد ليجد بقايا أطفاله الخمسة وزجته وبقايا الصاروخ الذي مزّق أجسادهم.

- وكما يقول الصحفي محمد طعيمة في جريدة العربي الأسبوعية المصرية.. فإن كورام نموذج لثلاث عشرة قرية جبلية يسكنها رعاة يعيشون على الرعي وبيع الأحطاب التي تجمعها نساؤهم، لا يعرفون اسم بوش أو بلير أو بن لادن، ولكن قراهم تحولت إلى خرائب، واحترقت جثث زوجاتهم وأولادهم، بل ومواشيهم.

وهكذا تختلط دماء، وعظام الأبناء والزوجات، والرجال بعظام ودماء ولحوم المواشي المحترقة، وركام المنازل وبقايا الصواريخ، وقيم المدنية الأمريكية والأوربية.

وما حدث في تلك القرى حدث في الأحياء بالمدن، ومات المدنيون

بالمئات، وجُرح الآلاف، والبقية تأتي، ولا جديد في الأمر حين تجد أن بقايا الأقدام والرؤوس أو بقايا أسرة كاملة أب وأم وأطفال، أو بقايا عروسين على سرير من جريد كانا لتوهما قد تزوجا.

وإن شئت حدّث عن ضرب أمريكا للقلعة التي فيها المئات من أسرى طالبان لتقتلهم من الجو، لو كان هؤلاء الأسرى روسًا أو صينيين لما تجرأت على ضربهم بهذه الوحشية. وانظر إلى الوحشية في معاملة الأسرى المنقولين إلى كوبا.

يقول محمد حسنين هيكل: «الخسائر المادية على مدى الأسبوع الأول من العملية تساوي تكاليف الحرب العالمية الثانية، وقد دفعتها أسواق العالم وكان النصيب الأكبر منها خسائر السوق الأمريكية وتقديرها الأوَّلي «٢ تريليون دولار» نصف إجمالي الدخل الأمريكي هذه السنة».

◎ تجديد اليقين:

ينبغي تجديد اليقين بأن للَّه تعالى حكمًا قدريًّا قال بشأنه: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾ [النساء: ١٤١]، والمعنى - كما قال ابن كثير: «أنهم لن يُسلطوا عليهم استيلاء استئصال، وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس، فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة، فتكون الآية ردًّا على المنافقين فيما أمَّلوه ورجوه وانتظروه من زوال دولة المؤمنين، وفيما سلكوه من مصانعة الكافرين خوفًا على أنفسهم منهم إذا هم ظهروا على المؤمنين فاستأصلوهم».

◎ ومما ينبغي تجديد اليقين به: أن اللَّه تعالى لن يخلف وعده بنصر

أهل الإيمان في النهاية، كما قال سبحانه: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝ وَعْدَ اللَّهِ لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٤ - ٦]، ووعد الله تعالى بالنصر تكرر في القرآن كثيرًا في آيات عديدة، ولكنه رُبط بشروطه، وربط بمشيئة الله ووفق حكمته، إلا أنه لن يتخلف أبدًا عن قوم ينصرون الله حتى لو تأخر بعض الوقت، فقد تأخر النصر حتى على بعض الرسل السابقين، كما قال سبحانه: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، بل لقد تأخر النصر في بعض الأحيان عن خير الرسل ﷺ ومعه خير القرون، وكان لهذا التأخير حكَم عظيمة، كما قال سبحانه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، ولهذا لما استعجل النبي ﷺ بعضُ أصحابه رضي الله عنهم قائلين: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو الله لنا؟ قال: «كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب، وما يصده ذلك عند دينه»، ثم قال: «والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»[1]، نعم: ولكننا نستعجل!

---

(١) أخرجه البخاري رقم (٣٦١٢).

○ ومما ينبغي تجديد اليقين به أن الأيام دول؛ فقد تكون الغلبة لغير المؤمنين إلى حين، ولكن ذلك لا يدوم ولن يطول، وبخاصة مع تقارب الزمان الذي يُختصر فيه التاريخ، وتتسارع فيه الأحداث، بل إن هناك دورات تاريخية سريعة الوقع متتابعة التطور، قد تقوم فيها دول عظمى وتسقط أخرى في حياة الجيل الواحد، بل الشخص الواحد، ومثال ذلك ما ذكره ابن أبي حاتم بسنده عن الزبير الكلابي قال: «رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين فارس والروم، كل ذلك في خمس عشرة سنة». أما في عصرنا فقد رأى جيلنا صعود دول ومعسكرات وأحلاف، ثم عاين سقوطها أو هبوطها أو العكس مثلما حدث في الاتحاد السوفييتي السابق وألمانيا واليابان وفرنسا وغيرها، ونحن على يقين أن الإسلام سيرث كل هؤلاء؛ لأنه سيرث الأرض كلها بقدر اللّه كما أخبر بذلك الصادق المصدوق في قوله ﷺ: «**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك اللّه بيت مدر ولا وبر إلا أدخله اللّه هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًا يُعز اللّهُ به الإسلام وذلاً يُذل اللّهُ به الكفر**»[1] وليس بعزيز على اللّه تعالى أن يكون جيلنا الذي شهد انحسار المد الشيوعي بسقوط دولة الإلحاد السوفييتي، هو نفسه الذي سيشهد انكسار المد الأمريكي في العالم، وما سيتبعه من اندحار الطغيان اليهودي؛ فقوة اللّه فوق الجميع وهو القائل سبحانه: ﴿**وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ**﴾[آل عمران: ١٤٠]، وليست أمريكا ولا غيرها استثناء من ذلك.

○ ومما ينبغي تجديد اليقين به أن تداول الأيام بين الناس يكون بين نصر

(١) أخرجه أحمد في «مسنده»، رقم (١٦٥٠٩).

وهزيمة، أما بين المسلمين الصادقين، فهو من بين نصر وشهادة؛ لأن العزة مكتوبة لهم في كل حال، كما قال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، ولهذا فإن المؤمن لا يذل أبدًا، ولو كان يرسف في الأغلال أو يسكن في الأطلال، والأمر بالنسبة له لا يخرج عن إحدى الحسنيين: النصر أو الشهادة، وإذا كان النصر هو فوز الدنيا، فإن الشهادة هي فوز الآخرة، وكلاهما نصر، ولكن نصر الآخرة أعظم كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]: أي: يوم القيامة، حيث تكون النصرة أعظم وأكبر وأجل»[1] ، ولا ينبغي أن نشك في أن الشهادة مرادة للَّه، ومحبوبة لديه، ولهذا يقدر لأجلها أقدارًا، وأقدار الشهادة تجيء لكي تحشد من كل جيلٍ قوافل مختارة من أسياد أهل الجنة الذين يعمرون غرفها العالية في الفردوس البهيج مع مرافقيهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

◎ ومما ينبغي تجديد اليقين به: أننا نؤمن بالقدر خيره وشره مدركين بأن أقدار الشر التي تقع على المؤمنين تكون عاقبتها إلى خير مهما بدا للناس غير ذلك؛ وذلك على مستوى الفرد والمجموع؛ فبذلك تمحص القلوب وتميز الصفوف، ويكشف عن المعادن، وتظهر حقائق الأمور المغيبة كما قال سبحانه: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩]، قال ابن كثير: «أي لا بد أن يعقد شيئًا من المحن، يظهر فيه وليه، ويفضح به عدوه، يعرف

(١) انظر «تفسير ابن كثير» للآية ٥١ من سورة غافر.

به المؤمن الصابر، والمنافق الفاجر»[1] ، وذلك مثلما حدث في يوم أُحُد الذي امتحن اللَّه به المؤمنين فظهر إيمانهم وصبرهم وجَلَدهم وثباتهم وطاعتهم للرسول ﷺ ، وهتك بهذا اليوم ستار المنافقين الذين لم يكن بوسع المؤمنين أن يطلعوا على خباياهم؛ لأنهم يعاملونهم على ظاهرهم، ولهذا قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، أي: «أنتم لا تعلمون غيب اللَّه في خلقه حتى يميز لكم المؤمن عن المنافق، لولا ما يعقده اللَّه من الأسباب الكاشفة عن ذلك»[2]

◎ ومما ينبغي تجديد اليقين به: أن اللَّه سبحانه لن يحابي أهل الكفر على أهل الإيمان، ولن يجعل عاقبة الكفار خيرًا لهم، بل إن تلك العاقبة هي نفسها طريق البلاء المضاعف لهم، فمهما بذل أهل الإيمان من جهد وجهاد لإلحاق النكاية بعدو اللَّه وعدوهم فإن ذلك لا يساوي لحظة من لحظات عذابهم في سعير النار؛ ولهذا قال سبحانه: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]، ولهذا قد يكف اللَّه عن أعدائه بعض بأس أوليائه ليدخر لهؤلاء الأعداء أوفر الحظ والنصيب من هذا العقاب الأخروي. قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [آل عمران: ١٧٨].

◎ ومما ينبغي تجديد اليقين به: أن نتذكر أن تربية الأمة كما تكون

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير»، للآية ١٧٩ من سورة آل عمران.

(٢) المصدر السابق.

بالآيات الشرعية الدينية، فإنها تكون بالآيات الكونية القدرية، وعندما يخف تأثير الآيات الشرعية الدينية بفعل الإلف والعادة، أو الانشغال والغفلة، فإن الآيات القدرية تأتي لتذكر بها أو حتى تعرِّف بها؛ حيث تعاد صياغة الحقائق بشكل شاخص مشاهد، تتلقى الأمة منه الدروس العملية إذا لم تستوعب الدروس النظرية، كما قال سبحانه: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦] فلا بد أن تتلقى الأمة بين آن وآخر دروسًا عملية في تجريد التوحيد للَّه، محبة وخوفًا ورجاءً، ودروسًا عملية في موجبات الولاء والبراء، ودروسًا عملية في الصبر على البلاء ومعايشة مواقف الأعداء، ودروسًا عملية في معرفة خطر النفاق وأخرى في تبعة ترك الجهاد وهجر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتتلقى كذلك دروسًا عملية في معرفة آثار التفرق والتنازع ونتائج الاجتماع على وشائج غير الإيمان من الحزبية والعنصرية والانتماءات الفكرية والمنهجية غير السوية.

ومن الواضح أن الأمة تتلقى الآن دروسًا عملية مكثفة في كل ذلك؛ فالحمد للَّه على قضائه وقدره؛ حيث قال: ﴿وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

• ومما ينبغي تجديد اليقين به أخيرًا تذكر أن ديننا منصور، وأن لهذا النصرة أهلاً، وأن اللَّه تعالى قد دعانا لأن نكون من أنصار دينه كما قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤]، وبقدر

الاستجابة لهذه الدعوة للنصرة تكون السرعة في مجيء النصر وإلا فإن قدر الاستبدال بالمرصاد لمن تولى عنها: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم﴾ [محمد: ٣٨]، فرجاؤنا في اللَّه أن يجعلنا من معاشر الأنصار لدين الرسول ﷺ، في زمن الغربة، الزمن الذي يتضاعف فيه أجر الثبات على الدين؛ فالأنصار الأوائل لهم قدرهم وفضلهم، ولكن الأنصار الأواخر أيضًا لهم أجرهم ونورهم، وصلى اللَّه على من قال: «**فطوبى للغرباء**»، قيل: ومن الغرباء؟ قال: «**الذين يُصلحون إذا فسد الناس**»(١)

فهؤلاء الغرباء هم القابضون على الجمر الذين قال الرسول ﷺ عنهم: «**للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عملكم**»، وفي رواية «قيل: يا رسول اللَّه! أجر خمسين منا أو منهم؟ قال: «**بل أجر خمسين منكم**»(٢)

وهؤلاء تكحل بهم عيون الصادقين، وبشباتهم ينبثق فجر أمتنا ويعود الأمر لأهله.

سيأخذ ثأر اللَّه أنصار دينـــه فللَّه أوس آخـرون وخـــــزرج

● أخي: ألا يكفيك أنين القلوب والأرواح وبكاء الثكالى واليتامى، وصراخ السبايا حتى تستيقظ وتنتبه من هذا السبات العميق الذي طال أمده

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» رقم (١٦٢٢٤٩).

(٢) أخرجه الترمذي، رقم (٣٠٥٨)، وأبو داود (٣٧٧٨)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

واشتدت وطأته.

لقد بدأت الشمس رحلتها المباركة، وارتفع عمود الصباح المنير في بحر الظلمات، وحزمت القوافل في الجبال والصحاري أمتعتها، وضُرب نفير الرحيل فأين أنت منه.

يا وارث التوحيد، يا أنا، هل أصبحت كسائر الناس لا تحمل روحًا ولا تجذب نفوسًا.

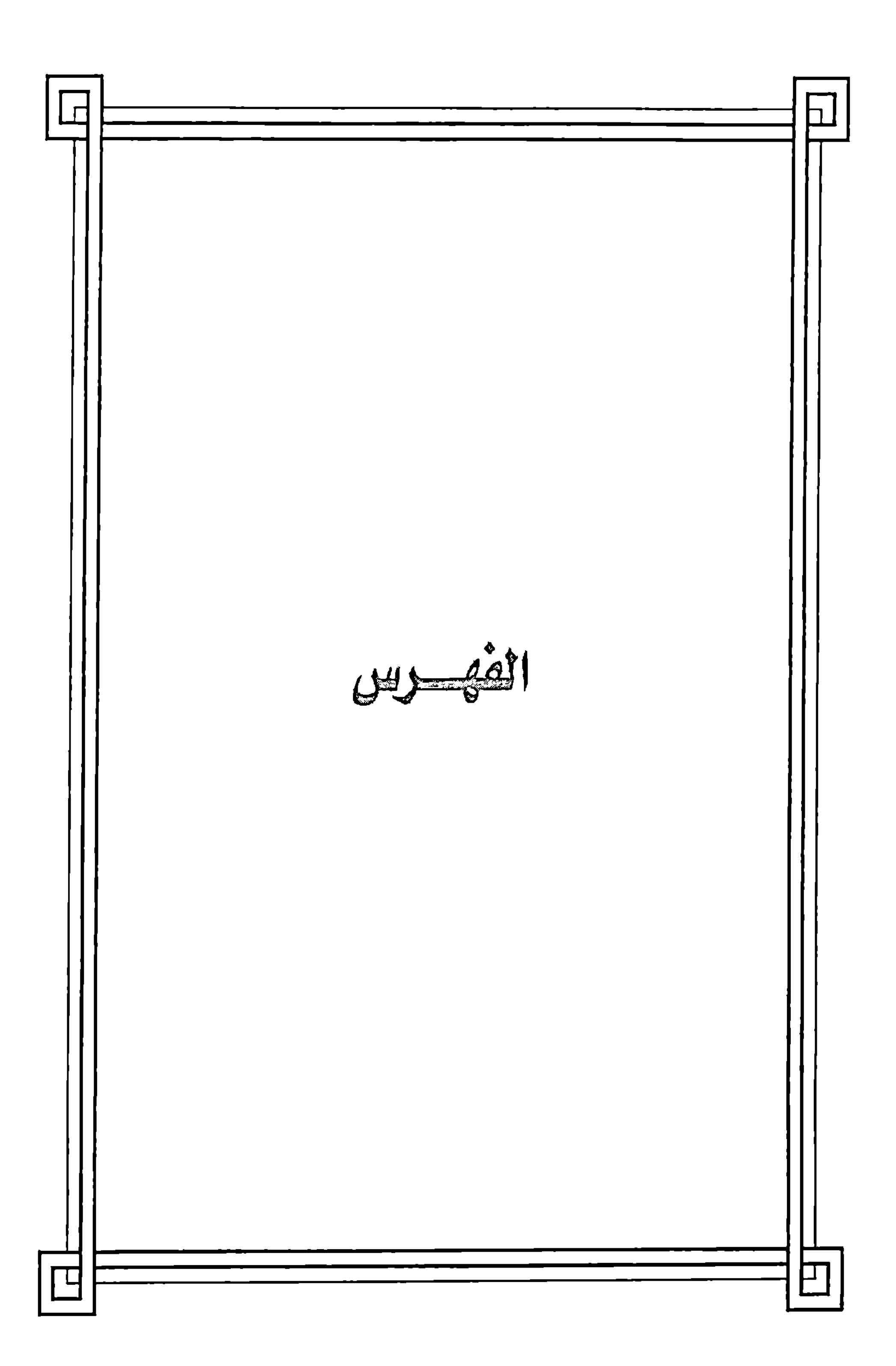
◎ إن عاصفة الغرب على الإسلام قد أعادت المسلم إلى الإسلام، فإنما تتكون اللآلئ في البحر المتلاطم الهائج، لقد دبّ دبيب الحياة في المسلم وجرى الدم في عروقه.

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾

* * *

جمع وترتيب

عبدالله بن عبدالرحمن الصَّنعَاني



الفهرس

الموضـــوع	الصفحة

الموضــــوع	الصفحة
قول لرئيس المحكمة النظامية التي تنظر في جرائم الحدود..	٤٧
لماذا سكت الجميع عن اغتصاب النساء بواسطة قوات تحالف الشمال؟	٤٨
لماذا الحصار يا هيئة الأمم القذرة؟	٤٩
تحطيم طالبان لصنم بوذا	٥٠
ما أشبه الليلة بالبارحة.. موقف عظيم نيِّر لسلطان أفغانستان البطل محمود بن سبكتكين الغزنوي يكسر «سومنات» صنم الهند الأكبر ٤١٨هـ مثلما فعلت طالبان بصنم بوذا	٦٠
الذهبي يثني على ابن سبكتكين	٦٣
علماء دين في أفغانستان قراراتهم ملزمة ولهم الكلمة العليا	٧٠
لآلئ البيان في رجل الأفغان الملا محمد عمر مجاهد زعيم طالبان	٧٣
الملا محمد عمر: لست معزولاً وأنا جاهز للموت والأسلحة لدينا كثيرة	٧٧
التمسك بابن لادن	٨٠
أعلنت مباشرة بعد الدفعة الأولى من الصواريخ التي ضربت كابول وقندهار أن الجهاد أصبح فرض عين، فما هي القاعدة التي	

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

الموضـــوع	الصفحة

* * *


دار ابن الجوزي
201613
السعر : ١٥,٠٠
غلاف ٤٨
ت : ٨٤٦٧٥٩٣